الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة السانيا وهران

كلية العلوم الإجتماعية

قسم الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة/

بعنوان

فلسفة التهذيب والتربية في الفكر الإسلامي ـ مسكويه نموذجاً ـ

إعداد الطالب/

برادي عبد الرحمان

إشراف الدكتور/

صايم عبد الحكيم

لجنة المناقشة:

أ.د/ عبد اللاوي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	رئيساً
د/ صايم عبد الحكيم	أستاذ محاضر (أ)	جامعة وهران	مقرراً
أ.د/ بوكرلـــــدة زواوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	مناقشاً
د/ بوشيبـــــة محمد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة وهران	مناقشاً
د/ أنـــــور حمـادي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة وهران	مناقشاً

الموســـــم الدراسي 2012/2011

الإهداء

وقوفا عند قوله تعالى:"ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا"الأحقاف/15]

اهدي ثمرة جهدي إلى "والدي الكريمين" عرفانا لهما بالجميل وما بذلاه اتجاهي حرصا منهما على تربيتي وتنشئتي النشأة الصالحة داعيا لهما بالمغفرة والرحمة قائلا:"وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا".

- والى كل من أرشدني الى مواضع الزلل ومواطن الخلل-

شكر وتقدير

احمد الله واشكره على فضله وامتنانه علي بأن أتممت هذا العمل المتواضع ، واسأله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصا لوجهه ، وأن يزيدني من فيض أفضاله وعظيم إحسانه.

وأتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان والعرفان لأستاذي الدكتور عبد الحكيم صايم الذي رعى هذا البحث وتولى الإشراف عليه قبل أن يكون شيئا مذكورا، ولم يبخل علي بإسداء النصح والتوجيه والإرشاد ، بل وحتى ببعض النسخ والمراجع من عنده حتى استوت على سوقها وخرجت على الصورة التي هي عليها الآن ، واني أدعو الله عز وجل ان يبارك في علمه وعمله وصحته وان يجزيه عنا وعن طلاب العلم أحسن الجزاء.

وأتقدم بعظيم الشكر لأعضاء لجنة المناقشة الموقرين الذين تحملوا عبء قراءة هذه الرسالة ، وسيجدون لي صدرا رحبا لكل ما يبدونه من ملاحظات وتصويبات تخدم الموضوع وتكمله.

اشكر أيضا أمي وأبي اللذان صبرا على غربتي وفقداني ودعماني معنويا وماديا حتى أتممت هذا الجهد ، كما لا يسعني في هذا المقام إلا ان أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الجميل إلى أساتذتي الأفاضل الذين علموني كيف أقرا من الابتدائي إلى الجامعة.

كما أتقدم بامتناني الخالص لعمال المكتبات بجامعة وهران ، ولكل من ساعدني بالإشارة إلى كتاب أو بفكرة صائبة تقوم البحث وتعززه ، وكما اشكر كل من شجعني على المضي قدما في هذا العمل ، وكل من شاركني ألامي وآمالي خلال فترة انجاز البحث.

فللجميع من الله تعالى أجزل المثوبة، ومني الاعتراف

بالفضل الكبير

المـــقدمـــــة

- المقـــدمـــــة:

ناقش الفكر الإسلامي نفس القضايا والموضوعات الأخلاقية والتربوية التي وجدت عند اليونان بالرغم من طبيعة المجتمع الإسلامي المختلفة عن طبيعة المجتمع اليوناني وقضاياه ، وبالرغم من هذه الاختلافات الجذرية والواضحة بين المدارس اليونانية فيما يختص بطبيعة القيم والمبادئ التربوية ، فانه لم يغير ويؤثر في وحدة الفكر الإسلامي وطبيعته لأنه فكر متنوع ومتعدد القضايا ، ولذلك فقد برزت وظهرت المدارس والجماعات الفكرية التي اتخذوا منها منهجا خاصا لمعالجة تلك القضايا والموضوعات ، والاختلاف بين هذه المدارس المتعددة كان جله يدور حول المسائل القديمة من ناحية وحول مناهج البحث المستخدمة في الدراسة والتحليل من جهة أخرى ، ولذلك فقد انقسموا إلى فلاسفة ومتكلمين وفقهاء ومتصوفين، وهناك نقطة أخرى لابد ان نشير إليها هي اهتمام الفلاسفة والمتصوفون بالقضايا الأخلاقية والسلوكية من الناحية النظرية والعملية أكثر من غيرهم.

ومن بين هؤلاء الفلاسفة وقع اختيارنا على مسكويه الذي قال فيه الأستاذ نواف الجراح في مقدمته لكتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق:" ان الكلام عن الشيخ الفاضل ، الأديب البارع ، الذي لو قلت: انه السحر الحلال، والعذب الزلال ، لنقصته حظه ، ولم أوفه حقه ، فهو البارع في الأدب المجتبى منه ضروب الثمر الطيب الداني"1.

ان أهمية موضوعنا تكمن في عودة الاهتمام بالفكر الأخلاقي في الدراسات المعاصرة ودورها في تقييم السلوك الإنساني ، وعليه صار أن البحث في هذا المجال من شأنه أن يساعدنا على تقريب الآراء فيما يخص الاخلاق والتربية ، والربط بين الأفكار والآراء الفلسفية الأخرى بالإضافة إلى إبراز الخطوات التي يمر بها هذا النوع الأخلاقي والتربوي في الفلسفة.

ومن خلال عنوان هذا البحث تتجلى بوضوح ضرورة التخلي عن الرذائل قبل أي اتجاه إلى التحلي بالفضائل وذلك امرهام ، فمثلا لا يمكننا ان نشيد بناءا فخما

1-مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: تحقيق د: نواف الجراح ، دار صادر، بيروت ، ط1، 2006م، ص5

ونظيفا وصحيا فوق أكوام من الأنقاض والأقذار، بل لابد ان نزيلها ونطهر مكانها ، كما لا يمكننا بأي حال من الأحوال ان نغفل ضرورة هذه المسائل الأخلاقية لأنها مهمة جدا يجب ان يهتم بها كل إنسان، فكل امرئ يحتاج ان يبني تصرفاته ويبررها بالرجوع إلى مبدأ خلقي ، لذلك إذا لم يتخذ الإنسان لنفسه موقفا بالنسبة للمشكلات التي تعرض له وآثر ان يكون سلبيا فان هذه السلبية تكون ضد الأخلاقية ، يقول باسكال: ان السلبية هي أساس التدهور والسقوط ، فوق أنها نفاق وجبن.....

لقد اخترنا هذا البحث لأسباب عديدة ومتنوعة نستطيع أن نذكر من أهمها ، أن الدارسين لتاريخ الأخلاق يضعون الأخلاق الإسلامية في ركن ضيق أو في زاوية حادة أو مهملة يحشرونها حشرا بين الأخلاق عند الغربيين القدامى ، والغربيين المحدثين والمعاصرين ، كأنها جزء منها لا تتمتع بخصوصية ذاتية ولا تتميز باستقلال ، وأكبر دليل على ذلك أنه بالرغم من اعتبار مسكويه المعلم الثالث والرائد الأول البارز الذي كتب في فلسفة الأخلاق كتابة نسقيه متكاملة ، إلا انه لم يحظ بالعناية التامة من قبل الباحثين ، بل وحتى في المراجع التي تعنى بالفلاسفة المسلمين على وجه الخصوص تنكب له معظمها ولم يورد عنه شيئاً حتى غدا ذكره في المصنفات الفلسفية شحيحا نادرا وقليلا مقتضبا.

أما من ناحية الموضوع ألا وهو فلسفة التهذيب والتربية في الفكر الإسلامي فإن الفلاسفة الإسلاميين لم يعنوا بفلسفة الأخلاق بقدر اعتنائهم بالإلهيات والطبيعيات والمنطق هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الغموض الذي ينتاب الموضوع لقلة الدراسة والاهتمام به من قبل الباحثين ، إما لقلة درايتهم بالموضوع والفيلسوف أو نتيجة لإهمالهم وغفلتهم عن مثل هذه المواضيع رغم اتصال الموضوع بالموضوعات اليومية وتصرفات الناس فيما بينهم داخل المجتمعات وحاجتهم لمثل هده الأخلاق.

ولهذا صار واجبا علينا من خلال دراستنا هذه إبراز مدى صلاحية الأخلاق والتربية لكل زمان ومكان ، ومسايرتهما لكل وقت وحين بل هو أمر واقع نقف عليه من خلال قراءاتنا الأخلاقية.

وهو ما دفعنا إلى العمل جاهداً على الجمع بين المعلومات المتناثرة وتنظيمها في حلة جديدة للتقليل من معانات الباحث وتعبه ، والاستفادة السريعة مع كسب الوقت.

وعلى رأس الأهداف والنتائج المتوقعة من خلال تناولنا لهذا الموضوع أن نثبت وجود فلسفة أخلاق وتربية إسلامية تمتاز بالنسقية وبأصالتها وتفردها وسموها وانسجامها مع الفطرة السليمة ، واستجابتها للواقع الإنساني والحياتي ، ويكون مسكويه نموذجا ، كما يهدف هذا البحث إلى التعامل مع التراث الفلسفي بطرق وأساليب معاصرة ، وهذا حتى نصل ماضينا بحاضرنا ، بدون تكلف ولا تصنع ، وأن نساهم ولو بنذر يسير في جمع المعلومات المتناثرة وتنظيمها ، كذاك المشاركة في إثراء المكتبة الجزائرية خاصة والعربية عامة بمؤلفات أبنائها.

لعل الإشكالية التي نحاول الإجابة عنها هي:

- ما هي مساهمة مسكويه في إثراء الفكر الأخلاقي الإسلامي ، وما تأثيره على الفكر الأخلاقي لاحقا عبر التاريخ ؟

- وما طبيعة فلسفة التربية المسكويهية في الفكر الإسلامي ؟

- وما يمكن الاستفادة من التجربة المسكويهية ؟

أما فيما يخص الدراسات السابقة فإننا لم نجد بحوثا جامعية متخصصة في شخصية مسكويه المراد دراسته ، سواء كانت أطروحة دكتوراه أو رسالة ماجستير، باستثناء رسالة ماجستير واحدة والتي كانت بعنوان:" الفكر الأخلاقي في الإسلام دراسة تحليلية مقارنة بين مسكويه والغزالي" ، وهذا في كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ببوذريعة جامعة الجزائر العاصمة.

لقد واجهتنا صعوبات جمة من أهمها صعوبة التحكم في الموضوع بسبب غموض لغة النصوص التراثية القديمة بصفة عامة ، مما استدعى الأمر الاعتماد على قواميس عديدة تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، لان الموقف الأول اي الأصالة يقربنا من الفهم الدقيق لفكر مسكويه ، والموقف الثاني اي المعاصرة لا يجعلنا نغترب عن عصرنا.

ويضاف إلى ما سلف ندرة المصادر والمراجع التي تتناول موضوع الأخلاق والتربية عند مسكويه ، من بين هذه النصوص التي افتقدتها هي: "الحكمة الخالدة"، كذلك وافتقدت الى كتاب آخر ألفه الأستاذ عبد العزيز عزت بعنوان: ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية ، وهذا الكتاب يتبين من عنوانه انه يتعرض لفلسفة مسكويه الأخلاقية والتربوية ، ان هذين الكتابين من شانهما ان يفتح أمامنا المجال في فهم العمل الأخلاقي التربوي المسكويهي.

ان طبيعة الموضوع فرضت علينا ان نتبع المنهج التحليلي التاريخي النقدي ، تحليلي لأننا أردنا من خلاله دراسة المعطيات المتوفرة لدينا ، تلك المعطيات التي تمثل المادة العلمية لمسكويه ومن عاصره ومن رواد الفلسفة الاسلامية ولم نغفل حتى عن من خالفه في وجهة النظر ، إذ كانت تلك فرصة سانحة لكي نرى مسكويه من الجانب الآخر فعملنا على تحليلها مستعينين في ذلك بالدراسات المتاحة لدينا حول فلسفة مسكويه.

وتاريخي لأنه سيكون خلال رحلتنا في بحثنا هذا رحلة طويلة داخل الواقع التاريخي والسياق الزمني لمسكويه لنتمكن من فهم نظرياته الأخلاقية والتربوية في سياقها التاريخي وإطارها الزماني ، وكان ذلك من خلال عرضنا لمميزات القرن الرابع الهجري وهو عصر مسكويه إذ نصف ونسجل ما مضى من وقائع وأحداث ذلك لقناعتنا بما لها من بالغ الأثر في تشكيل النظرية الأخلاقية والتربوية للفيلسوف خاصة ان مجال التربية لا ينفك عن سياقه الزماني والمكاني.

لكي لا نكون مجرد ناقلين لمعطيات فكرية بعيدة عنا في الزمان والمكان فنغرق في الغربة عن جملة تلك الأفكار ونحرم من الفائدة المرجوة منها ، عمدنا الى المنهج النقدي الذي يساعدنا على مقاربة آراء مسكويه مع من عاصره من الفلاسفة والمفكرين فهو الأحرى ان يوضح لنا بجلاء إخفاقات مسكويه أو ايجابياته وفق معيار نقدي من زمانه.

أما من الناحية المنهجية فقد قسمنا عناصر البحث الى ثلاثة فصول ، مهدنا من خلال الفصل الأول للحديث عن فلسفة التهذيب المسكويهية بعرض أهم نظريات

الاخلاق القديمة ، والتي يحتمل ان يكون مسكويه قد اطلع عليها على أحسن تقدير ان لم تكن أسست لنظريته الأخلاقية أصلا ، فشرعنا بعرض النظريات الأخلاقية في الحضارات الشرقية القديمة لما لها من أصالة في ذاتها ، ولما لها من اثر في ما لحقها من نظريات ، ثم تعرضنا للنظريات الأخلاقية في الفلسفة اليونانية ولا احد يستطيع ان ينكر براعة فلاسفة اليونان في التنظير الأخلاقي من جهة واثر الفلسفة اليونانية في التأسيس للفكر الإسلامي من جهة ثانية ، وهو ما وجدناه جليا في ثنايا النظرية الأخلاقية لمسكويه ، وفي آخر مبحث من هذا الفصل عرضنا أهم النظريات الأخلاقية في الفلسفة الاسلامية ، فبحثنا عن بواكير القيم الأخلاقية في الإسلام منذ عصر الجاهلية الذي عرف بنمط أخلاقي متميز ساد المجتمع الجاهلي ، والذي ورغم جاهليته اكتنز كما هائلا من القيم الأخلاقية النبيلة والسامية ، ثم عرجنا على قيم فجر الإسلام أين بدا اثر الدين الجديد جليا على السلوك اليومي لأفراد المجتمع وأخيرا بحثنا في ثنايا مصنفات الفلاسفة الإسلاميين عن معالم الفلسفة الأخلاقية والقيمية التي سادت في عصرهم والتي دافعوا عنها ، وتناولنا كمثال عن ذلك الفارابي وتلميذه يحي بن عدي.

وفي الفصل الثاني تناولنا من خلال مبحثين اثنين نظرية مسكويه حول التهذيب الأخلاقي ، إذ شرعنا في المبحث الأول منهما في الحديث عن السياق التاريخي والذي ظهر فيه مسكويه وأفكاره من خلال التطرق الى أهم جانبين وهما الجانب السياسي والاجتماعي والجانب الفكري والثقافي ثم تطرقنا الى حياة مسكويه ونشأته ومؤلفاته ، أما في المبحث الثاني فقد ركزنا على لب الموضوع وهو التهذيب الأخلاقي في فلسفة مسكويه من خلال عرضنا لنظرياته الثلاث التي لها علاقة بمفهوم التهذيب وهي نظرية النفس والخلق ونظرية الفضيلة والسعادة ونظرية طب النفوس.

وفي الفصل الثالث درسنا نظرية التربية عند مسكويه وامتداداتها في الفكر الإسلامي، وفي المبحث الأول من هذا الفصل تناولنا نظرية النفس عند الصبي، وكيف تدرجت من شهوانية إلى أن أصبحت نفساً عاقلة، ثم دور الأسرة والبيئة التعليمية في تربية الأحداث.

ولن يكون مفاجئا أن تلقى نظرية مسكويه التربوية رواجا في أوساط الفلسفة الإسلامية، وهو ما يفسر الظهور المتكرر لمسكويه في العديد من النصوص والإنتاجات الفلسفية اللاحقة، وخاصة عند صاحب الإحياء أبوحامد الغزالي، وهو ما عملنا على بحثه وتناوله في العنصر الأخير من هذا الفصل.

الفصل الأول: طبيعة الاخلاق في الفكر الشرقي والفلسفة اليونانية والفلسفة الاسلامية.

-طبيعة الاخلاق في الفكر الشرقي

-طبيعة الاخلاق في الفلسفة اليونانية

-طبيعة الاخلاق في الفلسفة الاسلامية

أولا-طبيعة الاخلاق في الفكر الشرقي:

عرفت الشعوب الشرقية في العصور القديمة كثيرا من المعارف والآراء التي لها خطرها في الطبيعة والدين والأخلاق ، كما ان اليونان اتصلوا في عصورهم الأولى بكثير من حضارات الشرق كالديانة المصرية القديمة ووصايا التوراة والكونفشيوسية والبوذية ، وأدل دليل على ذلك شهادة اليونان أنفسهم وشهد شاهد من أهلها.

" فها هو ديودور الصقلي المؤرخ اليوناني الذي زار مصر بين عامي (60 – 57 ق-م) يذكر لنا علماء اليونان وأدبائها وفلاسفتها الذين زاروا مصر من بينهم شاعر اليونان الأشهر هوميروس ، وليكورغ المشرع الاسبرطي وصولون (640-560 ق-م) واضع قوانين أثينا "1.

ان الاخلاق المصرية وليدة تطور طويل وبطيء ونضج مستمر متواصل لا طفرة فيه ، فما كان للإنسان القديم بل ولا الحيوان ان يبقى لحظة واحدة بلا أخلاق وبلا أي قيمة خلقية ، والإنسان كما نعلم حيوان أخلاقي بقدر ما هو حيوان ناطق ، والحديث عن الاخلاق في تاريخ الشرق القديم حتما ولا ريب سيبدأ مع قدماء المصريين.

1-الاخلاق عند قدماء المصريين:

ان الإله عند المصريين هو أصل الحياة الذي لا يعتريه فناء ، وهو يتمظهر عن طريق الخلق المستمر لهذا الوجود بدون ان يؤدي ذلك إلى اتحاده مع هذا الكون المترامي الأطراف ، ويذهب جيمس هنري بريستيد jameshenryBrested (1865-1935م) إلى القول ان " الخلق الإلهي المصري قد نتج عنها صورة من مذهب قومي خاص بوحدة الوجود " 2، وهذا الإله فعال ايجابي يبادر إلى الأعمال الخلقية كإغاثة المحتاج....الخ ، أما إذا بحثنا عن طبيعة الخلق لوجدنا " ان جميع

1 محمد عبد الرحمن مرحبا: بدايات الفلسفة الأخلاقية ، عز الدين، بيروت ، ط1 ، 1995 ، ص55.

2 مهدي فضل الله: بدايات التفلسف الإنساني ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 1993 ، ص76.

الأشياء والموجودات كانت في الأصل في قلب الإله وذلك على شكل تصور ، ولم يكن القلب عند المصريين يعني شيئا سوى العقل أو الفكر"1.

اعتقد بريستيد في كتابه فجر الضمير "ان مصر حضارة العالم ومهدها الأول ، بل في مصر شعر الإنسان لأول مرة بنداء الضمير ، ونشا الضمير بمصر وترعرع وبها تكونت الاخلاق النفسية"2.

وعلى الرغم من ان الإنسان أقدم المخلوقات صنعا للآلات والأسلحة الفتاكة منذ زمن قديم ، إلا ان الضمير لم يبرز في شكل قوة اجتماعية إلا منذ مدة لا تزيد على خمسة ألاف سنة.

وأساس تقدم حياة الإنسان هي نشوء المبادئ الخلقية وظهور عنصر الاخلاق ، يقول بريستيد معلق على الوصايا العشر التي حفظها في طفولته مع الصبية وتعلم ان يحترمها لأنها أنزلت من السماء:"ان المصريين القدماء كان لهم مقياس خلقي أسمى بكثير من الوصايا العشر ، وهذا المقياس قد ظهر قبل ان تكتب تلك الوصايا بألف سنة" 3 ، بحيث وضعت الاخلاق في أي صورة من الصور تحت حماية الدين ولقد عد الظلم في كل عصور مصر رذيلة في نظر الآلهة ، ويعتبر اله الشمس ممثلا للعدالة فهو القائل: قل الصدق وافعل ما يقتضيه فهو العظيم القوي.

وأكثر من ذلك اعتقد المصريون القدامى ان حظ الميت متوقف على طريقة سلوكه خلال حياته "وعلى كل فرد ان يثبت أمام الاثنين والأربعين قاضيا للموتى انه لم يرتكب إثما قط ، وهذه الجرائم تتمثل في القتل والتحريض عليه والسرقة والغش والتزوير والفسق والزنا وعلى الإنسان ان لا يكذب وألا يغتاب ، وألا يتحسس من وراء الباب ، وألا يهلك نفسه فيما لا يجدي من أسى ، وألا يعوق الماء الجاري أثناء

---

1 المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

2 جيمس هنري بريستيد: فجر الضمير ، تع: د- سليم حسن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، (د-ط) ، (د-ت) ، ص 3.

3 المرجع السابق ، ص10.

الفيضان وألا يعتدي على حيوانات أو اسماك أو طيور الآلهة ، وألا يسرق الأطعمة من المعابد أو المقابر"1.

وإذا ما تحدثت عن الفضيلة عند قدماء المصريين لوجدناها تتمثل في عمل الخير ، وصور هذا الخير مختلفة ومتنوعة "كإعطاء الخبز للجائع ، والماء للعطشان والملبس للعاري ، ومن يعجز عن عبور النهر يساعد على عبوره في القارب الشخصي ، ويهدى إلى السبيل السوي من ضل.... والرجل الطيب هو ابن للمسنين وأخ للمطلق ، وزوج للأرملة ، وأب لليتيم....هو كساء لمن يقرضه الصقيع ، وملجأ من الريح ، هو للمريض مرضع أو ممرض"2.

ومن تعاليم المصريين القدماء ان يتجنب المرء الألفاظ الساقطة ، وألا يتكبر بسبب ما تعلمه من علم ، ولا يحتقر الأفراد إذا ما رفعه الملك ، وألا يبخل لان البخل عيب قبيح ، وعلى الفرد ان يحب زوجه وان يفعل لها كل الخير الذي يستطيع ان يفعله ، وعلى الفرد كذلك ان يحترس من المرأة الأجنبية الغير معروفة في بلدها لا تبادلها النظرات وهذه الأخيرة خطيئة عظمى ، ومن الأحسن ان تبكر في الزواج لتنجب أطفال كثيرون ، وان تعيد لامك كل ما فعلته من أجلك بإعطائها كل الخير.

ومن مبادئ المصريين الوقار حين مناولة الطعام ، والاحتراس من كشف الأسرار وقلة الكلام ، أما الفضيلة الأساسية للفرد هي الحشمة والحياء.

ان هاته الفضائل عبر عليها بتاح حتب في أيامه الاخيرة من حياته واختار ان يقلد الأب الحكيم المحب الموجود في السماء ، يؤمن بتاح حتب ان العقاب البدني يحث على الفضيلة ويتضح ذلك في قوله : "ان قانون السماء والأرض هو ان نتعلم عن طريق التألم والمعاناة ، فقد بدأ الناس حياتهم كالوحوش ولم يتعلموا كيف يصبحون آدميين إلا خلال عملية بطيئة مؤلمة ، وكل طفل في بدء تطوره ليس إلا

---

1 المرجع السابق ص10.

2 المرجع السابق ، ص56.

حيوانا أعجم تقريبا ، والنتيجة المترتبة على ذلك انه إذا أهملت العصا فسد الطفل فيجب ان يتعلم الطفل كيف يطيع السوط تماما كالحصان الجموح"1.

وبذلك يبدو في نظر بتاح حتب ان أذان الأطفال في ظهورهم والضرب أحسن درس لهم ، أما الجانب الأخلاقي فيصوره بتاح حتب في قوله: "لا تزه بمعرفتك ، ولا تحسبن نفسك عالما ، تحدث إلى الجاهل كما تتحدث إلى العالم على السواء ، فعليكم ان تتعلموا الكثير بعضكم من بعض...لا تتحدث بخشونة أو تسرع ، واحذر من ان تخلف أعداء بكلماتك ، لا تتجاوز الصدق ، ولا تفش كلمات قد اؤتمنت على سماعها سواء كان المتحدث فلاحا أم أميرا ، وسرد القصص في غير موضعها بغيض إلى النفس"2.

وهذه صورة الرجل الحكيم التي تذكرنا بالصورة التي رسمها ارسطو Aristote (384ق-م-322ق-م) للرجل الدمث الأخلاقي أو الرجل الكامل ، فينصح بتاح على ان تختط لنفسك طريقا متزنا بين عواصف الحياة ، ولا تدع شيئا يقلب اتزان شخصيتك لان الشخصية الصالحة هي أغلى هدية في الوجود.

من هنا يتضح لنا ان الفكر الأخلاقي عند المصريين القدماء فعلا مجال خصب يثير الإعجاب ، وقد أثار إعجاب العبرانيين فاقتبسوا منه الشيء الكثير أضافوه لأسفارهم المقدسة الشيء الذي أدى بالشيخ محمد ابو زهرة (1898م-1974م) الى القول: "ان الآداب التي اشتمل عليها الفكر المصري والفضائل الخلقية التي تدعوا إليها كانت معينا خصبا ، قبست منه الديانات غير المنزلة وحكمة الحكماء شيئا كثيرا لأنها لم تخل من خير يقتبس وحكمة تنتقص"3.

الشيء الذي أدى بالعالم بريستيد إلى الكشف عن حقيقة ثابتة وهي التوازن بين الواقع الخلقي والقوة المادية في حياة المصريين ، وتحقيق هذه القوة أعظم أمر لان الفضائل الخلقية الرفيعة كانت ذائعة في هذا المجتمع ومن هذه النماذج الأخلاقية:

---

1 هنري توماس: أعلام الفلاسفة ، ت: متري أمين ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، (د-ط) ، 1946 ، ص5.

2 المرجع السابق ، ص6.

3 محمد عبد الله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1990 ، ص36.

- إني لا أقول كذبا لأني كنت إنسانا محبوبا من والده ، ممدوحا من والدته ، حسن السلوك مع أخيه ودودا مع أخته.

- إذا أردت ان يكون خلقك محمودا وان تحرر نفسك من كل قبيح فاحذر الشراهة ، لأنها مرض عضال لا يرجى شفاؤه والصداقة معها مستحيلة لأنها تجعل الصديق العذب مرا.

- إذا كنت حاكما تصدر الأوامر للشعب فابحث لنفسك عن كل سابقة حسنة حتى تستمر أوامرك ثابتة لا غبار عليها.

- ان الحق جميل وقيمته خالدة ولم يتزحزح من مكانه منذ خلق لان العقاب يحل بمن يعبث بقوانينه.

ـ ومن النماذج الأخلاقية كذلك ما صاغه امينوبي من وصايا لابنه:

ـ لا تنم في الليل وأنت خائف من الغد.

- الله يحب الذي يدخل السرور على قلب المسكين أكثر من الذي يحترم الرجل العظيم.

ـ لا تضحك من رجل أعمى ، ولا تهزا بقزم.

2-الاخلاق في العقيدة البوذية:

من المعروف ان الاخلاق البوذية ترتبط بحياة مؤلفها لذلك "انبعثت هذه العقيدة البوذية من شمال الهند ، من إقليم ينبال حيث كانت تقطن قبائل الساكيا ، وكان باعثها حكيم من الحكماء من أصل نبيل إذ كان والده يحمل لقب (راجا) ، وقد أطلق عليه بعد ان أعلن مذهبه اسم (بوذا) والتي تعني الملهم أو العارف بالحقائق أو صاحب الإشراق"1.

كما صرف بوذا (558 ق-م – 483ق-م) جل اهتمامه لحل مشكلات الناس وآلامهم ، وكانت تسير دعوته في الحقيقة على خط الإصلاح الاجتماعي والحياة

1 السيد محمد بدوي: الاخلاق بين الفلسفة و علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، (د-ط) ، 2000 ، ص23.

العملية للبشر سعيا لإسعادهم ، ولكنه "لم يصرف جهدا في موضوعات دينية بحتة رغم انه صنف نفسه في موقع معاد للهندوكية ، فالمهم عنده ليس معرفة الله والكون وإنما ان يتصف الإنسان بالإيثار وحب الإحسان للآخرين"1.

ان بوذا ظل بين الناس ليعرفهم بالحقيقة التي وصل إليها وهي "ان الخلاص ليس في الموت كما كان يعتقد أولا ، فبالموت لا يخلص الإنسان إلا نفسه ، ولكن رسالته الحقيقية العمل على خلاص الآخرين يا من خلصت نفسك اعمل على خلاص الآخرين ، وإذا كنت قد وصلت إلى شاطئ الأمان فساعد الآخرين على ان يعبروا"2.

ان المذهب الأخلاقي البوذي ينحصر في الطريق الوسط لتحقيق السعادة ، وهذا ما اقره كذلك ارسطو في فلسفته واعتبر ان سر الحياة الأخلاقية يكمن في تحقيق الوسط العادل ، وهذا الوسط يعبر عليه بوذا في قوله: "هناك طرفان يجب على كل من يريد ان يحيا حياة روحية ان يبتعد عنهما ، احدهما حياة اللهو وهي وضيعة تافهة ومخالفة للعقل ، والآخر حياة الزهد والحرمان وهي كئيبة لا طائل تحتها ، والحكيم من يكتشف الطريق الذي يمر بين هذين الطرفين وهو الطريق الذي يسر النظر والعقل ، ويؤدي إلى النيرفانا أي إلى الطمأنينة والسلام"3.

فالبوذية قامت على الاهتمام بالجانب العملي السلوكي ، و إخضاع النفس لضوابط وقيود تهدف إلى قمع الشهوات وتطهير النفس وهذا ما يجعلنا نؤكد "ان عقيدة بوذا عبارة عن مبادئ خلقية و دعوة قائمة على إصلاح النفس بالتأمل وتربية الخلق بالتهذيب و العمل ، لذلك لم يأمر بعبادة ولم يقم معابد ولا هياكل ، وليس في عقيدته أو دينه قساوسة ولا رهبان ولا رجال دين ولا ناس لهم قداسة خاصة"4.

ان النفس عند بوذا تطمح إلى الطهارة حتى تكون سامية لتندمج في اللانهائي الذي هو مجمع الأرواح ، وهذا الاندماج للروح بالطهارة لا يحصل إلا بقهر

---

1 اسعد السحمراني: الاخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة ، دار النفائس ، بيروت ، ط1 ، 1988 ، ص58.

2 السيد محمد بدوي: المرجع السابق ، ص24.

3 المرجع السابق ، ص25.

4 اسعد السحمراني: المرجع السابق ، ص59.

الشهوات والتغلب عليها وهو ما يعرف عند بوذا بالنيرفانا أو دار السلام ، والعمل الصالح في البوذية هو "تطهير الباطن من حب النفس ، و الشح والحقد ، والغلظة والشهوة والغضب ، كما انه غض البصر عن عيوب الناس ، و التأسي بهم في أحزانهم و أوجاعهم و الأخذ بالتقوى في شعابها المتعددة ، والامتناع عن قتل الروح وعن سلب أموال الناس والنظر إلى نسائهم ، وعن قول الزور ، وعن شرب المسكرات"1.

ويمكن ان نلخص المذهب البوذي بالرجوع إلى الحقائق الأربعة المقدسة وهي:

1- الألم موجود في الشيخوخة والمرض والموت ومتاعب الحياة من فراق أحبة أو لقاء أعداء.

2- أسباب الألم ناشئة عن الشهوات و الرغبات "أيها الأتباع هاكم الحقيقة المقدسة عن أصل الألم انه التعطش لكل ما يتصل بالوجود ، لان هذا التعطش يصحبه تطلع لما عند الآخرين ، انه التعطش للملذات ، والتعطش للجاه والسلطان"2.

3- بطلان هذه الأسباب متى بطلت الشهوة والتخلص منها وعدم السماح لها بالسيطرة على نفوسنا.

4- طريق السعادة يعرف بالطريق الثماني النبيل ، والذي يتضمن درجتين من الحكمة و أربع درجات من الاخلاق ودرجتين من التأمل.

و الطريق الثماني النبيل يبين لنا ان البوذية ليست أكثر من فلسفة أخلاقية أقامها بوذا على مبدأ الوسطية وهي:

1- سلامة الرأي: وتكون بالهدوء الدائم وعدم الاستسلام للفرح أو الحزن.

2- سلامة النية: وتكون كذلك بالهدوء الدائم ، وعدم ازاية أي احد.

3- سلامة القول: وهذا المبدأ الثالث يكون بالابتعاد وترك الكذب والنميمة.

---

1 كامل سعفان: موسوعة الأديان القديمة معتقدات أسيوية ، دار الندى ، ط1 ، 1999 ، ص ص 214 215.

2 السيد بدوي: المرجع السابق ، ص 27.

4- سلامة الفعل: ويكون هذا المبدأ بالابتعاد عن الأعمال السيئة وعن اخذ السلع المسروقة ، وعن اغتصاب المرء ما ليس له.

5- سلامة العيش: ويكون بالابتعاد عن السرقة و القتل و فعل ما يأسف له المرء ، أو يخجل منه.

6- سلامة الجهد: ويكون هذا المبدأ في السعي إلى الخير والابتعاد عن الشر.

7- سلامة الوعي أو الانتباه العقلي: ويكون باتباع الحقيقة لأنها تهدي المرء.

8- سلامة التركيز: ويكون إلا باتباع القواعد السابقة وبلوغ الإنسان مرحلة السلام الكامل.

ان الهدف من هذه المبادئ الثمانية هو "تحقيق حياة مستقيمة من أسمى طراز و ادراك العلاقات بين التصرفات الحياتية و المبادئ التي تشكل أساس هذه التصرفات من خلال تأمل الحقائق الثلاث الخاصة بالسلوك الأخلاقي والانضباط الذهني ، و الحكمة التي تشكل أساس المبادئ والتصرفات"1.

فالفضائل كما قلنا سابقا تطهر النفس وتجعلها سامية ، والشهوات تعكر استقرارها و لا تثمر سوى الآلام "فكل لذة تحمل سمها في طياتها" 2 ، ولبلوغ السعادة لابد من إتباع خمس قواعد وصفها بوذا أنها أساس العمل الأخلاقي و هي: : لا يقتلن أحدا كائنا حيا ، و لا يأخذن احد ما لم يعطه ، و لا يقولن أحدا كذبا ، و لا يشربن أحدا مسكرا ، و لا يقيمن أحدا على دنس.

بل وأضاف بوذا قاعدة أخلاقية اجتماعية تقوم على مواجهة الخطأ بالعمل الفاضل وهذا يتضح في قوله: "على الإنسان ان يتغلب على غضبه بالشفقة ، وان يزيل الشر بالخير ، ان النصر يولد المقت لان المهزوم في شقاء ، وان الكراهية يستحيل عليها في هذه الدنيا ان تزول بكراهية مثلها...إنما تزول الكراهية بالحب"3.

---

1 كولر جون : الفكر الشرقي القديم ، ت: كامل يوسف حسين ، عالم المعرفة ، (د-ط) ، 1995 ، ص188.

2 اسعد السحمراني : المرجع السابق ، ص61.

3 المرجع السابق ، ص62.

وفي نهاية حديثي عن الاخلاق البوذية أريد ان انوه إلى نقطة مهمة وهي ان القواعد البوذية تقترب كثيرا مما ورد في الديانة المسيحية و الاسلامية ، ولكن بينهما و بين البوذية هو ان الديانات السماوية تحث على عمل الخير للتقرب إلى الله ، أما البوذية فتحث على خلاص الإنسان من رقبة الشهوات و الوصول إلى حالة السلام و الطمأنينة ، و ما علينا الآن إلا ان نؤكد "ان المذهب البوذي في الاخلاق ذو طابع سلبي ، لأنه يقوم على نفي كل قيمة للأشياء الدنيوية و على جعل التأمل الذاتي شرطا أساسيا للوصول إلى الخلاص أو سعادة النفس ، وجميع تفاصيله تقريبا تقوم على نواهي لا على أوامر ايجابية ، بمعنى انه يأمر الإنسان بالا يفعل الشر أكثر من ان يأمره بفعل الخير"1.

3-الأخلاق الكونفشيوسية:

وكما رأينا سابقا مع المصريين القدماء والبوذية هناك فلسفة أخلاقية خصبة متنوعة ، كذلك الشيء بالنسبة للصينيين القدماء ، فقد تميز العقل الصيني بمعالجة مسائل فلسفية دقيقة متنوعة مثل: أصل الكون ، و الطبيعة الإنسانية...و مبادئ الاخلاق ، وهذه المبادئ تحفظ الكيان الصيني لقرون عديدة.

وللحديث في الجانب الأخلاقي لدى الصينيين يكون بطبيعة الحال عن نزعة فيلسوف الصين الأشهر كونفشيوس (551ق-م –479ق-م) ، والذي يهدف من وراء نسقه الأخلاقي "تحقيق غاية هي الوصول بالفرد إلى أعلى درجات الكمال الإنساني ، وبالضبط الوصول إلى (chuntzu) الرجل النبيل" 2. الذي يريد لنفسه النجاح ليكافح من اجل نجاح الآخرين ، ويحقق المبدأ لسلوكه تجاه الآخرين بالفضيلة الحقيقية.

ان النظام الأخلاقي الكونفشيوسي يستند إلى إمعان الفكر في الطبيعة البشرية و النظر إلى الفرد داخل مجتمعه ، كما ان كونفشيوس لا يرى في المجتمع نوعا من الذاتية الميتافيزيقية تجب الفرد من الوجود ذلك لاعتناقه مبدأين هما:

---

1 السيد بدوي : المرجع السابق ، ص31.

2 هالة ابو الفتوح احمد: فلسفة الاخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفشيوس ، دار قباء عبده غريب ، القاهرة ، (د-ط) ، 2000 ، ص59.

1- "ان الناس بالضرورة كائنات اجتماعية ، لان المجتمع هو الذي صاغهم إلى حد كبير على الصورة التي هم فيها ، والمجتمع من ناحية أخرى يتألف من حشود أفعال يقوم بها الأفراد كل وفقا لاستعداده ، وتتحدد علاقات أعضاء المجتمع وفقا لأفعالهم"1.

2- لا يمكن للفرد ان ينسحب من المجتمع لان الانسحاب من المجتمع فعل شاذ ، و إذا أراد الفرد ان ينسحب من المجتمع صده ضميره عن ذلك.

ومن خلال هذين المبدأين يؤكد كونفشيوس "على الإنسان ألا يكون بعيدا عن متناول فهم المجتمع ، وألا يتمرد على عادات هذا المجتمع وتقاليده حتى ولو لم تكن تتناسب مع منحاه الخلقي ، بل يقع على عاتقه عبء هداية المجتمع إلى الصواب وحمله على السير في الاتجاه السليم ، وإذا اتفقت عادات المجتمع وتقاليده مع العقل فعليه مسايرته من باب العادة التي تربط أجزاء المجتمع بعضه إلى البعض برباط متين"2.

نعم يتضح لنا ان كونفشيوس صرف الأنظار عن الميتافيزيقا وخوارق الطبيعة والغيبيات ، ووجه الأذهان إلى المجتمع البشري ورعاية إنسانية المرء ، وتنظيم كل الأنشطة بحسب هذه الإنسانية المتطورة هذا ما عبرت عليه احد النصوص الكونفشيوسية في قوله "كان القدماء الذين يرغبون في إبراز شخصيتهم النقية للعالم يعمدون أولا إلى نشر النظام في دولهم ، والذين رغبوا في نشر النظام في دولهم كانوا ينظمون عائلاتهم أولا ، والذين رغبوا في تنظيم عائلاتهم كانوا يرعون حياتهم الخاصة أولا"3.

وقد كان يؤمن كذلك ان في بعض الأحيان يمكن للإنسان ان يحمي نفسه باستخدام القوة من أولئك الذين يرون ان القوة هي حجتهم الوحيدة ، ولكن هذه القوة في نظر كونفشيوس هي الملجأ الأخير الذي يكون تابعا للمستوى الكمالي والشخصي

---

1 محمد فؤاد شبل: حكمة الصين ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، (د-ط) ، ج1 ، (د-ت) ، ص74.

2 المرجع السابق ، ص75.

3 كولر جون : المرجع السابق ، ص312.

"إذا ما أحسست بقلبي أنني مخطئ وجب علي ان أقف خائفا حتى لو كان خصمي اقل الناس قوة ، ولكنني لو أحسست بقلبي أنني على صواب أسير قدما حتى لو كنت سأواجه ألافا أو عشرات الآلاف"1.

ان الفرد كائن أخلاقي في المقام الأول لذلك كانت نقطة الانطلاق الأولى لكونفشيوس لأنه يعتقد ان الخير جبلي في أعماق النفس الإنسانية ، أي ان الفرد خير بطبعه واصل فطرته ، مما يؤدي ذلك إلى ان الشر بعيد أو انحرافا عن الطبيعة الإنسانية ، "ان الناس يولدون خيرين سواسية بطبيعتهم ، لكنهم كلما شبوا اختلف الواحد منهم عن الأخر تدريجيا وفق ما يكتسب من عادات"2.

إذن الفضيلة في المفهوم الكونفشيوسي هي "التي تحقق الكمال الإنساني وأنها الفطرة والطبع السليم والمنهاج الذي يتم به التالف والانسجام ، فالرجل الكامل الخلق يطلب الفضيلة ويفكر في اجتناب الرذيلة وأداء الواجب ويقف على البر ويستبشر بالماء الجاري، أما الرجل الناقص الخلق يطلب اللذة ويفكر في كسب المنافع ويقف على الربح"3.

وقد ادخل كونفشيوس مبدأ أخر في الحضارة الصينية وهو مبدأ /لي/ الذي أكد عليه ورددده باستمرار "ان /لي/ الحقيقي يأتي من القلب ويعني 'الأدب' ، 'اللباقة' ، 'التهذيب' ، والأدب والتهذيب استعدادات داخلية بقدر ماهي طرق للسلوك الخارجي" 4. وفي موضع آخر يقول كونفشيوس بخصوص /لي/: "لا تنظر إلى أي شيء لا يكون /ليا/ ، لا تصغ إلى أي شيء لا يكون /ليا/ ، ولا تقول أي شيء لا يكون /ليا/ ، ولا تقوم بحركة لا تكون /ليا/"5.

---

1 كريل ه – ج : الفكر الصيني من كونفشيوس إلى ماوتسي تونج ، ت: عبد الحميد سليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د-ط) ، 1998 ، ص44.

2 محمد عبد الله الشرقاوي: المرجع السابق ، ص50.

3 المرجع السابق ، ص ص50 51.

4 فان براج –ه-: حكمة الصين ، ت: موفق المشنوق ، دار الأهالي ، دمشق سوريا ، ط1 ، 1998 ، ص109.

5 المرجع السابق ، ص109.

ان طبيعة الفعل الأخلاقي لا تكمن في الفعل ذاته ، بل فيما يترتب عليه من نتائج "اترك ما تملكه من مبادئ تقودك لان تفعل أفضل ما عندك للآخرين عندئذ ستكون جديرا بالثقة فيما تقوله ، وهذا هو الرجل النبيل" 1، وبغض النظر عن نتائج الفعل وما يسببه من لذات وألام أو يحقق منفعة ذاتية ، بل الفعل المقصود هنا هو الذي يحقق الغاية العظمى والأبعد من الخيرات والسعادات للآخرين ، أي ان المصلحة المرجوة من الفعل هي مصلحة ذات طابع اجتماعي لان المرء كائن اجتماعي لا يستطيع ان يعيش حياته إلا وسط المجموع حيث يقوم بينهم الاتحاد والاحتكاك الذي يجب ان يتم بطرق فاضلة.

ولكي يتمسك المجتمع بالأخلاق الفاضلة في نظر كونفشيوس وجب عليه ان يسلك ثلاث مسالك:

1- احترام الوالدين والعناية بتماسك الأسرة: والبر بالوالدين في نظر كونفشيوس واجب لأنه يؤدي إلى التضامن الأسري ، وهذا ما أكده الإسلام في قوله تبارك وتعالى:"ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا"2.

وهذا التضامن الأسري يضمن النظام والاستمرار لذلك عندما تسود الألفة بين الزوج وزوجته وأولادهما يشبه المنزل قيتارة وعودا قد تآلفت أنغامهما ، وعندما يعيش الإخوة في تالف وسلام حينئذ يظل المجتمع إلى الأبد في وحدة وانسجام.

2- مسلك التدرج والرفق: "فمن الناس من نستطيع محادثته بالعلم ، ولا يمكن ان نحمله على السير معنا بمقتضى الفطرة ومنهم من يكون ذا خلق قويم شديد التمسك بالفطرة والكمال الإنساني ، ولكن لا يمكننا مشاورته في تقدير الشؤون"3.

3- القدوة والأسوة: "هي العامل الحاسم في الدعوة إلى الاخلاق ، فهو يرى ان الرجل الفاضل يستطيع ان يؤثر بسلوكه القويم أكثر من أي بيان مهما تكن بلاغته ،

---

1 هالة ابو الفتوح ، المرجع السابق ، ص70.

2 سورة الاحقاف ، اية رقم15.

3محمد عبد الله الشرقاوي ، المرجع السابق ، ص53..

ومن غير ان يهتم بالرياء في دعوته ، ولقد كان يدعو تلاميذه بأخلاقه العملية كما يدعوهم بكلماته"[1].

1 المرجع السابق ، ص54.

ثانيا-طبيعة الاخلاق في الفلسفة اليونانية:

تعتبر الفلسفة اليونانية من اعرق وأقدم النماذج الثقافية والحضارية التي عرفتها البشرية فأثينا كما يقول بيريكليس (490ق-م-429ق-م):"هي معلمة العالم"1.

فسقراط sokrates (469ق-م -399ق-م) وأفلاطون Platon (427ق-م – 347ق-م) وأرسطو من اكبر معلمي العالم ، والأنساق الفلسفية اليونانية تقوم على ثلاث مباحث رئيسية : الانطولوجيا ، الابستيمولوجيا ، الاكسيولوجيا ، وثلاثية القيم ، الحق ، الخير ، الجمال هي جوهر الاكسيولوجيا. فالبحث الأخلاقي قاسم مشترك بين جميع الفلاسفة وسنتعرض لأهم المدارس اليونانية.

1-المدرسة السوفسطائية:

استطاعت أثينا بعد جهود مغنية ، وبعد ان كادت تقع فريسة لجحافل الفروس الفارسية ان تنتصر على الأعداء في موقعة "سلامين" ، "فاندكت الارستقراطية دكا وقام على أنقاضها بناء الديمقراطية ، ومحا العلم والفلسفة عقائد الدين الجامدة ، ولم تكد تهوى هاتان الدعامتان حتى انهار في أثرهما كل شيء ، فانحلت الاخلاق والعادات وذهبت هيبة السلطان واحترام التقاليد ، فحطمت الاخلاق باعتبارها أغلالا تلجم الإنسان وتعوق غرائزه الطبيعية"2.

وبعد انتصارهم على الفروس الفارسية توصل الإغريقيون الى أنهم "لا يستطيعون تضميد جراحهم إلا بخلق عقلية جديدة تؤمن بالقيم الإنسانية المطلقة وبقوة العقل ، وتفتح المجال أمام الانتصارات العقلية التي تحرر النفوس والأرواح"3.

الشيء الذي أدى بالجهود تتجه نحو تحليل الذات الإنسانية وظهر على إثرها المذهب السوفسطائي ، وإذا حاولنا معرفة معنى كلمة سوفسطائي لوجدناها في اليونانية تعني: "المعلم أو رجل المعرفة الذي يعلم الحكمة ويلقنها للناس ويساعدهم على امتلاكها ، لان الحكمة مع السوفسطائيين لم تعد وقفا على الآلهة ، ودليل ذلك

---

1 برتراند راسل: حكمة الغرب ، الجزء الأول ، ت: فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد 62/فبراير/ ، 1983، ص22

2 احمد أمين و زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ط2 ، 1966 ، ص64.

3 السيد محمد بدوي ، المرجع السابق ، ص37.

أنهم انزلوها من السماء إلى الأرض وقاسوها بمقاييس بشرية وعمموها ، وخلقوا طموحات وأفكارا وقيما جديدة"1.

وما أعلمه ويعلمه غيري عن السوفسطائيين أنهم يكسبون عواطف العامة عن طريق المقدرة الكلامية والخطابية ، وبالتالي يتلاعبون بعقول الناس فكان بروتاجوراس Protagoras (عاش في القرن 5ق-م) يعلم قواعد النجاح في السياسة ، و جورجياس Gorgias (485ق-م-380ق-م) كان يعلم البلاغة وعلم السياسة ، و بروديكوس(prodicus) يعلم قواعد النحو والصرف ، و هبياس(Hippias) يعلم التاريخ و الطبيعة و السياسة ، وغرضهم كان تعليم اليونان ليكونوا صالحين.

وراحوا يرتحلون من مكان إلى آخر بحثا في التعليم مقابل الأجر ، وبدل من ان ينشد السوفسطائي راح يطلب النجاح المبني على فن الإقناع و الإفحام و الإغراء "وبالرغم من ان السوفسطائيين مع معاصرهم سقراط أول من انزل الفلسفة من السماء إلى الأرض ، وعبروا عن المشكلات الإنسانية الواقعية في عصرهم....بحيث لعبوا دورا شبيها بالدور الذي لعبه رجال التنوير في القرن 18 في فرنسا من أمثال فولتير voltaire (1964م-1778م) و روسو (1712م-1778م) و ديدرو Didero (1713م-1784م) عقب ثورة أوربا الصناعية"2.

ويبدوا من شعار بروتاجوراس"الإنسان مقياس الأشياء كلها" إنكار وجود حقائق موضوعية مطلقة ، فتصبح بذلك الحقائق وليدة الإحساسات و الانطباعات الذاتية ، ويبطل القول بوجود حقائق موضوعية مستقلة عن الفرد وظروفه ، ما يؤدي إلى تعدد الحقيقة بتعدد مدركي هذه الحقيقة ، والشيء الذي دعا بروتاجوراس إلى القول بهذا الشعار "انه رأى ان المعلومات التي تصل الينا إنما تصل من طريق الحواس ، و ادراك الحواس مختلف عند الناس ، فلا يمكن الاعتماد عليها لإدراك ان هناك شيئا

---

1 حسين حرب: الفكر اليوناني قبل أفلاطون ، دار الفارابي ، بيروت ، ط1 ، 1989 ، ص79.

2 محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية ، دار قباء ، القاهرة ، (د-ط) ، 1998 ، ص49.

حقا خارجيا في الواقع" [1]. من هنا تتضح نسبية الاخلاق لأنها تختلف من شخص إلى أخر.

-نسبية القيم الأخلاقية:

ارتبطت القيم بجميع أشكالها الأخلاقية عند السوفسطائيين بالفرد و ميوله في المجتمع و الدولة ، وان حقيقة الأشياء هي كما تبدوا بالنسبة لي وحقيقتها بالنسبة لك هي كما تبدوا لك "ان اثر أي شيء يختلف تبعا للفرد المتأثر به وللظروف المحيطة به ، فالشيء الذي يعتبر خيرا بالنسبة لفرد ما قد يكون شرا بالنسبة للأخر ، وما هو خير للفرد في وقت ما قد لا يكون كذلك بالنسبة له في وقت أخر ، فموضوعية الأمر الخير شيء قائم و معترف به لكنه يختلف من شخص لأخر" [2] ، هذا ما دفع السوفسطائيين إلى الاعتقاد انه إذا كان شيء يمكن ان يكون أخلاقيا وجب ان يكون قانونا للجميع صادقا و ملما لجميع الناس ، و هذا بطبيعة الحال لا يمكن ان يتأسس "ان مشاعري و أحاسيسي لا تلزم أي احد سواي ... فما أظنه صوابا يكون صوابا بالنسبة لي ، و ما تظنه صوابا لك هو صوابا بالنسبة لك" [3] ، ويقول هيراقليطس في ذلك:"ان ماء البحر في نفس الوقت نقي و ملوث ، فهو صالح للشرب و ضروري للأسماك ، غير صالح للشرب و قاتل للإنسان"[4].

ويؤكد هذه العلاقة بين نسبية الخير و المنفعة بروتاجوراس لأنه يرى ان الخير متساو مع النافع للإنسان ، فطبيعة الخير و الشر عند السوفسطائيين ترد إلى اللذة و الألم لأنهم "اعتقدوا بإمكان إقناع المتالمين باللجوء إلى الحجة و ما يرونه مؤلما أو شرا هو الظاهر وليس الحقيقة ، وما يرونه لاذا على خلاف ذلك ليس خيرا بالضرورة ، بل بالظاهر..." [5] ، وأكثر من ذلك ذهب بروتاجوراس يوضح مفهوم الخير باللجوء إلى علم الطب و يتضح ذلك في قوله :"عندما يمارس الاطباء

---

1 احمد أمين و زكي نجيب محمود: المرجع السابق ، ص ص97 98.

2 ابو بكر ابراهيم التلوع: الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي ، قان يونس ، بنغازي ، (د-ط) ، 1995 ، ص35.

3 وولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، (د-ط) ، 1984 ، ص106.

4 ابو بكر ابراهيم التلوع: المرجع السابق ، 35.

5 ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 ، 1991 ، ص55.

مهارتهم على الأجسام اسميهم الاطباء ، و عندما تكون هذه المهارة مطبقة على النباتات اسميهم علماء النبات ، وبالمثل الخطباء الجيدون و الماهرون يصنعون الخير بدلا من الشر الذي يبدوا عادلا للمدن"1.

فالمعرفة إذن هي معرفة الفرد الواحد نسبة إلى أشياء خاصة به ، من هنا نجد تراسيماخوس يعرف العدالة أنها "لا شيء سوى مصلحة الفريق الأقوى في الدولة ، و كل ما يفضي إلى خدمة مصلحة الحكام حق و عدل وخلافه ظلم"2.

ويتضح من ذلك ان الضرورة الطبيعية انتقلت إلى المجال الأخلاقي عند السوفسطائيين ، وأصبحت المبدأ الأخلاقي الذي يحكم السلوك وفي ذلك يقول جورجياس:"انه ليس من الطبيعي للأقوى ان يحكم الأضعف بواسطة الأضعف...ولكن الأضعف يحكم و يقاد بواسطة الأقوى بمعنى ان الطبيعة هي التي تهدي الفرد إلى الفضيلة و الخير ، و كأنها تصدر عن طبائع البشر تلقائيا"3.

ولكن موقف السوفسطائيين لم يلق قبولا واخص من معاصرهم سقراط لأنهم حرصوا على رد القيم إلى الإنسان ، و جعلوها متغيرة بتغير الزمان و المكان ، ومتطورة باختلاف الظروف و الأحوال ، وعلى الإنسان في نظرهم ان يستخدم ذكائه في إشباع شهواته و تحقيق سعادته ، حتى لو اقتضى الأمر ان يتخفى و يتظاهر بالتقوى و الاستقامة.

هذه الأفكار و الآراء السوفسطائية المتناقضة "جعلت سقراط يقف خصما عنيدا للسوفسطائيين منتقدا أفكارهم و مفندا لأرائهم ، مما سببوه من انهيار للقيم الأخلاقية لدى الناس و اختلاط الأمر لديهم ، الأمر الذي أدى بهم إلى عدم التمييز بين الخير و الشر"4.

---

1 ابو بكر ابراهيم التلوع: المرجع السابق ، ص35.

2 ماجد فخري: المرجع السابق ، ص61.

3 محمد مهران رشوان: المرجع السابق ، ص51.

4 مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، ج2 ، دار قباء ، القاهرة ، (د-ط) ، 2000 ، ص136.

من كل هذا نحاول ان نتعرف على المنهج السقراطي الذي تحدى به السوفسطائيين في نسبية الحقائق و القيم.

2-منهج سقراط الأخلاقي:

اعتقد سقراط ان كل إنسان يحمل حقائقا في نفسه خاصة تلك المتعلقة بحياته العملية كالأخلاق ، وبالتالي فقد أعطى سقراط للأخلاق مكانا رئيسيا في فلسفته ، ونلمح ذلك في عبارته المشهورة " العلم فضيلة و الجهل رذيلة"، و سقراط هجر كل أنواع العمل لأنه "لم يأبه لأية فلسفة تتعلق بالطبيعة وموجوداتها ، ولا بأخرى ما ورائية تتجه إلى مسائل مجردة ، وإنما صرف جل اهتمامه إلى المعرفة التي يكون الإنسان مصدرها بطريقة التوليد من ذهنه ، وتكون غايتها نشر الفضائل في المجتمع"1.

وعلى اثر هذا "كان سقراط دائم البحث عن المعرفة متجها إلى الإنسان ، فهي إذن أخلاقية تقود الإنسان إلى الكمال والفضيلة ، وأخلاقه مبنية على المعرفة لان الفضيلة تقوم على العلم"2.

أ) معرفة النفس: ان القاعدة السقراطية المكتوبة على معبد جزيرة ذلفى "أيها الإنسان اعرف نفسك بنفسك" نعتبرها نحن كما اعتبرها سقراط أول خطوة في ميدان المعرفة ، والتي بها تنتظم حياتنا ، فوجب علينا ان ندركها لأنها قاعدة اجتماعية إنسانية من اجل تنظيم الحياة ، وجلب السعادة التي يبحث عنها الإنسان.

ان المعرفة عند سقراط أساس الحكمة ، والحكمة هي سبيل الوصول إلى الخلق السليم ، ومعرفة النفس بما في طبيعتها من خير ومعرفة قدراتها تجعل الإنسان يدرك موقعه من الآخرين لتستقيم علاقته بهم ، "أما من لا يعرف نفسه ويسرف في استعمال ملكاته وقواه ، فانه لا يقدر الأشخاص بل ولا الأشياء لا يخرج من خطا إلا وقع في خداع ، فلا يصل إلى خير وينوء كاهله بالشقاء"3.

---

1 اسعد السحمراني: المرجع السابق ، ص65.

2 ناجي التكريتي: الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام ، دار الأندلس ، بيروت ، ط2 ، 1982 ، ص21.

3 اندريه كرسون: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ، ت: عبد الحليم محمود وأبو بكر زكرى ، دار الشعب ، القاهرة ، 1952 ، ص74.

ب) الفضيلة والعلم: ان الفضيلة في نظر سقراط أثمن شيء في الوجود وبواسطتها تتحقق السعادة للإنسان ، فالسعادة المرجوة ليست تلك التي تأتي عن طريق الحظ ، وإنما التي تتحقق بالعلم.

وهذا إشارة من سقراط في قوله الفضيلة علم لأنه "بغير العلم لا يتم العمل وحيث يوجد العلم يوجد العمل ، إذن تحقيق الغاية يقتضي أولا الوسائل التي تؤدي إلى هذا التحقيق ، أي ان العمل يقتضي العلم مقدما"1.

وهناك قضية أخرى وهي"ان الإنسان لا يمكن ان يفعل الشر وهو عالم بأنه يفعل الشر لأنه ليس في طبعه بل الشر مصدره الجهل ، فالشيء المفيد وجب ان يفعله الإنسان ولا يؤجله ، وهذا العلم فوق كل الشهوات والأهواء التي يمكن ان تحدث معه ، فان وجد العلم يوجد العمل"2 وهذا ما اشرنا اليه سابقا.

وهكذا اثبت سقراط المبدأ الرئيسي الذي تقوم عليه الاخلاق ، وللتوضيح أكثر نأخذ أمثلة على ذلك: فمثلا فضيلة الشجاعة تقوم على العلم ، لكن الشجاع من يعرف ماهية الخطر المقدم عليه والوسائل التي تؤدي إلى درء هذا الخطر ، والتقوى مثلا هي العلم بما يجب على الإنسان نحو الله ، والعدالة كذلك هي العلم بما يجب على الإنسان نحو الآخرين ، وضبط النفس هو العلم بما يجب على الإنسان نحو نفسه.

إذن متى حصل العلم الحقيقي يحصل العمل الخير ، "ولا يكون هذا الخير إلا بتوافق الإرادة والعقل وبذلك لا يقدم المرء على الشر باختياره ، فكل الشرور ناشئة عن الجهل وجميع الخيرات مبعثها العلم ، فالفضائل بذلك قابلة للتعليم ويمكن تعويد الإنسان على الخير باطلاعه على نتائج الأعمال الحسنة ، ولا علاج للشرير من تعليمة نتائج أفعاله السيئة التي تصدر عنه"3.

فهذه الفضيلة أثمن شيء في الوجود كما قلنا سابقا في نظر سقراط والتي بواسطتها تتحقق السعادة ، فلا يمكن الوصول لهذه السعادة إلا بمعرفتنا بمحض

---

1 عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ج1 ، ط1 ، 1984 ، ص576.

2 المرجع السابق ، ص576.

3 محمد عبد الرحمن مرحبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الاسلامية ، المجلد الأول ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت ، (د-ط) ، 2000 ، ص105.

العقل ان الفضيلة هي الطريق الوحيد للوصول إليها ، "فالسعادة ليست ناحية مادية ، وإنما حالة نفسية تتمثل في ضبط الرغبات حتى لا تخرج عن حدود الاستطاعة" [1] ، وتكون بذلك راض النفس مطمئنا وسعيدا تبتعد عن الشقاء الذي يسببه عدم تحديد وضبط الرغبات في نظر سقراط ، لكن هناك أمر آخر كثيرا ما تحدث عنه سقراط وهو القناعة ، "فالقناعة ليس معناها الخمول...انه يحث كثيرا على النشاط ، وعلى العمل لأنه رأى ان الكسل يبعد الإنسان عن السعادة بقدر ما يبعده عن الخلق الكريم"2.

والنفس الإنسانية دائمة البحث عن لحظة فرح تتفيا ظلالها لتفتح الطريق أمام ومضة سعادة تتسلل إلى خبايا الذات فتنتعش الروح وتستكين ، مما يجعلنا نعتبر ان "السعادة هي الغاية الوحيدة للإنسان ولا شيء غيرها ، والتي يستطيع ان نعتبرها المقياس الوحيد الذي نقيس به العمل لنعرف أخيرا هو أم شرا"3.

والطريق الذي يؤدي إلى السعادة هو الحكمة لان "الحكمة تحقق الحرية الحقيقية و تحرر الإنسان من قيود الأشياء المادية ، وهي أساس الحقيقة لأنها تعبر عن العقل المتوازن الذي لا يميل مع الهوى"4.

ويتضح مما قلناه عن الاخلاق السقراطية ان الشغل الشاغل لسقراط هو البحث في الإنسان وأخلاقه ، بذلك عارض السوفسطائيين وفند آرائهم لان الإنسان في نظر سقراط "هو الروح وهو العقل الذي يسيطر على الحس ويدبره ، وان من يحترم القوانين العادلة ، يحترم العقل والنظام الإلهي"5.

وما نلمسه في نظريته الأخلاقية انه طبقها تطبيقا دقيقا , وان موته لأكبر دليل على ذلك لأنه عاش من اجل الإنسانية ومن اجل العقل والروح ، لأنه شجاع لا يهاب الموت في سبيل الحق ولا يهابها كذلك من اجل دنيا اللذات الحسية والشهوات

---

1 عبد الفتاح سيد صديق: السعادة كما يراها المفكرون ، مؤسسة عز الدين ، بيروت ، (د-ط) ، (د-ت) ، ص10.

2 المرجع السابق ، ص11.

3 احمد أمين: كتاب الاخلاق ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط3 ، 1931 ، ص35.

4 اسعد السحمراني: المرجع السابق ، ص68.

5 ليلى ويليام: مقدمة في علم الاخلاق , ت: علي عبد المعطي محمد , منشاة المعارف , الإسكندرية , (د-ط) , 2000 , ص46.

البهيمية ,ومعرفتي الهزيلة عن سقراط انه كان أنبل الناس خلقا وأبسطهم حياة وأنقاهم سريرة "لان السعادة التي كان ينشدها سقراط لنفسه ولغيره من البشر لم تكن قائمة خارج الإنسان وإنما في داخله "1.

كما انه جعل قواعد الاخلاق ثابتة غير متغيرة ,ومقياس الخير والشر لا يتوقف على مصالح الناس ,وقد واصل تلاميذ سقراط حمل عبء التفكير الأخلاقي بعده ومنهم أفلاطون الذي عني اشد العناية بالأبحاث الأخلاقية حتى نستطيع ان نقول ان مذهبه العام يسوده مذهبه الأخلاقي الخاص.

3-نظرية أفلاطون الأخلاقية:

سار أفلاطون في مسار أستاذه سقراط خاصة من الناحية الابستيمولوجية والأخلاقية "ففي المعرفة فصل بين المعرفة الظنية بالمحسوسات والماهيات المفارقة للمادة "المثل" ، ومن هنا عد الخير أسمى المثل ومصدر الوجود والكمال" 2 ، وبذلك يخالف أستاذه سقراط إذ انه يتجاوز الماهيات المتحققة في الموجودات الحسية وهذا ما يعرف بالمثل.

ويبدأ أفلاطون حديثه عن الاخلاق مبينا بذلك ان الفضيلة ليست مرادفة للذة ردا بذلك على السوفسطائيين ويتضح ذلك في قوله:"ان هذا القول يستدعي ان لا شيء حق في ذاته ، بل الحق نسبي فما يكون حقا بالنسبة لي قد لا يكون حقا بالنسبة لك ، وما يكون فيه لذة لشخص قد يكون فيه الم الأخر ، وبهذا لا يكون الخير والشر متمايزين ولا يكون لكل منهما حقيقة ذاتية"3.

لعب أفلاطون دورا كبيرا في إلغاء الاتجاه السوفسطائي الذي أقام الاخلاق على العواطف والوجدان ، وهدف أفلاطون ان يجعل القانون الأخلاقي عاما لكل الناس

---

1 المرجع السابق , ص47.

2 مصطفى حلمي: الاخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام , دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004 ، ص41.

3 احمد أمين وزكي نجيب محمود: المرجع السابق ، ص121.

في كل وقت وحين ، "ولا يشير هذا إلا بإقامته على اسمي جانب مشترك في طبائع البشر ، ونعني به العقل"1.

وأضاف لموقف أستاذه تجاه السوفسطائيين فرأى"ان الفعل الخلقي يتضمن جزاءه في باطنه , وان الإنسان الفاضل يؤدي الفعل الخير لذاته باعتباره غاية في نفسه , وألغى بذلك المذهب السوفسطائي الذي وضع غاية الاخلاق خارج الأفعال , ورهن الخيرية باللذة التي تنجم عنها "2.

ومن ثم فغاية النشاط الأخلاقي "تقع داخل الفعل الأخلاقي لا خارجه ، وبذلك يكون للأخلاق قيمة باطنية لا مجرد قيمة خارجية ، فمثلا لا يجب ان نقوم بما هو صواب من اجل شيء أخر وإنما نقوم بالصواب لأنه صواب ، وبالتالي نجعل الفضيلة غاية في ذاتها"3.

والشيء الذي يلفت الانتباه مخالفة أفلاطون لأستاذه سقراط في بعض المسائل كالصلة بين الفضيلة والعلم ، هذه الصلة رفضها أفلاطون ورأى "ان العلم ينتقل من عقل إلى عقل عن طريق البراهين والأدلة وليست الفضيلة كذلك ، لان أفاضل أثينا لم يمكنهم ان يصيروا أبنائهم فضلاء مثلهم ، إذن فالعلم لا يصير الرجل فاضلا"4.

وإذا عرجت وجهتي للحديث عن النفس الإنسانية لوجدت أفلاطون يقرر "ان النفس وسط بين عالمين: عالم علوي وعالم سفلي (عالم المثل – عالم الحس) ، لهذا فهي تجمع بين خصائص العالمين من حيث أنها كانت واحدة في العالم الأول ، وإذا هبطت إلى الأرض مسخت وشوهت وانقسمت إلى أقسام"5. وأقسامها هي:

1- النفس الناطقة: وهي جوهر روحي خالد ، تتولى إدارة الجسم وقيادته إلى الرفعة بالتفكير ، ومقرها الرأس لشرفها وعلو منزلتها.

---

1 توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية ، الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، (د-ط) ، 1960 ، ص45.

2 مصطفى حلمي: المرجع السابق , ص41.

3 وولتر ستيس: المرجع السابق ، ص187.

4 محمد الشرقاوي: المرجع السابق ، ص ص70 71.

5 قاسم:محمود: دراسات في الفلسفة الاسلامية ، دار المعارف، مصر ، ط3 ، 1970 ، ص247.

2- النفس الغضبية: وهي مادية فانية ومقرها الصدر ، متصلة بالنفس الناطقة واذعانها للأوامر والنواهي بخضوعها للعقل.

3- النفس الغاذية الشهوانية: بطبيعة الحال هي الأخرى مادية فانية مقرها البطن ، وهي مرتبطة بالالتذاذ والتألم ، وهي أدنى من النفس الغضبية لأنها محرومة من كل تفكير.

أ) الفضيلة عند أفلاطون:

ان التقسيم الثلاثي للنفس الذي ذكرناه يقابله تقسيم ثلاثي للفضيلة ، وهذه الأخيرة تدبر قوى النفس الثلاث ، "فالحكمة فضيلة العقل تكمله بالحق ، والعفة فضيلة القوة الشهوانية تلطف الأهواء فتترك النفس هادئة والعقل حرا ، ويتوسط هذين الطرفين الشجاعة ، وهي فضيلة القوة الغضبية تساعد العقل على الشهوانية ، بذلك تقاوم إغراء اللذة ومخافة الألم" 1 ، وهناك فضيلة رابعة وهي العدالة التي تعني خضوع الشهوية للغضبية وإذعان الغضبية للعقل.

وطبيعة الفضيلة جعلته يختلف كذلك مع أستاذه ورأى "ان العلم وحده لا يكفي لكي يصبح الإنسان فاضلا ، لان الإنسان يعرف الشر ويأتيه ويعرف الخير ولا يفعله ، وإنما لابد بجانب العلم بالفضيلة ان يؤمن الإنسان بها ويزيل العقبات التي تعترضها كالبيئة الفاسدة والقدوة السيئة... فالفضيلة إذن ليست علما" 2 ، وتحقيق الفضيلة لا يكون إلا "بإخضاع الجسد لسيادة النفس وأوامرها ، أما ان وقع العكس فأخضعت النفس لنزوات البدن ينتشر الفساد وتعمم الرذيلة ، وان من أراد نصيبا من الفضيلة في هذه الحياة ما عليه إلا اعتماد الفكر الملزم للحس والنفس المتسلطة على البدن بما تمتلك من حكمة"3.

ب) الفضائل في الدولة في نظر أفلاطون: ان الدولة التي رسمها أفلاطون في الجمهورية تبدوا خيرة إذا تحققت فيها الفضائل الأخلاقية الأربعة.

---

1 يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1936 ، ص118.

2 ناجي التكريتي: المرجع السابق ، ص59.

3 اسعد السحمراني: المرجع السابق ، ص77.

1- الحكمة: وتأتي نتيجة للمشورة الحكيمة أو التدبير الجيد ، لان المشورة الجيدة مصدرها العلم ، والعلم المقصود هو العلم الذي يدرس سلوك الدولة، وهذا العلم سماه أفلاطون بفن الحماية ، ولا يتوفر إلا لدى الحكام الذين وصفهم أفلاطون بالحماة.

2- الشجاعة: وللكلام عن هذه الفضيلة بطبيعة الحال نشير إلى طبقة واحدة ، وهي التي يعتمد عليها في حالات الاعتداء والحروب ، وهذه الطبقة تمتلك القوة اللازمة للمحافظة على البقاء ، وعلى هذا حث أفلاطون على تدريب البدن وتربية العقل لهذه الطبقة.

3- الاعتدال: ان الدولة إذا تحققت فيها فضيلة ضبط النفس تستحق ان تسمى سيدة نفسها بسيطرة الجزء الأحسن على الجزء الاسوء في الدولة.

4- العدالة: تتحقق فضيلة العدالة في الدولة إذا أدى كل فرد وظيفته التي اعد لها ، وهذه الفضيلة هي المسؤولة عن وجود الفضائل الثلاث واستمرارها.

وسواء كنا بصدد الدولة أو الفرد فان المسالة التي لفتت انتباهي مالسبيل إلى الحياة السعيدة في نظر أفلاطون؟. والجواب "يجب ان يتوفر في الفرد كما يجب ان يتوفر في الدولة شروط الانسجام ، وهي في الوقت نفسه شروط للصحة العامة ، وهي عند الفرد قيام كل طائفة من الاستعدادات السيكولوجية بدورها المخصص لها ، وهي في الدولة ان تؤلف كل طبقة من الأفراد الذين هم أهل بالطبيعة ، وان تقوم كل طبقة بدورها ، هذا وإذا تحقق عند الفرد وعند الدولة ، فإنهما يحصلان على التوازن النفسي والتوازن الأخلاقي والصحة والسعادة"1.

4-الاخلاق عند ارسطو:

إذا كان أفلاطون قد استخف بعالم الشهادة وحاول ان يعلو على دنيا الحس ، فان ارسطو كان على العكس يميل إلى الوقع ويتمسك بدنيا التجربة الإنسانية ، وهكذا ندرك ان ارسطو كان واقعيا يرى تحقيق الخير ميسور في دنيانا الفعلية . يقول ارسطو في كتابه الاخلاق النيقوماخية: "ان كل الفنون , وكل الأبحاث العقلية المرتبة

1 محمد عبدالله الشرقاوي: المرجع السابق ، ص71.

وجميع أفعالنا وجميع مقاصدنا الأخلاقية يظهر ان غرضها شيء من الخير نرغب في بلوغه" 1 , ومن الطبيعي ان يبدأ الحديث بمحاولة تعيين غاية الحياة "لان الغايات وان تعددت فهي مرتبة فيما بينها يخضع بعضها لبعض ويؤدي إليها , ولابد من الوقوف إلى غاية قصوى لها قيمتها بذاتها وتتوجه إليها الأفعال جميعا , هذه الغاية هي من غير شك الخير الأعظم"2.

ويذهب ارسطو إلى الاعتقاد ان الاخلاق توجد حيثما يوجد الإنسان , وهذا هو الفرق بين الكائن العاقل والكائنات الأخرى , فهذه الأخيرة ليست قادرة على إصدار الحكم الأخلاقي , لذلك أكد ارسطو على حقيقة ان "الفعل الأخلاقي خاص بالإنسان , حيث ان الحيوانات لا تستطيع ان تدرك الأحسن أو الأفضل وتخطط من اجل تحقيقه"3 ، إذن نحاول ان نتعرف على المفهوم الذي حدده ارسطو للخير.

أ) الخير في المفهوم الأرسطي:

كما رأينا ان الفعل الأخلاقي خاص بالإنسان عند ارسطو ، كذلك الخير خاص بالإنسان فهو جزء من العلم المدني أو السياسة التي تبحث عن خير المجموع , وهو أسمى واشر ف من خير الفرد يقول ارسطو"إذا كانت كل معرفة وكل اختيار إنما يتشوف خيرا ما , وهذا الخير الذي هو أعلى وارفع من جميع الأشياء التي نفعل فنقول :انه يكاد ان يكون أكثر الناس قد اجمعوا عليه بالاسم , وذلك ان الكثير من الناس والحذاق منهم يسمونه السعادة , ويرون ان أحسن العيش,وحسن السيرة هي السعادة" 4. والخير الأقصى الذي يجب ان نختاره لذاته لا لغاية ابعد منه ، وانه يكفي وحده لإسعاد الناس لماذا؟ لأنه ينظر في أفعال الإنسان بما هو إنسان ، فالإنسان مدني بطبعه ، وبالتالي لا يبلغ الكمال إلا في المدينة.

وان أهم عنصر في الحياة الخيرة عند عامة الناس يقوم في فعل الخير كما يحدده تصور الكمالات الخلقية المختلفة ، والتي من شانها ان تضع الإنسان في اللانهاية

---

1 ارسطو : علم الاخلاق إلى نيقوماخوس:ت:احمد لطفي السيد ، دار صادر ، القاهرة , الجزء الأول (دـط)، 1924 ، ص ص 167-168.

2 يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية,المرجع السابق ص243

3 ابو بكر ابراهيم التلوع: المرجع السابق ص22

4 اسعد السحمراني: المرجع السابق.ص22

لان لكل تطلع أو أمل علما يناط به ، "وكما انه يوجد عدد كثير من الأعمال ومن الفنون ومن العلوم المختلفة ، توجد بقدره غايات مختلفة" [1] ، فمثلا الغرض من العلم الاقتصادي هو الثروة ، والغرض من الطب هو الصحة...

فمعرفتنا لهذا الخير الأعظم هي الغاية القصوى والتي يتوقف عليها توجيه الحياة ، وهذه الغاية هي علم السياسة ويتضح ذلك في قول ارسطو:" نقطة أولى يظهر أنها بديهية وهي ان الخير يتبع العلم الأعلى ، بل العلم الأساسي أكثر من جميع العلوم ، وهذا هو على التحقيق علم السياسة" [2] ، والذي يعين ماهي العلوم الضرورية لحياة الممالك ، والتي يجب على أهل الوطن ان يتعلموها لأنه يهدف إلى تحقيق السعادة دون غيره من العلوم ، ويتضح من هذا ما تمتاز به الاخلاق اليونانية "افعل هذا لأنه يؤدي إلى سعادتك"[3].

ب) السعادة عند ارسطو:

ان غرض الإنسان الأسمى هو السعادة في نظر ارسطو ويبدأ بالاعتراف "ان هدف الحياة ليس الخير في حد ذاته ، بل السعادة لأننا نختار السعادة لذاتها لا لشيء آخر ، ونحن نختار الشرف والسرور والإدراك لأننا نعتقد أننا نصل عن طريقها إلى السعادة ونكون سعداء بفضلها"[4].

ان السعادة الأرسطية ليست في الثروة ولا في ألقاب الشرف ، لان هذه ليست غايات تطلب لذاتها ويرفض ان تقترن بالسعادة ، وإنما السعادة قيمة في حد ذاتها وهدف يطلب لذاته ، لان ارسطو آذته رؤية الرجال الذين وصلوا إلى النفوذ واستعبدتهم الشهوات.

ويتضح ذلك أكثر في قوله:"ان أكثر الناس على ما يظهرهم على الحقيقة عبيد يختارون بمحض ذوقهم عيشة البهائم ، وان من يعطيهم في ذلك بعض الحق ويبرر

---

1 ارسطو: علم الاخلاق إلى نيقوماخوس ، المصدر السابق ، ص169.

2 المصدر السابق ، ص171.

3 عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ، المرجع السابق ، ص122.

4 ول ديورانت: قصة الفلسفة ، تع: فتح الله المشعشع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط4 ،1982 ، ص86.

لهم فعلهم فيما يظهر ، هو ان العدد الأكبر من أولئك الذين لهم السلطان لا ينتفعون به إلا في ان يسلموا أنفسهم إلى الإفراطات الجديرة –بساردانابال-"1.

وهذا الأخير كان من ذوي السلطان الذين مالوا إلى الشهوات والافراطات في الملذات الحسية ، وهؤلاء يعتبرون السعادة في الحياة الحيوانية ، وهي نظرة العبيد التي لا يعيرها ارسطو اية أهمية "هؤلاء العامة من بني البشر الذين عندما وصلوا إلى القوة والتعظيم استعبدتهم الشهوات ، وبعضهم يراها في الثراء غير أنهم خاطئون فليس للثراء أي نفع مباشر عاجل بحيث تنشا عنه السعادة في الحال ، وبعضهم يراها في المجد ولكن المجد ليس رهن إرادتنا مع ان السعادة يجب ان تكون رهن إرادة الذي يبحث عنها"2.

وهناك نقطة في غاية الأهمية ركز عليها ارسطو وهي فكرة الوظيفة يقول في ذلك:"ان كل إنسان منا يستطيع ان يؤدي وظيفته بإتقان وبإهمال كذلك ، وهو إذا ما أداها بإتقان امتلأت نفسه غبطة وسعادة لأنه استطاع ان يحقق مواهبه في أكمل صورها"3.

وتصبح الغاية والهدف من وجودنا يحدده ارسطو في الشعور بالغبطة ، "ان الشعور بالغبطة نتيجة للعمل الطيب ، والسعادة في عبارة أخرى ليست سلبية وإنما حركة فعالة فنحن لا نتقبل السعادة ، وإنما يجب ان نسعى للحصول عليها لان هدف الحياة هو الحصول على السعادة ، وذلك بالقيام بأعمال صالحة بإرشاد العقل وهدايته"4.

---

1 ارسطو: علم الاخلاق إلى نيقوماخوس ، المصدر السابق ، ص ص178 179.

2 اندريه كريسون: المشكلة الأخلاقية ، المرجع السابق ، ص ص117 118.

3 السيد بدوي: المرجع السابق ، ص54.

4 هنري توماس: المرجع السابق ، ص121.

ج) الفضيلة عند ارسطو:

من المعلوم ان ارسطو أكد على ان الفضيلة الأخلاقية تكتسب عن طريق التعلم لا عن طريق الطبيعة والفطرة.

- الفضيلة هي: استعداد مكتسب يتأصل في طبيعة الإنسان ، ويدفعه إلى العمل الإرادي المتأني وفقا للوسط العدل.

- الفضيلة هي: ملكة اختيار الوسط العدل بين طرفين كلاهما شر الأول شر بسبب الإفراط ، والثاني بسبب الشح أو النقص"1.

ومن خلال هذا التعريف يتضح ان الفضيلة وسط ، وهذا الوسط ينطبق على كل الفضائل الأخلاقية فمثلا: الشجاعة وسط بين التهور والجبن ، والحلم وسط بين الشراسة والضعف ، والعزة وسط بين الغرور والخسة ، والاعتدال وسط بين الشهوانية والبلادة.

ففي كل الحالات ما علينا إلا ان نتحاشى الإفراط والتفريط لان التمرين الرياضي يقضي على القوة ، وعدم التمرين يأتي عليها كذلك.

1حسين عبد الحميد احمد رشوان: المرجع السابق ، ص63.

ثالثا- طبيعة الاخلاق في الفلسفة الإسلامية:

1-القيم الأخلاقية عند العرب في الجاهلية:

ان التسمية التي أطلقت على عصر العرب قبل الإسلام هي العصر الجاهلي ، إلا ان هناك من يرى "ان وصف هذا العصر بالجاهلي لم يكن إلا تعبيرا عما كان عليه من الفطرة والخلق الطبيعي"1.

غير ان ما اشتهر به العرب الفصاحة والبلاغة والخبرة العالية بفنون القول ، فجاء الإسلام ليكون معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم (570-571م/632م) الكبرى لما برعوا فيه ، ويتضح ذلك في قوله عز وجل:"وانْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فأْتُوا بِسُورَةٍ منْ مِثْله وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ الله انْ كُنْتُمْ صَادِقِينْ"2.

ان لفظ الجاهلية اسم تردد في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة وهو "لفظ يطلق على ما مضى واسما للحال ، وهو الغالب في الكتاب والسنة وقول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: انك امرؤ فيك جاهلية ، وقول عائشة رضي الله عنها (توفيت 58هـ- 678م) : كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء ، وقولهم: يا رسول الله كنا في جاهلية وشر ، أي في حال جاهلية أو طريقة جاهلية أو عادة جاهلية ، فالجاهلية صفة ولكن غلب عليه الاستعمال حتى صار اسما"3.

فالملاحظ ان العرب في الجاهلية يعيشون معيشة بداوة تميل إلى الفطرة والخلق الطبيعي البعيد عن عقد الحضارة والمدنية ، يتقلبون بين أرجاء هذه المعيشة البدوية التي تتعاقبها الأفاعيل الجوية.

لكن وليس من السهل ان أتحدث بما فيه الكفاية عن أخلاق العرب قبل الإسلام لقلة الكتابة في ذلك ، إلا أنني سأشير إلى بعض الفضائل التي تميز بها العربي قبل الإسلامي من مروءة وكرم وإيثار....الخ.

---

1 محمد إسماعيل فضل الله: نماذج من المشكلات الفلسفية والاجتماعية والسياسية والقانونية ، مكتبة بستان المعرفة ، بيروت ، (د-ط) ، 2004 ، ص199.

2 سورة البقرة: آية رقم23.

3 محمود شكري الالوسي البغدادي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، الجزء الأول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د-ط) ، (د-ت) ، ص ص15 16.

ان العربي لم يفكر في ان يكون له مثل أعلى وتفكير فلسفي ، إلا انه تميز بحقائق أخلاقية خاصة به تتلائم مع بيئته البدوية التي يعيش فيها ، يقول باسكال:"الحق له بيئاته وأعصره ، فاتفاق الشعوب جميعا على كثير من الحقائق الأخلاقية دليل على انه ما من شعب مهما كان حظه قليلا من الحضارة والمدنية"1.

والعربي يعيش في مجال محدود لم تتشعب أمامه سبل الحياة ، مما أدى إلى محدودية خياله وعدم تنوع المظاهر أمامه ، ومع ذلك لم يمنعه من معرفة النفس الإنسانية وما فطرت عليها من طبائع ، وبدافع الحياة الفطرية الطبيعية هدوا إلى الفضائل التي كانوا يتواصلون بها ويفخرون بتوارثها.

لقد قامت حياة العرب على مقومات حياتية في جزيرتهم منها الاخلاق ، وعاشوا في شبه مصح أخلاقي حال بينهم وبين ما حولهم وبين التسلل بأنواع الغوايات الحسية والموبقات في أنماط العيش ، لقد كانوا في عصمة طبيعية ومنعة ظاهرة من اقتحام هذه اللا أخلاقيات التي تفشت في مجتمعات من حولهم ، فأخلاق العربي "كانت وليدة الصحراء والحالة البدائية التي كانت حصن البدوي ومعتصمه دون هجمات الطامعين والفاتحين علمته ان يكون طليقا ، وعيشته القاسية علمته ان يكون قنوعا صبورا على الشقاء والعناء"2.

والحقيقة ان الشخصية العربية امتازت بالقيم والمبادئ الأخلاقية بما تنطوي عليه من علو النفس والمروءة والتسامح والإيثار والصبر ، إنها شيم رفيعة عاش عليها العرب قبل الإسلام.

ان القيم الرفيعة والخصال الحميدة انتشرت بين العرب في الجاهلية انتشارا واسعا ، والدليل على ذلك ان أشعارهم عجت بهذه الفضائل التي سارت فيها اخبارهم وتحلى بها الكثير منهم ، والشاعر العربي قبل الإسلام فرد متميز "يعكس في شعره رؤية خاصة للمجتمع تشكلت من خلال مقولات وقيم اجتماعية ، من هنا كان موقف

---

1 محمد يوسف موسى: فلسفة الاخلاق في الإسلام ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ط3 ، 1963 ، ص5.

2 حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي ، دار الجيل ، بيروت ، (د-ط) ، (د-ت) ، ص85.

الشاعر تمثيلا لموقف المجتمع من نفسه أو موقف الضمير من الإنسان ، وحصيلته الشعرية ماهي إلا مرآة عاكسة للمجتمع الذي يعيش فيه"1.

وهاهو الدكتور محمد يوسف موسى (1899م-1963م) يؤكد "ان العرب في تلك الفترة من حياتهم عرفوا وثاقة الصلة بين العلم والفضيلة ، فمن عرف الخير في عمل اندفع اليه بباعث من المعرفة"2.

أما بالنسبة للحديث عن القيم الأخلاقية عند العرب قبل الإسلام وأكثرها حضورا والمعروفة لدى العرب.

-المروءة: وهي الجامعة للخصال المحمودة كلها والمانعة من جميع الصفات المذمومة ، وفي ذلك يقول الأستاذ الدكتور جواد علي (1907م-1987م):"وتتمثل المثل الجاهلية العليا في المروءة ، وقد فسرت أنها كمال الرجولية ومن المروءة الحلم ، الصبر ، والعفو عند المقدرة ، وإكرام الضيف ، وإغاثة الملهوف ، ونصرة الجار ، وحماية الضعيف ، والمروءة عند الجاهليين ، الدين عند المسلم"3.

والمروءة: ألا تفعل سرا وأنت تستحي ان تفعله جهرا ، وهي أقصى ما يكون من أخلاق في الرجل الكامل الشجاع.

اقرها الإسلام في جملة ما اقره من فضائل الجاهلية وورد ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم:"لا دين إلا بمروءة" ، وقال ربيعة: المروءة ست خصال ثلاثة في الحضر وثلاثة في السفر ، فأما التي في السفر فبذل الزاد وحسن الخلق ومداعبة الرفيق ، وأما التي في الحضر فتلاوة القران ، ولزوم المساجد وعفاف الفرج ، وقول عمر رضي الله عنه: المروءة مروءتان ، مروءة ظاهرة ومروءة باطنة ، فالمروءة الظاهرة الرياش ، والمروءة الباطنة العفاف"4.

---

1 عبد الجليل يوسف حسني: الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص ، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر ، ط1 ، 2007 ، ص20.

2 محمد يوسف موسى: المرجع السابق ، ص7.

3 المرجع السابق ، ص9.

4 احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد ، تحقيق: د- عبد المجيد الرحيني ، المجلد الثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د-ط) ، (د-ت) ، ص150.

غير ان القول في كيفية المروءة يختلف هناك من يرى أنها: "إنصاف الرجل من هو دونه والسمو من كان هو فوقه ، والجزاء بما أوتي اليه ، وآخر يرى ان مروءة الرجل في صدق لسانه واحتماله عثرات جيرانه ، وبذل المعروف لأهل زمانه وكف الأذى عن أباعده وجيرانه ، ومنهم من قال ان المروءة التباعد عن الخلق الدنيء فقط"1.

إنها القيمة المركزية التي يتحقق بها السؤدد ، وهذا ما لاحظناه عند الأستاذ ابن عبد ربه (246هـ- 328هـ) في كتابه العقد الفريد عندما وضع المروءة في باب السؤدد ، وهذا لأهميتها لأن السؤدد أسمى قيمة في المجتمع العربي الجاهلي.

بالفعل انه مفهوم يجمع الخصال المحمودة كلها ، ويمنع من جميع الصفات المذمومة ، وما قيل في المروءة: "خصلتان فيهما جماع المروءة اجتناب الرجل ما يشينه واكتسابه ما يزينه ، أصل المروءة الحياء وثمرتها العفة ، بالصدق تكمل المروءة ؛ اشرف المروءة حسن الأخوة ؛ المروءة في الامرة والعفو مع المقدرة والمساواة في العشرة ؛ جماع المروءة ان لا نعمل في السر ما تستحي منه في العلانية" 2 ؛ وقالوا في المروءة كذلك "من اخذ من الديك ثلاثة أشياء ، ومن الغراب ثلاثة أشياء تم بها أدبه ومروءته: من اخذ من الديك سخاءه وشجاعته وغيرته ، ومن الغراب بكوره لطلب الرزق وشدة حذره وستر سفاده"3.

-الكرم: وهو من القيم والفضائل الأخلاقية التي تكثر بها الإشادة عند العرب قبل الإسلام ؛ وهاته الاخيرة تعتبر من الفضائل الأخلاقية العالية التي تميز بها العرب فتاهوا بها وافتخروا بها على الأمم ، وقد بعثتها فيهم كما قلنا آنفا حياة الصحراء القاسية وما فيها من إجداب "فالكرم قيمة سامية في الموروث العربي ذلك ان دلالة هذه الكلمة ترتفع في المخيال العربي إلى أسمى درجة لتحمل معنى الشرف ،

---

1 محمد عابد الجابري: العقل الأخلاقي العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 2001 ، ص520.

2 هادي المدرسي: موسوعة الإمام علي في الاخلاق ، دار الجيل ، بيروت ، (د-ط) ، (د-ت) ، ص ص 457 458.

3 احمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي: المرجع السابق ، ص151.

فوصف الشيء انه كريما لا يعني فقط انه يبذل ويعطي ، بل أيضا انه شريف وذو قيمة غالية"1.

ودلالة الكرم الأخلاقية انه مقترن بالمعروف ، والمعروف بطبيعة الحال ضد المنكر "ان المعروف هو الكرم والجود ، أي إعطاء المحتاج قبل ان يسال ، أما المعروف بعد السؤال والطلب فليس كرما وإنما عوض عن محنة الطلب والسؤال"2.

لقد أصبح الكرم عند كثير من العرب طبعا وسجية حتى ملك عليهم نفوسهم ، والذي يلفت الانتباه ويدل على كرم العرب وسخائهم انه "كانت لهم نار تسمى نار القرى ، وهي نار الضيافة توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل ، وكانوا يوقدونها على الأماكن المرتفعة لتكون أشهر وربما أوقدوها بالمندلى الرطب ، وهذه النار عند اجل سائر نيرانهم" 3. ويقول في ذلك احد الشعراء في وصفه بعض أجواد العرب :

له نار تشب على يفاع إذ النيران البست القناعا

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

ومن مظاهر كرمهم العجيبة كذلك حبهم لكلابهم وكانوا "يقتنون الكلاب لأمور منها أنها تدل الأضياف على منازلهم بنباحها وكانوا يمدحونها على ذلك:

أوصيك خيرا به فان له خلائقا لا أزال احمدها

يدل ضيفي علي في غسق الليل إذا النار نام موقدها"4.

والدافع إلى الكرم عند عرب الجاهلية كان "ذاتيا واجتماعيا في ان واحد فمن جهة كانوا يجودون لأنهم يتلذذون بالجود وصنع المعروف ، ويرون ان في الكرم

---

1 محمد عابد الجابري: المرجع السابق ، ص511.

2 المرجع السابق ، ص512.

3 محمود شكري الالوسي البغدادي: المرجع السابق ، ص ص69 70.

4 المرجع السابق ، ص70.

لذة لذاته بغض النظر عن الثناء والحمد والذكر الحسن ، وحين يصير الكرم عادة وجبلة لا يستطيع صاحبه إلا ان يكون كريما ، فالعربي يجود لان الجود يشبع في نفسه رغبة"1.

وان من أشهر عرب الجاهلية الذي عرف بجوده وسخائه وضرب به المثل حاتم الطائي ، "انه جوادا يشبه جوده شعره ، ويصدق قوله فعله ، وكان حيثما نزل عرف منزله ، وكان مظفرا إذا قاتل غلب" 2 ؛ يقول لابنه إذا اشتد البرد "أوقد نارا في يفاع من الأرض لينظر إليها كل من أضل الطريق ليلا ويأتي نحوها وقال:

أوقد فان الليل ليل قر والريح يا موقد ريح صر

عل يرى نارك من يمر إذا جلبت ضيفا فأنت حر"3.

ومن جميل ما اتذكره ان حاتم الطائي يخاطب زوجته ويوصيها إذا صنعت له الطعام ان تطلب له ضيفا ليشاركه فيه ، فهو لا يريد ان يأكل وحده مخافة ان يتحدث الناس عنه بالبخل بعد موته يقول في ذلك:

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له أكيلا فاني لست آكله وحدي

أخا طارقا أو جار بيت فإنني أخاف مذمات الأحاديث من بعدي

واني لعبد الضيف ما دام ثاويا وما فيَ إلا تلك من شيمة العبد.

ومن دوافع الكرم عند العرب "ان أصحاب الأموال لن يحملوا معهم هذه الأموال إلى قبورهم ، بل يتركونها لغيرهم يتمتعون بها يقول حاتم في ذلك:

فنفسك أكرمها فانك ان تهن عليك فلن تلقى مدى الدهر مكرما

أهن للذي تهوى التلاد فانه إذا مت كان المال نهبا مقسما

---

1 محمد عابد الجابري: المرجع السابق ، ص513.

2 البغدادي محمود شكري الالوسي: المرجع السابق ، ص73.

3 الأندلسي احمد بن محمد بن عبد ربه: المرجع السابق ، ص242.

ولا تشقين فيه فيسعد وارث به حين تغشى اغبر الجوف مظلما

يقسمه غنما ويشري كرامة وقد صرت في خط من الأرض أعظما

قليلا به ما يحمدنك وارث إذا نال مما كنت تجمع مغنما"1.

ويقول في ذلك أوس بن حجر فاخرا بإحدى مكرماتهم:

"فان يعط منا القوم نصبر وننتظر مني عقب ظمئ مورد

وان نعط لا نجهل ولا ننطق الخنا ونجز القروض أهلها ثم نقصد"2.

ويمكننا ان نقول ان نصيب حاتم الطائي من الكرم "كان أوفر وان جوده في ذاكرة الجماعة كان ابعد ، وان سيطرة نموذجه على وعي الأمة ونفاذه فيها عبر الأجيال كان مقترنا بهذه الفضيلة ، مما أدى إلى بقائه في ذاكرة الأمة مثلا يقتدى به على الكرم"3.

-الحلم: ومن الفضائل الأخلاقية التي تحلى بها العرب قبل الإسلام وهو "إمساك النفس عن هيجان الغضب ، كما ان التحلم إمساكها عن قضاء الوطر ؛ والحلم من آثار العقل وغير منفك عنه ، ولهذا يعبر به عن كل عقل ظهر ، ولا يتم حلم الإنسان إلا بإمساك الجوارح كلها ، والعرب كانوا يحرمون الظلم ويتحالفون على الكف عنه"4.

ومن مظاهر الحلم عند العرب يتضح في تداولهم بعض الكلمات في مواطن الغضب والتشاجر ، من بين هذه الكلمات "إذا ملكت فاسجح" ، ويقصد بها طلب العفو والحلم عند ثوران القوة الغضبية ، "ولو لم يكونوا املك لنفوسهم واقدر على

---

1 الجابري محمد عابد: المرجع السابق ، ص513.

2 بيومي السباعي: تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي ، الجزء الأول ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط2 ، 1959 ، ص280.

3 عبد الجليل يوسف حسني: المرجع السابق ، ص137.

4 محمود شكري الالوسي البغدادي: المرجع السابق ، ص99.

مجاراة عقولهم لما تمكنوا على الارتداع ، فهم احلم في النفار من كل حليم ، واسلم في الخصام من كل سليم"1.

وإذا ذكر الحلم في الجاهلية نتذكر قيس بن عاصم المنقرى (9هـ) "إذ جيء له بابن أخيه وقد قتل ابنا له ، فلم ينقض حبوته ولم يقطع حديثه وأمر بفك وثاق ابن أخيه ، ولم يزد على ان ذكره بأنه نقص عدده واوهن عضده واشمت عدوه وأساء قومه ، ثم أمر بدفن ابنه وبدفع ديته إلى والدته مواساة لها وقال:

إني امرؤ لا يعترى لا يعترى خلقي دنس يفنده ولا افن

من منقر في بيت مكرمة والغصن ينبت حوله الغضن"2.

ومما يقولونه في الحلم كذلك "إذا نزا بك الشر فاقعد أي فاحلم ، ولا تسارع اليه أيضا ، إذا ارجحن شاصيا فارفع يدا أي إذا رايته قد خضع واستكان فاكفف عنه"3.

-**الشجاعة:** ومن القيم التي تحلى بها العرب أيضا ، لأنهم اعتبروها "من الصفات العزيزة والسجايا الطبيعية ، وهي الإقدام في مواضع الإحجام وعدم المبالات بالحياة ولا بالممات ، وكلما كانت هذه الآثار أعظم كان مبدؤها أقوى وأتم"4.

الشيء الذي أدى بهم إلى جعلها من أمهات الفضائل فهم "يتزامنون بموت المرء حتف انفه ، ويتمدحون بالموت قطعا بأطراف الرماح وتحت ظلال السيوف"5.

ويتضح ما قلناه في قول السموءل:

ومات منا سيد حتف انفه ولا طل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظبات نفوسنا وليس على غير الظبات تسيل

---

1 المرجع السابق ، ص101.

2 موسى يوسف محمد: المرجع السابق ، ص14.

3 احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ت: عبد المجيد الرحيني ، المجلد الثالث ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د-ط) ، (د- 1) ، ص40.

4 محمود شكري الالوسي البغدادي: المرجع السابق ، ص104.

5 موسى يوسف محمد: المرجع السابق ، ص11.

والأخطار المحدقة بحياة الصحراء علمت البدوي ان يكون شجاعا "فهو أبدا غاز أو مغزو أو معرض لإحدى الحالتين ، انه دائما في قتال مع الأعداء من الناس والحيوان وعوامل الطبيعة القاسية ، عصمته سيف وحصنه ظهر جواده وعدته الصبر ، وأكثر ما تتجلى شجاعته في النزال والدفاع والنجدة"1.

ومن مثلهم أيضا الوفاء بالعهد والإخلاص ، فعلى الرغم من ان البدوي لا يتردد في الإغارة وسلب ممتلكات القبائل الأخرى ، إلا ان ذلك لم يمنعه من المحافظة على الودائع والأمانات.

2-القيم الأخلاقية في فجر الإسلام:

من الجفاء ان أتحدث عن القيم الأخلاقية في نور الإسلام دون الإشارة إلى مصدرها لان الاخلاق في الإسلام جزء لا يتجزأ من الشريعة الاسلامية ، وهنا يتبادر مباشرة إلى أذهاننا السؤال التالي: هل تقوم الاخلاق على أساس ديني ، أم يقوم الدين على أساس أخلاقي ، والإجابة تضمنها قول الله تعالى لرسوله: "وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمْ"2.

ان التدين الحقيقي يورث الاخلاق القويمة السديدة ، أما الاخلاق التي تحددها القوانين والنظريات والفلسفات أيضا تبقى نسبية في الصحة ، والحل يكون بقواعد الخلق المستمدة من الدين ، "ان الدين بما تضمنه من معتقدات ومبادئ وأوامر ونواهي ، وقيم ومثل عليا وقواعد عامة للسلوك يلعب دورا هاما في حياة الأفراد ويكون مصدرا أساسيا من مصادر الإلزام الخلقي"3.

ان ما يميز القواعد الخلقية المستمدة من الدين عن القواعد الخلقية المستمدة من الذات والمجتمع هو قداستها ، وتستمد هذه القدسية من مصدرها الإلهي ، إنها راجعة إلى الوحي المنزل من عند الله تبارك وتعالى.

---

1 حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ، المرجع السابق ، ص85.

2 القران الكريم: سورة القلم ، اية رقم 4.

3 اسعد السحمراني: المرجع السابق ، ص99.

فهذا المصدر جعلها تخلو من النسبية على غرار العلوم الأخرى ، وهذه الاخيرة وان تباينت أصولها وشرقت وغربت فصولها وتعددت أبوابها وتنوعت أحكامها تبقى نسبية في الصحة ، فالوحي المنزل من عند الله أغلاها مهرا وأقومها قيلا وأصحها دليلا وأوضحها سبيلا ، فهو شمس ضحاها وبدر دجاها ؛ ولم لا وشرف كل علم بشرف موضوعه.

ان دمار الأمة أي امة إنما يكون بموت أخلاقها الإنسانية ، فلا تنهزم امة في المجال العسكري إلا إذا انهزمت في المجال الأخلاقي ، والبشرية الآن تهذي كالسكران وتضحك كالمجنون وتجري كالمطارد تئن من الألم تبحث عن أي شيء ، وهي في الحقيقة تملك من وسائل الأمان كل شيء ، ولكنها حين ابتعدت عن القيم الأخلاقية فقدت كل شيء.

نعم ان الاخلاق الاسلامية "أصيلة في مصدرها لان مصدرها الوحيد القران والسنة المطهرة ، ولا يجوز ان يقال ان للأخلاق الاسلامية مصدرا آخر وهو الفلسفات الشرقية والفلسفة اليونانية ، بل ولدت كاملة في القران وطبقت كاملة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"1.

انه من الإجحاف ان نرجع مصدر الاخلاق الاسلامية إلى مصادر أخرى ، لان مصدرها الوحيد كفيل بالخير المطلق ويتسم بالثبات والاستقرار ، فالاخلاق الاسلامية تنصف بجذورها العميقة كالشجرة الطيبة التي ضرب الله بها مثلا في القران الكريم ، ويتضح ذلك في قوله "أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءْ"2.

والشريعة المنزلة من عند الله "جاءت لتوجه الفطرة التي هي من خلقه سبحانه وتعالى ، تلك الفطرة التي يعتليها على مر العصور غبار الضلال العقدي والانحراف الأخلاقي الناتج عن الإغفال عن حق الخالق ما يؤدي إلى الإغفال عن حق النفس وحق الغير ، أي يقع الانحراف الأخلاقي كلازم عن الضلال العقدي"3.

---

1 محمد عبد الله الشرقاوي: المرجع السابق ، ص112.

2 القران الكريم: سورة ابراهيم ، اية رقم24.

3 محمد عبد القادر احمد: من قضايا الاخلاق في الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ، (د-ط) ، 2003 ، ص49.

فالدين لم يأت ليضاد الاخلاق أو يحل محلها ، ولكن ليؤكدها لان الدين والأخلاق متداخلتان ، "ولقد كانت الآيات القرآنية التي وردت مورد الأوامر الإلهية مطابقة لمقتضيات العقل السليم وللحكمة وللحقيقة وللعدالة وللاستقامة ، إلى جانب قيم أخرى يتكون منها بناء الضمير ذاته"1.

وهكذا نرى ان الإسلام قد ارتبطت جوانبه برباط أخلاقي لتحقيق غاية أخلاقية ، الأمر الذي يؤكد ان الاخلاق هي روح الإسلام ، وان النظام التشريعي الإسلامي هو كيان مجسد لهذه الروح الأخلاقية التي تشمل الجميع ، "لان القران لا يفضل شعبا على أخر إلا بما يتصف به من مكارم الاخلاق ، وانه يطلب من المؤمن ان يجمع بين مصالح الدنيا والآخرة ، وان يقيم حياته على أساس روحي يعرفه بما يجب عليه لخالقه ولنفسه وللناس أجمعين وان يدرك القيم التي تضمنها الوحي المنزل من عند الله"2.

فالاخلاق في الإسلام فيض من ينبوع القران لان "القران لا يتوقف عند ملكاتنا العليا ، بل يعني عناية خاصة بإيقاظ مشاعرنا النبيلة والشرعية على ان تتحرك تحت رقابة العقل ، انه يتوجه دائما إلى ذاتنا...إلى هذا الجانب المنير من نفوسنا...إلى ملكاتنا القادرة على الفهم ، وعلى ان تقدر في كل شيء ما يضر وما ينفع وتقدر القيم على اختلافها"3.

إذن ان ما يمتاز به المتخلق بالأخلاق الدينية انه "يستمد قيم سلوكه من الدين ويتصرف بمنتهى الالتزام بها لان مخالفتها وان خفيت عن الناس لا تخفى عن الله ، وهذا ما يدفع المؤمن لكي يكون له سلوك ومنهاج خلقي واحد ، لان سلوكه ليس خاضعا لتأثير المصالح أو لنوع الأشخاص الذين يتعامل معهم ، فهي تستمد من ينبوعها قوة نافذة تلزم بها في العلن والخفاء"4.

---

1 المرجع نفسه ، ص50.

2 جميل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية ، دار الكتاب العالمي ، ط3 ، 1995 ، ص19.

3 محمد عبد الله دراز: مختصر دستور الاخلاق في القران ، دار الدعوة ، ط1 ، 1997 ، ص10.

4 اسعد السحمراني: المرجع السابق ، ص104.

وبهذا المنظور يمكن ان نتحدث عن بعض القيم والفضائل الأخلاقية في نور الإسلام لأن كل إنسان يستطيع ان يحقق الفضيلة في نفسه وان يرتقي بها "ومن مجموع الأفراد تسود الاخلاق الفاضلة في إطار مبدأ ابدأ بنفسك يقول شوقي (1868م-1932م):

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقم"1

والإنسان كائن اجتماعي استخلفه الله تعالى في الأرض وكرمه وفضله يقول تعالى "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمْ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبر وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطيبَات ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً" 2. ومن خلال كل هذا سوف ندخل إلى البستان اليانع الماتع بستان القيم الأخلاقية كنماذج عن المفهوم الأخلاقي في الإسلام لنستلهم الدروس والعبر وما أكثرها ، لنجمع الرحيق والزهر والثمر وما أكثره ، ونجمع كذلك الدرر واللالئة والجواهر:

أ- العدل: صفة خلقية كريمة ، وتعني التزام الحق والإنصاف في كل أمر من أمور الحياة ، ولأهمية العدل قرنه الله تبارك وتعالى بالأمانة يقول تعالى:"اِنَّ الله يَأمُرُكُمْ اَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاس ان تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ، ان الله نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِه ان الله سَمِيعًا بَصِيرًا"3.

والعدل في الإسلام هو مما يكمل أخلاق المسلم لما فيه من اعتدال واستقامة وحب للحق ، ويدل كذلك على شهامة ومروءة من يتحلى به "فالعدل ضرورة إنسانية يقود إلى الفضائل الأخلاقية لأنه أساس رئيسي في انتظام العلاقات الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية ، وهو قرين العمل الصالح والبر والإحسان ، بينما نقيضه وهو الظلم سبيل إلى الفواحش ومنكر الأعمال التي أمر ربنا سبحانه وتعالى بتجنبها" 4 ؛ ويتضح ذلك أكثر في قوله تعالى: "ان الله يأمركم بالعدل

---

1 محمد عبد القادر احمد: التفلسف الإسلامي جذوره ومشكلته ، دار المعارف الجامعية ، الإسكندرية ، ط1 ، 2008 ، ص303.

2 القران الكريم: سورة الإسراء ، اية رقم70.

3 القران الكريم: سورة النساء ، اية رقم58.

4 اسعد السحمراني: المرجع السابق ، ص117.

والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون"1.

وهو فضيلة فردية وفي نفس الوقت فضيلة اجتماعية لأنه يتعدى الى الغير ، ومن الأمور التي تسترعى الانتباه في التطبيق الإسلامي لمبدأ العدل ذلك "التحذير الشديد من خطورة تغلب مشاعر الكراهية أو العداوة إزاء بعض الناس أو الجماعات ، وتأثير ذلك بالسلب على تطبيق مبدأ العدل" 2 ، يقول تعالى:"وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنْآن قَوم عَلَى أَلَّا تَعْدِلوا اعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَى"3.

كما تضمنت السنة النبوية الشريفة مجموعة من الأحاديث التي تقر وتوطد العدل بين الناس بعدم التعدي على القيود والحدود الشرعية التي جعلها الله سبحانه وتعالى واجبة التنفيذ ، وفي ذلك حديث المراة المخزومية القرشية التي سرقت وقرر الرسول صل الله عليه وسلم تنفيذ الحد عليها ، وعظم ذلك على رجال من قريش ، فطلبوا من أسامة بن زيد ان يشفع لها عند رسول الله ، فلما تحدث أسامة اليه في أمرها غضب وقال لأسامة مستنكرا:"أتشفع في حد من حدود الله ، إنما اهلك الذين من قبلكم إنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد...وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها"4.

وبالجملة فالإسلام أكد على فضيلة العدل في العقيدة والشريعة والأسرة والعهود والقضاء وكل شؤون الحياة فلا شيء انفع من العدل ، ولا شيء اضر من الجور؛ قال الاسكندر لحكماء الهند "ايما افضل العدل أم الشجاعة؟ فقالوا: إذا استعمل السلطان العدل أغناه عن الشجاعة ، فالعدل ميزان الله الذي وضعه للخلق ونصبه

---

1 القران الكريم: سورة النحل ، اية رقم ، 90.

2 محمود حمدى زقزوق: الإنسان والقيم في التصور الإسلامي ، دار الرشاد ، (د-ط) ، 2004 ، ص118.

3 القران الكريم: سورة المائدة ، اية رقم8.

4 الإمام الزبيدي: مختصر صحيح البخاري ، الشركة الجزائرية اللبنانية ، الجزائر ، ط1 ، 2007 ، رقم الحديث ورقم الباب(902/30) ص222.

للحق ، فلا تخالفه في ميزانه ، ولا تعارضه في سلطانه ، واستعن على العدل بخلتين: قلة الطمع ، وكثرة الورع"1.

وبذلك يكون العدل من إحدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به ، فواجب على الإنسان ان يبدأ بعدله في نفسه ثم بعدله مع غيره "أما عدله في نفسه يكون بحملها على المصالح وكفها عن القبائح ، ثم توقيف أحوالها على اعدل الأمرين من تجاوز أو تقصير ، وأما عدله في غيره فثلاثة أقسام: الأول عدله فيمن دونه كالسلطان مع رعيته ، والثاني عدله فيمن فوقه كالرعية مع سلطانها والصحابة مع رئيسها وهو بشيئين إخلاص الطاعة وبذل النصرة ، والثالث عدله مع اكفائه ، ويكون بثلاثة أشياء ترك الاستطالة ، كف الأذى ، ومجانبة الادلال"2.

ولأهمية العدل ابلغنا الله تبارك وتعالى بعدله وحرم الظلم على نفسه ، وحذرنا من الوقوع في الظلم لان الإسلام يربا بالمسلم عن الوقوع في أي لون من ألوان الظلم ، والظالم مطرود من رحمة الله ؛ "فالتظالم محرم بيننا إلا من اختار ان يظلم نفسه ويكون ذلك بإرادته ، أما ان يظلم الإنسان غيره ويهجر السلوك العادل فذلك أمر توعد الباري تعالى فاعليه بالعقاب واللعنة" 3 ، يقول الله عز وجل: "فَأَوْحَى إِلَيْهِم رَبُّهم لَنَهْلِكَنَّ الظَّالِمِينْ"4.

ولإزالة الظلم قيد الله تبارك وتعالى حرية بني البشر ببعض القيود ، وهي بمثابة الحدود الشرعية الواجبة التنفيذ لمواجهة قوى الشر والفساد ومحاربة الظلم يقول تعالى: "تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون".

وأخيرا لتوطيد قيمة العدل والحيلولة دون وقوع الظلم ، إقرار للأمن وتحقيق للمساواة بين أفراد المجتمع ، وإعطاء كل ذي حق حقه دون مشقة وعناء وإذا فقد

---

1 عز الدين الحسين بن عبد الصمد الحارثي: نور الحقيقة ونور الحديقة في علم الاخلاق ، مؤسسة النور للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1987 ، ص132.

2 المرجع نفسه ، ص ص134 135.

3 اسعد السحمراني: المرجع السابق ، ص118.

4 القران الكريم: سورة ابراهيم ، اية رقم13.

العدل أكل الناس بعضهم حق بعض وساءت الفتن وكثرت الجرائم والمنكرات ، وأصبح كل فرد من أفراد المجتمع عرضة لاعتداء الأشرار وضعاف النفوس.

ورحم الله عمر بن عبد العزيز (681م-720م) الذي يعد مثالا لقيمة العدل ، والذي قال فيه إمبراطور الروم حين بلغه نبا وفاة عمر بن عبد العزيز ، بكى بكاء أدهش الحاشية فتعجبوا لما يبكي على خليفة المسلمين فقال: والله لقد مات ملك عادل ، ولا ينبغي للناس ان يعجبوا من راهب زهد في الدنيا وتفرغ للعبادة في صومعته ، إنما ينبغي ان يعجب الناس من ملك بركت الدنيا تحت قدميه فزهد فيها ، لا عجب لأنه حفيد العاهل الذي بركت الدنيا على عتبة داره فطلقها طلاقا بائنا لا رجعة فيه وسرحها سراحا جميلا انه عمر بن الخطاب ، فذاك الشبل من ذاك الأسد لا بل هذا الأسد من ذاك الأسد.

ب- الحياء: ان من القيم النبيلة في حياة الإنسان قيمة الحياء ، "ومن شان الحياء ان يمنع المرء من فعل أي شيء لا يتفق مع الاخلاق الكريمة والسلوك الحميد وهذا يعني ان الحياء والضمير صنوان لا يفترقان"1.

والحياء تاج الاخلاق لذا اختص النبي الحياء من بين شعب الإيمان ، كما ورد في الحديث النبوي: "الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان" 2. والسؤال هنا لماذا ذكر النبي الحياء كنموذج وحيد لشعب الإيمان؟ والجواب بين وواضح وهو ان رفع الحياء رفع الإيمان.

وفي مقابل ذلك يصوننا من الوقوع في الأوزار والآثام ، ويمنع من كل فعل يستقبحه العقل ولا يقبله الذوق السليم ، فإذا تحلى الفرد بهذا الخلق صحت سريرته وعلانيته ، لان الحياء لا يكون إلا على قدر حياة القلب والروح ، قال بعض الحكماء"من كساه الحياء ثوبه ، لم ير الناس عيبه" 3 ؛ ومن ذهب عنه الحياء يقدم

---

1 محمود حمدى زقزوق: المرجع السابق ، ص172.

2 زكي الدين عبد العظيم المنذري:مختصر صحيح مسلم ، الشركة الجزائرية اللبنانية ، الجزائر ، ط1 ، 2007 ، رقم الحديث ورقم الباب(1647/14) ، ص386.

3 عز الدين الحسين بن عبد الصمد الحارثي: المرجع السابق ، ص248.

على ما يشاء ويفعل كلما يهواه ، لذلك قيل: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت ، نتذكر هنا قول الشاعر:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في الخير عيش ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

ولأهمية هذا الخلق الشريف اعتبره النبي صلى الله عليه وسلم من ابرز القيم التي يتميز به الإسلام فقال: "ان لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء"1.

ولذلك فان الإنسان الحيي لا يقبل إلا الحلال من كل شيء في المطعم والمشرب والملبس وغير ذلك لأنه تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به أو يلام عليه ، يبعث على الجميل من الأقوال والأفعال ويمنع صاحبه قبيح الأقوال والأفعال ، ويمنعه كذلك من التقصير في حق صاحب الحق ؛ وهو "سياج خلقي يمنع المرء من فعل أي أمر لا يتفق مع القيم الأخلاقية والدينية ، ويهيئه في الوقت نفسه للالتزام بما يمليه عليه الضمير من سلوك فاضل"2.

بالإضافة إلى ذلك الحياء "مفتاح كل خير ، يمنح الرزق قرين العفاف" 3 ؛ ولنا في رسول الله أسوة حسنة في التمسك بخلق الحياء ، قال ابو سعيد الخدري: كان رسوا الله اشد حياءا من العذراء في خدرها ، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه.

وإذا كان الحياء من الناس حسنا ، فان الأحسن منه كثيرا ان يكون الحياء من الله تعالى لأنه يمنع الإنسان من المعاصي دائما يمحو الخطايا ويدعو إلى امتثال ما أمر الله به "لان الله تبارك وتعالى أحق بان يستحي منه لعظمة عزته ، وجزيل نعمته"4.

ومن هنا في ظل كل المتغيرات ان نحافظ على هذه الفضيلة ؛ لان هناك من العقول من تعتبر الحياء علامة من علامات التخلف في واقعنا المعاصر ،

---

1 رواه ابن ماجة في سننه.

2 محمد حمدى زقزوق: المرجع السابق ، ص173.

3 هادي المدرسي: المرجع السابق ، ص117.

4 عز الدين الحسين بن عبد الصمد الحارثي: المرجع السابق ، ص249.

والمحافظة على هذه الكرامة لا تكون إلا إذا كان للحياء مكانه ودوره في حماية الاخلاق من الانهيار ، لكن ستظل هذه الفضيلة وكما اخبرنا رسولنا خلق الإسلام ، مهما طرا على العالم من متغيرات ومشاهد تدمي القلب ؛ وكفى الحياء شرفا انه صفة لله عز وجل.

ج- الحلم: من المعلوم ان الحلم: "ضبط النفس عن هيجان القوة الغضبية ، وهو من اشرف القيم الأخلاقية وأحقها بذوي الألباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد"1.

إلا ان هناك تفاوت بين الناس وقدراتهم في ضبط النفس ، فمنهم من يكون سريع الانفعال ويقابل الأذى دون النظر في العواقب ، ومنهم من يتمالك نفسه ويكبح جماح غضبه ويلتمس الأعذار لمن أساء اليه وهذا هو الحليم ، "وليس الحليم من عجز فهجم وإذا قدر انتقم ، إنما الحليم إذا قدر عفا وكان الحلم على كل أمره ، لان افضل الحلم كظم الغيض وملك النفس مع المقدرة"2.

ولأهمية الخلق كان من أعطاه الله الخلق العظيم والصفات الحميدة يدعوا الله بان يجعل الحلم زينة له فيقول: اللهم اغنني بالعلم ، وزيني بالحلم ، وأكرمني بالتقوى ، وحملني بالعافية ، لذلك فالرسول حث على الحلم وعمل على تربية المسلمين تربية عملية تأخذ بأيديهم حتى يكونوا حلماء.

د- الصدق: الصدق هو"ان يقول الإنسان الحق كل الحق ، لا شيء غير الحق ، وهو فضيلة خلقية لان من أهم الأسس التي تنبني عليها المجتمعات ، ولولاه ما بقي مجتمع"3.

وأقسام الصدق بطبيعة الحال ثلاثة:

1- صدق في الأقوال وهو استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها.

---

1 المرجع نفسه ، ص210.

2 هادي المدرسي: المرجع السابق ، ص169.

3 أمين احمد: المرجع السابق ، ص142.

2- صدق في الأفعال وهو استواء الأفعال على الأمر كاستواء الرأس على الجسد.

3- صدق في الأحوال وهو استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص.

والصدق طريق من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين ، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه ، وما واجه باطلا إلا أرداه وصرعه ، من صال بالصدق لا ترد صولته ، ومن نطق بالصدق علت على الخصوم كلمته ، وأؤكد لكم ان أزمة العالم أزمة صدق ، وما يبرر هذا الكلام انه ما مزقت أواصر الأخوة وعلائق الحب إلا بالكذب.

وفطرة الإنسان تتنافى مع الكذب وهذا الأخير "هو فساد يصيب نفس المرء وجبن متناه من شخص خاف الناس فكذب ، والعقل السليم يرى ان الفطرة المستقيمة التي لم يلحقها دنس تأبى على صاحبها إلا ان يكون صادقا في ما يقول ويفعل ، وذلك لان في الكذب جرأة على الله وخوفا من العبد الذي لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا"1.

وما يؤكد قيمة الصدق في الحياة ، ان الله تعالى وصف القران الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا يعتريه التغيير بالصدق ، ويتضح ذلك في قوله تعالى: "الذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون"2.

إذن لا سبيل للمرء إلا بالصدق ، فليس هناك أنجى منه في الحياة "فاغتنم الصدق في كل موطن تغنم ، واجتنب الشر والكذب تسلم"3.

وأمر الله تبارك وتعالى عباده بالصدق يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينْ"4 ؛ ونهاهم عن الكذب.

وإذا ذكر الصدق فمن الإجحاف ان لا نذكر من تبوأ ذروة سنام الصديقية في الأمة ألا وهو ابو بكر الصديق (50ق-هـ/ 13هـ) الذي عاين طائر الفاقة يحوم حول

1 اسعد السحمراني: المرجع السابق ، ص134.

2 القران الكريم: سورة الزمر ، اية رقم33.

3 هادي المدرسي: المرجع السابق ، ص267.

4 القران الكريم: سورة التوبة ، اية رقم119.

حب الإيثار ، فألقى له الصديق حب الحب على روض الرضى واستلقى على فراش الفقر آمنا مطمئنا ، فرفع الطائر الحبة الى حوصلة المضاعفة ، ثم تركه هنالك وعلا على أفنان شجرة الصدق ليغرد للصديق بأغلى وأعلى فنون المدح ، وهو يتلوا في حقه قول ربه: "وسيجنبها الأتقى".

ومما سبق ذكره نقول ان الدين الإسلامي ما جاء إلا ليؤكد على أهمية القيم والفضائل في حياة الإنسان ، وان الالتزام بالقواعد الأخلاقية فيه سعادة وخير للإنسان في الفانية والباقية.

3-الاخلاق في نظر مفكري الإسلام:

ان القران والسنة تكفلا كما رأينا ببيان الطريق المستقيم الذي ينبغي على الإنسان ان يسلكه ليكون فاضلا ، فان مفكري المسلمين وبالتحديد في الصدر الأول للإسلام لم يكونوا في حاجة الى البحث العقلي في أساس الخير والشر والفضيلة والرذيلة.

وبعد ان ازدهر الفكر الإسلامي "نشأت مدارس علم الكلام ، ودار النقاش بين المعتزلة وأهل السنة حول مسالة مدى قدرة العقل على التعرف على الخير والشر والحسن والقبح ، بينما كان أهل السنة يذهبون الى ان المرجع في معرفة ذلك هو الشرع ، فما جعله الشرع حسنا فهو حسن وما جعله الشرع قبيحا فهو كذلك ، وليس للعقل شان في بيان الخير والشر"1.

وهكذا بدأت الثقافات الأجنبية تجد طريقها الى المجتمع الإسلامي ، وبدا المسلمون يمتزجون ويختلطون بغيرهم من الشعوب والثقافات الأجنبية المختلفة ، بذلك ترجموا علوم اليونان وفلسفتهم ؛ وها هو ابن المقفع (724م-759م): "ينقل في كتبه خلاصة ما حصل عليه من ثقافات الفرس والهند واليونان" 2. وهذه الاخيرة كان لها الأثر الكبير في العصر الذهبي للدولة العباسية ، هذا ما دفع كثير من فلاسفة الإسلام الى

1 محمود حمدى زقزوق: مقدمة في الفلسفة الاسلامية ، دار الفكر العربي ، (د-ط) ، 2003 ، ص183.

2 المرجع السابق ، ص183.

البحث في الاخلاق بحثا فلسفيا بحضور يوناني ؛ هذا ما أدى الى عدم إنكارنا بأي حال من الأحوال مظاهر الحضور اليوناني في الفكر الأخلاقي عند المسلمين.

بذلك نشأت الاتجاهات الفلسفية في الاخلاق الاسلامية ، ويجدر بي هنا ان أشير الى الاتجاهات والمدارس الأخلاقية بوجه عام:

1- اتجاه بنى نظرياته على أسس فلسفية ، تمكن هذا الاتجاه من الاطلاع على الثقافات الأجنبية من أمثال الفارابي (874م-950م) ، ابن سينا (980م-1037م) ، الكندي (805م-873م) ، مسكويه...."ان هؤلاء لم يترددوا في الاستعانة بالأفكار الأفلاطونية والأرسطية في كتاباتهم لذا فان اثر الثقافة اليونانية في فلسفاتهم كان واضحا وصريحا"1.

2- اتجاه اعتنى بالأخلاق العملية وهي "مستقاة من القران والسنة والحكمة العربية ، ومثل هذا الاتجاه الماوردي صاحب كتاب أدب الدنيا والدين ، يقول في مقدمة كتابه هذا: وقد توخيت بهذا الكتاب الإشارة الى آدابهما – الدنيا والدين- وتفصيل ما أجمل من أحوالهما ، مستشهدا من كتاب الله جل اسمه بما يقتضيه ، ومن سنن رسول الله بما يضاهيه..."2.

3- اتجاه غلبت عليه النزعة الدينية والصوفية ويمثله الغزالي ، استخدم هذا الاتجاه "التجربة الشخصية منهجا لبلوغ الأهداف والحقائق ، وتجنبوا البحث في العلوم النظرية للكشف عن القيم والمبادئ الأخلاقية واستخدموا التدريب العملي والمجاهدة الروحية....ولذلك يرى المتصوفة ان الاخلاق والتصوف شيء واحد فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف"3.

وإذا أردت ان نتحدث هنا عن بعض المواقف الأخلاقية عند فلاسفة الإسلام ، لتذكرت بطبيعة الحال الحكمة العربية القديمة التي تقول "من أخصب تخير" أراها تنقلب علي الآن وتصبح "من أخصب تحير"؛ لأنه من الصعب ان اقتطف زهرة في

---

1 ابو بكر ابراهيم التلوع: المرجع السابق ، ص127.

2 محمود حمدى زقزوق: مقدمة في الفلسفة الاسلامية ، المرجع السابق ، ص ص183 184.

3 ابو بكر ابراهيم التلوع: المرجع السابق ، ص127.

بستان الاخلاق عند مفكري الإسلام ، ونأخذ على وجه السرعة نظرية فيلسوفين من الاتجاه الأول.

أ-نظرية الفارابي الأخلاقية:

ان نظرية الفارابي الأخلاقية تستمد أصولها من النظريات الأخلاقية اليونانية ، وأول ما اهتم به الفارابي في مجال الاخلاق هو العقل ، "فالعقل هو الذي يحكم على فعل ما بأنه خيرا أو شرا ، والسلوك الأخلاقي صادر عن العقل ، وبذلك فضل رجلا يعلم العلم الصحيح ، ولا يعمل بمقتضاه على رجل يعمل العمل الصواب وهو لا يدري المبدأ النظري الذي جاء ذلك العمل تنفيذا له"1.

والغاية الأولى من الاخلاق عند الفارابي هو تحصيل السعادة ، وهذه الغاية هي غاية أخلاق فلاسفة اليونان "افعل هذا لأنه يؤدي الى سعادتك" ، والسعادة التي تنحوها الاخلاق تتمثل في الخير المطلق ، وهي"ان تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود ، بحيث لا تحتاج في قوامها الى مادة ، وذلك ان تصير في جملة الأشياء البريئة من الأجسام...وهي الخير المطلوب لذاته وليست تطلب أصلا ، ولا في وقت من الأوقات لينال بها شيء آخر ، وما ينفع في بلوغ السعادة هو الأفعال الجميلة ، والشرور والأفعال القبيحة تعيقها"2.

ان الهدف الأسمى الذي يسعى اليه الإنسان في نظر الفارابي هو تحصيل الكمالات لتحقيق السعادة ، وهنا يلجا الفارابي الى الربط بين الاخلاق والسياسة لاقتناء الفضائل المختلفة ، وتحقيق هذه السعادة لا يقتصر على سعادة الحياة الفانية ، وإنما على سعادة الحياة الباقية أيضا يقول في ذلك:"كل مدينة يمكن ان ينال بها السعادة والمقصود هنا ، المدينة التي بالاجتماع تتعاون على الأشياء التي تنال بها السعادة ، في الحقيقة هي المدينة الفاضلة ، والاجتماع الذي به يتعاون على نيل السعادة هو الاجتماع الفاضل ، فأي امة تتعاون مدنها تنال السعادة"3.

---

1 سناء خضر: النظرية الخلقية عند ابي العلاء المعري ، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، (د-ط) ، 1999 ، ص361.

2 كامل محمد محمد عويضة: الأعلام من الفلاسفة –الفلسفة الاسلامية- ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1995 ، ص116.

3 ابو نصر الفارابي: أراء أهل المدينة الفاضلة ، تحقيق: البير نصرى نادر ، دار المشرق ، بيروت ، ط4 ، 1973 ، ص118.

وهذه النظرة تتسع من دائرة الأمة لتشمل الإنسانية جمعاء ، يقول الفارابي:"وكذلك المعمورة الفاضلة إنما تكون إذا كانت الأمم التي فيها تتعاون على بلوغ السعادة" 1. ولا يمكن تحقيقها على وجه الأرض إلا إذا "تعاون المجتمع على نيلها بالأعمال الفاضلة....وكل مدينة يمكن ان تنال بها السعادة ، ولكن أكمل اجتماع إنساني هو الاجتماع الذي يشمل على جميع أمم الأرض ، وأحسن دولة تنال بها السعادة هي الدولة الكبرى"2.

وأسس الاجتماع عند الفارابي في حاجة الى التعاون والفطرة الطبيعية للإنسان لان "الإنسان في حاجة الى أشياء كثيرة لا يمكنه الحصول عليها كلها وحده ، فيجد نفسه مضطرا الى التعاون مع جماعة من الناس يقومون بما يحتاج اليه ، ومتى حصل على حاجاته بلغ كماله ، ومن ثم حدثت الاجتماعات ، والفطرة الطبيعية للإنسان تدفعه الى ان ياوى ويسكن مجاورا لمن هو في نوعه"3.

والأخلاق في نظره علم عملي "أي ممارسة الأفعال المحمودة واتباع القدوة الصالحة لاكتساب ملكة الأفعال الخلقية ، فكل إنسان حاصل على القدرة لفعل الخير ، لكنه ينميها بالفعل والممارسة ، وأنها خاضعة للعلم المدني فكان السلوك الفردي يتفرع من السلوك الاجتماعي لان السعادة غاية الفرد وغاية الاجتماع المدني على السواء"4.

وتتحقق هذه السعادة بالدرجة الأولى في نظر الفارابي بالتأمل أي "من الفلسفة والحكمة لان السعادة تحصل بالاكتساب أو تتوقف على جودة التمييز الذي يحصل بقوة الذهن والتي نستفيدها من صناعة المنطق" 5 ؛ والمنطق هو"العلم الذي تعلم به الطرق التي توصلنا الى تصور الأشياء ، لأننا ان جهلنا المنطق لم نقف من حيث

---

1 المصدر نفسه ، نفس الصفحة.

2 كامل محمد محمد عويضة: المرجع السابق ، ص120.

3 علي ابو ملحم: الفلسفة العربية مشكلات وحلول ، مؤسسة عز الدين ، بيروت ، ط1 ، 1994 ، ص275.

4 محمد علي ابو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ، (د-ط) ، 2008 ، ص348.

5 سناء خضر: المرجع السابق ، ص362.

نتيقن على صواب ، ولا نتخير في الآراء كلها حتى لا ندري أيهما صحيح وأيهما فاسد"1.

-الفضيلة: ان الإنسان في بحثه عن تحصيل السعادة مرهون باكتسابه للفضائل ،"فالفضيلة وليدة المعرفة ، لان في نظرية المعرفة يترقى تدريجيا من مفهوم العقل من حيث هو قوة ادراك في الإنسان الى العقل من حيث هو قوة فاعلة تتولى عالم ما تحت القمر"2.

ويرتب الفارابي الفضائل الى أربعة أجناس: الفضائل النظرية ، والفضائل الفكرية ، والفضائل الخلقية ، والفضائل العملية ؛ "أما الفضائل النظرية فتنصب على طلب المبادئ الأولية للمعرفة والعلم بالأشياء علما نظريا ، من حيث هي موجودات لا من حيث منفعتها العملية ، والفضائل الفكرية على الأرجح علوم السياسة والاقتصاد وفن الحرب ، والفضائل الخلقية مدارها البحث في السلوك الأخلاقي للإنسان ، والفضائل العملية التي يراد بها اكتساب الفنون العملية"3.

ولتوضيح معنى الفضيلة أكثر عند الفارابي نراه يستعين بنظرية الوسط الأرسطية ، ويتضح ذلك في قوله "ان العمل الصالح هو الذي يعد وسطا بين الإفراط والتفريط ، إذ ان الإفراط والتفريط مضر بالجسد والنفس معا ، فلشجاعة تعد وسطا بين التهور والجبن ، والكرم وسط بين البخل والتفريط ، والعفة وسط بين الخلاعة وعدم الشعور باللذة"4.

ومما لا شك فيه ان نظرة الفارابي الى اللذة لا تنحصر في لذة واحدة ، بل تتعدد لأنه يرى "ان لذات الحواس سريعة سهلة المنال ، بينما لذات العقل تكتسب بممارسة الخصال الحسنة ، وهي تطابق اسمى غاية يتوقف الى بلوغها الإنسان من حيث انها

---

1 قدرى حافظ طوقان: مقام العقل عند العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، (د-ط) ، (د-ت) ، ص ص115 116.

2 سناء خضر: المرجع السابق ، ص362.

3 محمد علي ابو ريان: المرجع السابق ، ص ص349 350.

4 عاطف العراقي: الفلسفة العربية ، مدخل جديد ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، مصر ،ط1 ، 2000 ، ص151.

تمام كمال فعله وانه ناطق أي حاصل على التعقل ، وبهذا يكون فعل التعقل هو الفعل المطابق لخير الإنسان الأقصى أي لسعادته"1.

ان الحكمة أسمى الفضائل المحققة للسعادة كما اشرنا آنفا ، من خلال هذا يميز الفارابي بين الفضائل ، ويؤكد ان هناك "فضائل تحتاج الى تعليم ، وفضائل تحتاج الى التأدب ، والفضائل كلها تحتاج الى التعليم والتأدب على تفاوت تباينها ، ويتولى مهمة التعليم والتأدب الرئيس أو من ينوب عنه أي رئيس المدينة الفاضلة"2.

وذلك لان الخصال التي يريد ان يراها مجتمعة في رئيس المدينة الفاضلة هي "ان يكون محبا للتعليم ، ومحبا للصدق وأهله ومبغضا للكذب وأهله وغير شره على المأكول والمشروب والمنكوح ، وان يكون حسن العبارة ، وان يكون بالطبع محبا للعدل وأهله ومبغضا للجور والظلم وأهلهما...وان يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده"3.

ب-نظرية يحي بن عدي الأخلاقية:

ان نظرة يحي بن عدي للأخلاق تأثرت الى حد بعيد بالتراث اليوناني ، فهو ذو نزعة أرسطية في كلامه عن الاخلاق ، ويتضح ذلك في "تمييزه بين الفضائل التي من اجلها تقول ان فلانا ذو خلق ، والرذائل التي يقال لفاعلها انه رديء الخلق"4.

ويعرف يحي بن عدي الخلق انه "حال للنفس به يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار ، وقد يكون في بعض الناس غريزة وطبع وفي بعض الناس لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد"5.

ومن هذا النص نكتشف بوضوح ان الاخلاق منها ما هو فطري جبلي ومنها ما هو مكتسب ، ويشير يحي بن عدي في كتابه تهذيب الاخلاق الى الفضائل التي من

---

1 المرجع السابق ، ص350.

2 المرجع السابق ، ص ص350 351.

3 ابو نصر الفارابي: المصدر السابق ، ص128.

4 مابوت: مقدمة في علم الاخلاق ، تع: ماهر عبد القادر محمد علي ، دار النهضة العربية ، (د-ط) ، 1985 ، ص45.

5 يحي بن عدي: تهذيب الاخلاق، المطبعة المصرية الأهلية ، ط2 ، 1913 ، ص13.

خلالها توصف الاخلاق بأنها حسنة ، والنقائص التي تجعل الاخلاق رديئة ، الاخلاق التي في بعض الناس فضيلة والبعض الآخر رذيلة ، وأوصاف الإنسان التام الجامع لمحاسن الاخلاق.

والغالب على طبيعة الناس في نظر يحي بن عدي الشر يقول في ذلك: "لا يوجد في الناس من يخلوا من خلق مكروه ويسلم من جميع العيوب ولكنهم يتفاضلون في ذلك ، كما يتفاضلون في الاخلاق المحمودة ، إلا ان المجبولين على الاخلاق الجميلة قليلون جدا ، أما المجبولين على الاخلاق السيئة أكثر الناس لان الإنسان إذا استرسل مع طبعه ولم يستعمل الفكر ولا الحياء ولا التحفظ في جميع أعماله كان الغالب عليه أخلاق البهائم"1.

-بعض الاخلاق الحسنة المعدودة فضائل:

- العفة: هي ضبط النفس عن الشهوات وتكون بحفظ الصحة واجتناب السرف في جميع الملذات "وان يكون ما يقتصر عليه من الشهوات على الوجه المستحب المتفق على الارتضاء به ، وفي أوقات الحاجة التي لا غناء عنها وعلى القدر الذي لا يحتاج الى أكثر منه"2.

- الشجاعة: وهي ان يقدم المرء على المهالك والمكاره عند الحاجة "وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس ، وهو بالملوك وأعوانهم أليق وأحسن ، بل ليس بمستحق للملك من عدم هذه الخلة لان الملوك أكثر الناس أخطارا والشجاعة من أخلاقهم الخاصة بهم"3.

- البشر: وهو إظهار السرور بمن يلقاه الإنسان "وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس ، وهو من الملوك والعظماء أحسن لان البشر من الملوك والولاة تتألف به قلوب الرعية والأعوان والحاشية ، ويزداد به تحببا إليهم"4.

---

1 المصدر السابق ، ص14.

2 المصدر السابق ، ص11.

3 مابوت: المرجع السابق ، ص49.

4 يحي بن عدي: المصدر السابق ، ص26.

-بعض الاخلاق الرديئة التي تعد نقائص ومعائب:

- السفه: وهو سرعة الغضب "وهو ضد الحلم والطيش من يسير الأمور ، والمبادرة في البطش والإيقاع بالمؤذي ، والسرف والعقوبة وإظهار الجزع من أدنى ضرر..."1.

- الكبر: وهو استعظام الإنسان نفسه والاستهانة بالناس واستصغارهم "وهذا الخلق مكروه جدا ومضر بصاحبه ، لان من أعجبته نفسه لم يستزد من اكتساب الأدب"2.

- إفشاء السر: وهو عدم ضبط اللسان ، وإفشاء السر نقيصة على الإنسان ، وصاحبه في دائرة الخيانة "وهذا الخلق قبيح جدا ، وخاصة بمن يصحب السلاطين وبداخلهم"3.

1 مابوت: المرجع السابق ، ص51.

2 يحي بن عدي: المصدر السابق ، ص32.

3 مابوت: المرجع السابق ، ص52.

الفصل الثاني: مسكويه والتهذيب الأخلاقي

- مسكويه والأوضاع السائدة في عصره

- التهذيب الأخلاقي

أولا-مسكويه والأوضاع السائدة في عصره.

1-الأوضاع السائدة في القرن الرابع الهجري أو عصر مسكويه:

من المعلوم ان مسكويه عاش في القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي وهو قرن التناقضات ، وأطلقوا عليه هذا الوصف "لأنه القرن الذي بدا فيه التدهور السياسي للخلافة العباسية ، حيث انقسمت الدولة العباسية في أواخر القرن الثالث الهجري الى دويلات صغيرة ، وسادت فيه كذلك ألوان السقوط الأخلاقي كأثر من آثار فساد الحكم على المجتمع"1.

وفي نفس الوقت كان عصر الازدهار الفكري والثقافي ، هذا ما دفعني الى الوقوف عند جوانبه السياسية والاجتماعية مرورا بالجوانب الأخلاقية والثقافية التي سادت في تلك الحقبة.

أ- الجوانب السياسية والاجتماعية:

في القرن الرابع الهجري أصبحت الخلافة العباسية ضعيفة من الناحية السياسية وانقسمت الى دويلات ، وطمح كل أمير في الاستقلال ، وانفرد كل رئيس بناحية وكان هذا سنة (324هـ) ، إذ يقول الأستاذ احمد أمين (1878م-1954م) "بحيث كانت البصرة في يد ابن رائق وفارس في يد علي بن بويه والموصل وديار بكر وربيعة في أيدي بني حمدان ، ومصر والشام في يد الاخشيديين ، وافريقية والمغرب في يد الفاطميين...خوزستان بيد البريدي والبحرين واليمامة وهجر بيد القرامطة ، ولم يبق للخليفة إلا بغداد وما حولها" 2. ومع هذا كله لم يكن من شان هذه الانقسامات وتعدد الأمراء ان "يؤدي الى ضيق في معنى الإسلام أو في الوطن الإسلامي ، بل صارت كل هذه الأقاليم تؤلف مملكة واحدة سميت مملكة الإسلام ، وقامت وحدة إسلامية لا تتقيد بالحدود السياسية الجديدة"3.

---

1 وسيم ابراهيم: نظرية الاخلاق والتصوف عند ابي حيان التوحيدي ، دار دمشق ، ط1 ، 1994 ، ص5.
2 احمد أمين: ظهر الإسلام ، الجزء الأول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2004 ، ص ص70 71.

3 ادم متز: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، تع: محمد عبد الهادي ابو ريدة ، المجلد الأول ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 5 ، (د-ت) ، ص21.

وإذا فتشت على أصل الدولة البويهية بين صفحات الكتب لوجدتها ترجع الى "تلك الأسرة الفارسية التي سكنت في بداية نشوئها بلاد الديلم والتي أسسها ابو شجاع بويه ، وهم قواد مرتزقة من بلاد الجبل بفارس ، وأول من دخل بغداد منهم علي بن بويه"1.

وبالرغم من ان الخليفة في مركز الحضارة الاسلامية ومحور الدولة الاسلامية - أي بغداد- كان يمثل "عقل الحضارة وقلب تلك الدولة وصاحب السلطة الفعلية" 2 ، تغيرت هذه الصورة المشرقة وبدا مر كز الحضارة في التدهور والاضمحلال وبالضبط عند انتقال نظام الوزارة من الخلافة العباسية الى الأسرة البويهية بحيث "ازداد أمر الخلافة إدبارا ولم يبق للخليفة وزيرا إنما كان له كاتب يدبر اقطاعه واخراجاته لا غير وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد ، وتسلم معز الدولة العراق بأسره ، ولم يبق للخليفة منه شيء البتة إلا ما اقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجاته"3.

وأصبحوا بنو بويه الحكام الفعليين للعراق وغيرها من مدن الخلافة العباسية ، وبنو بويه شيعة وهذا هو الأمر على ما أظن الذي أدى بهم الى التنكر للخليفة السني العباسي وعدم الاعتراف به ، ما يدفعنا الى القول ان الخلافة العباسية قد بلغت من السوء مبلغا كبيرا في هذه الفترة التي تواضع فيها المؤرخون على تسميتها بالعصر العباسي الثاني.

ولقد انتهى الأمر ببني بويه الى السيطرة على العباسيين سيطرة بلغت حد الإذلال وأحيانا الى القتل أيضا ، وقاموا بإثارة الصراع الطائفي بين الأقلية الشيعية والأكثرية السنية ، وانقلبت الآية كلية في الصلة بين الخليفة والجندي البويهي ، بل أصبح الجندي هو الذي يحدد معاش الخليفة بما يتبرع به من هبات وعطايا وهدايا عليه.

---

1 وسيم ابراهيم: المرجع السابق ، ص10.

2 انظر محمد الصادق بلام: رسالة ماجستير السياسة والأخلاق عند ابي الحسن الماوردي ، جامعة الجزائر ، 2001 2002 ، (غير منشورة) ، ص16.

3 ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، المجلد الثامن ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، (د-ط) ، 1966 ، ص264.

ومن الصفات التي اتصف بها البويهيون وربما تكون من الأسباب التي ساعدتهم على السيطرة والإطاحة بالخلافة السنية جمعهم للمال بحيث "كانوا يستطيعون جمع وادخار المال دائما حتى يكون بين أيديهم فكان ركن الدولة لا يستجيب الى عمارة نواحيه خوفا من إخراج درهم واحد من الخزانة...وعضد الدولة جمع ثروة هائلة ، وفخر الدولة ترك مالا كثيرا من جواهر واليواقيت واللؤلؤ والماس ، كان شحيحا حتى كانت مفاتيح خزانته في الكيس الحديدي مسمرا بالمسامير لا يفارقه" 1 ؛ وهناك صفة أخرى ظهرت مع أجيالهم الأولى وهي الولاء والطاعة ، ومن صور هذه الصفة "ان معز الدولة وهو اصغر الإخوة الثلاث كان حاكما على العراق لما لقي أخاه قبل الأرض بين يديه ، وكان يقف قائما عنده ويأمره بالجلوس فلا يفعل...ولما مات عماد الدولة انتقلت الرياسة الى ركن الدولة فكان معز الدولة لا يخالف له أمرا...2.

ومما لا شك فيه ان الجوانب السياسية أثرت في الأوضاع الاجتماعية بما في ذلك من صراعات وانقسامات صاحب ذلك "نهب وسلب اثر على العامل الاقتصادي" 3 ؛ وظهر اختلاف في المستوى المعيشي وارتفعت الأسعار ، إذ يقول مسكويه: "في سنة (334هـ) افرط الغلاء حتى عدم الناس الخبز ، واكل الناس الموتى والحشيش والميتة والجيف ، وكانت الدابة إذا راثت اجتمع على الروث جماعة فقتشوه ولقطوا ما يجدون فيه من شعير واكلوه..." 4 ؛ ووسط هذه الصراعات عاشت بغداد أقسى حياة وأشدها في الحالة الاجتماعية "حتى أكلوا الكلاب ودفعهم الجوع الى النهب والسلب ، ومات الكثيرون جوعا وضعفا ومرضا"5.

ويرى الأستاذ حسن ابراهيم حسن ان غلاء المعيشة راجع الى "بروز الفتن المذهبية بين السكان الشيء الذي أدى الى تعطيل الأسواق ، أو بسبب دخول

---

1 ادم متز: المرجع السابق ، ص ص54 55.

2 المرجع نفسه ، ص55.

3 وسيم ابراهيم: المرجع السابق ، ص10.

4 ابو علي محمد مسكويه: تجارب الأمم ، الجزء الثاني ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، مصر ، (د-ط) ، ص95.

5 وسيم ابراهيم: المرجع السابق ، ص10.

الأجانب الى البلد كالجيوش الأجنبية مثلا لان بغداد آنذاك كانت مركز التجارة في العالم الإسلامي"1.

كما ظهر ديوان المواريث وظيفته تتمثل في "مصادرة أموال الناس حين وفاتهم خصوصا الأفراد ذوي الثروات ، ونظام المصادرة هذا كان يشمل حتى الوزراء فعندما توفي الوزير المهلبي صودرت أمواله من قبل معز الدولة..."2.

لكن ومع كل ذلك يمكننا ان نقول ان طبقة الحكام في حياتها وقعت في هفوات خطيرة كان لها أثرها على الجانب الاجتماعي ، الم يروي لنا مسكويه في ذلك تلك البلوى التي ابتلي بها بختيار وهي "انه اسر له غلام تركي في إحدى المواقع اسمه بايتكين جن عليه جنونا وحدث له من الحزن عليه مالم يسمع بمثله ، وامتنع عن الطعام والشراب وانقطع عن النحيب والعويل ، وزعم ان فجيعته بهذا الغلام فوق فجيعته بالمملكة والانسلاخ منها...."3.

ومما يرويه ابن الأثير(555هـ- 630هـ) عن بختيار"انه اشتغل باللهو واللعب وعشرة النساء والمساخر والمغنين"4.

الشيء الذي أدى الى انتشار ألوان الفساد وألوان الظلم ، فلما رأى الناس هذه المفاسد من رؤسائهم فسدوا هم أيضا ، وفسدت البيوت لتعدد النساء الحرائر وأمهات الأولاد ، إذن هو عصر يموج بكل ألوان الفساد والظلم.

وإذا كان الفساد والظلم من شيم هذا العصر لا عجب أننا نجد التوحيدي (923م-1023م) في الهوامل والشوامل "يسال مسكويه عن حد الظلم؟ ومن أين منشؤه؟ ، وما معنى قول بعض الوزراء أنا أتلذذ بالظلم؟"5.

---

1 حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، الجزء الثالث ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط 5 ، ص329.

2 انظر شلاعي رابح: رسالة ماجستير فلسفة الاخلاق عند مسكويه وأبي حامد الغزالي ، الجزائر العاصمة ، 1996 1997 ، (غير منشورة) ، ص12.

3 ابو علي محمد مسكويه: تجارب الأمم ، المصدر السابق ، ص ص371 372.

4 ابن الأثير: المرجع السابق ، ص576.

5 ابو علي محمد مسكويه وأبي حيان التوحيدي: الهوامل والشوامل ، شركة الأمل للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2001 ، ص84.

ب- الجوانب الفكرية والثقافية:

ان هذه الشقاقات السياسية والاضطرابات المختلفة لم تؤثر على هذا العصر من الناحية الثقافية والعلمية ، فلقد كان أزهى العصور ثقافيا وعلميا لأنه "وليد نهضة بدأت قبله أتت ثمارها كاملة فحركات الترجمة ودخول العناصر الأجنبية وثقافتها الى المعارف الاسلامية ، كل ذلك أدى الى قيام حركة فكرية خصبة أينعت ثمارها في القرن الرابع الهجري"1.

لقد شهد بالفعل ازدهارا للعلوم والآداب والفنون ، فقد كان كل أمير يريد ان يجعل من مدينته عاصمة للعلم "فالوزير ابن سعدان قال عن جماعة مجلسه...والله ما لهذه الجماعة بالعراق شكلا ولا نظير وأنهم لأعيان أهل الفضل"2.

وخلاصة هذا الكلام ان الحالة السياسية المتدهورة لا يستتبعها بالضرورة التدهور الثقافي والعلمي ، إذن فلا تلازم بين الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية ، الم يقل احمد أمين: "ان العلم والسياسة لا يتمشيان جنبا الى جنب حتى إذا ارتقى هذا ارتقى ذاك ، بل قد يكون الأمر على العكس ، قد يكون الضعف السياسي متمشيا مع زهو العلم"3.

ومن العلوم المنتشرة في هذا العصر الأدب والذي انقسم بدوره الى شعر ونثر ، وقد قسم النثر بدوره الى قسمين "قسم يسمى السلطانيات وهي المكاتبات الرسمية التي تصدر من عامل الى عامل ، أو من وزير الى عامل...وهكذا وقسم الاخوانيات وهو ما يصدر من صديق الى صديق أو من أستاذ الى تلميذ"4.

ومن البارزين في العلوم الأدبية ابراهيم بن هلال بن هرون الصابي الحراني(320هـ- 384هـ) وبالتحديد الأدب يقول عنه الثعالبي(961م-1038م):"أوحد العراق في البلاغة ، ومن به تثنى الخناصر في الكتابة ، وتتفق الشهادات له ببلوغ

---

1 وسيم ابراهيم: المرجع السابق ، ص13.

2 انظر رابح شلاعي: المرجع السابق ، ص14.

3 وسيم ابراهيم: المرجع السابق ، ص15.

4 احمد أمين: المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص72.

الغاية...وكان قد خنق التسعين في خدمة الخلفاء وخلافة الوزراء ، وتقلد الأعمال الجلائل مع ديوان الرسائل..."1.

عرضت على الصابي الوزارة من قبل عز الدولة بختيار ان اسلم وحتى الخلفاء والملوك أرادوه كثيرا على الإسلام بكل حيلة إلا ان الله تعالى لم يهده للإسلام كما هداه لمحاسن الكلام ، وكان الصابي يفتخر بقدرته على الكتابة ويقول:

"وقد علم السلطان أني أمينه وكاتبه الكاني السديد الموفق

فيمناي يمناه ولفظي لفظه وعيني له عين بها الدهر يرمق

ولي فقر تضحي الملوك فقيرة إليها لدى احداثها حين تطرق"2

اشتهر الصابي بمؤلفه "التاجي" ، والذي ألفه بطلب من عضد الدولة لأنه "صاحب بيان رائع إذا كتب مأمورا وإذا كتب حرا معبرا عن خلجات نفسه وحياة مجتمعه ، أو إذا استحضر قريحة الشعر الأصيلة فيه التي جعلت شعره يرتفع على شعر الكتابات الأخرى درجات"3.

واشتهر اديب آخر في هذا العصر وهو الخوارزمي(توفي عام 383هـ) المعروف برسائله الاخوانية ، يقول عنه احمد أمين: "ارتحل كثيرا بين الأقطار ، عد شيخ الأدباء واعترفت له الأقطار المختلفة بالفضل والبلاغة" 4 ، فهو كاتب جليل وأديب كبير ويعتبر شيخ ذلك الزمان.

وظهر اديب آخر أيضا من الكتاب الأحرار الأذكياء الأفذاذ هو ابو الفضل احمد بن الحسين الهمذاني الحافظ المعروف ببديع الزمان (969م-1008م) يقول عنه ابن خلكان: "هو احد الفصحاء الفضلاء لما له من رسائل بديعية ونظم مليح" 5 ؛

---

1 الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق: محمد مفيد قميحة ، الجزء الثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2000 ، ص287.

2 احمد أمين: المرجع السابق ، ص73.

3 مصطفى الشكعة: الأدب في موكب الحضارة ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، (د-ط) ، (د-ت) ، ص 591.

4 احمد أمين: المرجع السابق ، ص73.

5 ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، الجزء الأول ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط 1 ، 1938 ، ص109.

وبالرغم من ان بديع الزمان لم يعش طويلا وبالتحديد أربعين عاما وقعت كلها في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري "استطاع ان يمد الأدب بظاهرتين جديدتين هما الرسالة التي تتناول شؤون الحكم والمجتمع بالنقد والتوجيه والقصة القصيرة التي تظهر على مسرح الأدب العربي لأول مرة في تاريخه متخذة اسم المقامة"1.

وازدهر علم آخر وهو الجغرافيا في أواسط القرن الرابع الهجري ، ذلك حين ظهر أهم جغرافي آنذاك وهو ابو إسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري و يعرف في بعض الأحيان بالكرخي (توفي 346هـ) ينسب الى اصطخر الواقعة في فارس ، ويذكر المؤرخون انها سميت بهذا الاسم لكثرة البحيرات والمناقع التي تحيط بها" 2. اشتهر الاصطخري بكتابه "المسالك والممالك" ، يقول فيه: "ذكرت في كتابي هذا أقاليم الأرض على الممالك ، وقصدت منها بلاد الإسلام بتفصيل مدنها...ثم أفردت لكل إقليم من بلاد الإسلام صورة على حدة بينت فيها شكل ذلك الإقليم ، وما يقع فيه من المدن وسائر ما يحتاج الى علمه..." 3 ؛ واشتغل الاصطخري بأمور الوقت والليل والنهار إذ رأى"ان الليل يقصر في الصيف ، وفي الشتاء يقصر النهار ويطول الليل حتى يكون نهار الشتاء مثل ليالي الصيف..."4.

ومن جغرافيي القرن الرابع الهجري وهو المقدسي وهي نسبته ، أما اسمه الكامل هو ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر البناء ، ولد ببيت المقدس سنة (335هـ) وتوفي سنة (381هـ) ، صاحب كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" ، وهذا الكتاب عبارة عن مرآة واضحة للعالم الإسلامي في هذا القرن.

كما اشتهر المقدسي بترحاله وسفره لمعرفة الأماكن والأمصار إذ يقول في كتابه: "رأيت ان اذكر علما قد أغفلوه ، وهو ذكر الأقاليم الاسلامية وما فيها من المفاوز والبحار والبحيرات والأنهار، ووصف أمصارها المشهورة ومدنها المذكورة

---

1 الشكعة مصطفى: المرجع السابق ، ص531.

2 خضر عكاوي رحاب: موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافية والفلسفة ، الجزء الثاني ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط1 ، 1993 ، ص139.

3 المرجع السابق ، ص ص140 141.

4 آدم متز: المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص15.

ومنازلها المسلوكة...واختلاف أهل البلدان في كلامهم وأصواتهم...وصفة طعامهم وشرابهم..."1.

كما ازدهر علم التاريخ في القرن الرابع الهجري والدليل على ذلك ان التأليف التاريخي بلغ أعلى مراتبه ومن هذه التاليف ما ألفه الطبري ابن جرير والمسعودي....أما الطبري(224هـ- 310هـ) ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري ولد بطبرستان ، بدأ في طلب العلم وهو صغير السن وبالضبط لا يتجاوز السادسة عشر من عمره ، عَدُّوه أبا التاريخ لأن له كتابا كبيرا في التاريخ هو "تاريخ الأمم والملوك"، يذكر فيه الطبري "تاريخ الملوك الماضين ، وجمل من اخبارهم وأزمان الرسل والأنبياء ومقادير أعمارهم وأيام الخالفين السالفين وبعض سيرهم ومبالغ ولاياتهم والكائن الذي كان من الأحداث في اعصارهم...وأخبار صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ، يذكر أسمائهم وكناهم ومبالغ أنسابهم وأعمارهم..."2.

وهناك من يرى ان هذا الكتاب أوفى عمل تاريخي بين مؤلفات العرب لان صاحبه "أقامه على منهج مرسوم وساقه في طريق استقرائي شامل ، بلغت فيه الرواية مبلغها من الثقة والأمانة والإتقان" 3 ، أتم فيه ما قام به المؤرخون قبله كاليعقوبي والبلاذري (توفي 862م) والواقدي (130هـ- 207هـ) وابن سعد (784م-845م) ، وكان سبيلا مرشدا لمن أتى بعده كالمسعودي ومسكويه وابن الأثير وابن خلدون (1332م-1406م).

ومن خلال تصفحنا لهذا الكتاب اتضح لنا مدى تأثر الطبري بالمنهج التفسيري ومن خلال الحادثة الواحدة يروي الطبري آراء كثيرة ، وهذا ما صرح به الأستاذ احمد أمين إذ يقول: "فهو في كل اية ينقل آراء الصحابة والتابعين...ويرجح بعض الآراء على بعض ، وهذا ما جعل الناس يعنون كثيرا بتاريخه" 4، فمثلا يقول:

---

1 رحاب خضر عكاوي: المرجع السابق ، ص144.

2 الطبري: تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الأول ، مؤسسة عز الدين ، ط3 ، 1992 ، ص7.

3 خضر عكاوي رحاب: المرجع السابق ، ص131.

4 احمد أمين: المرجع السابق ، ص144.

اختلف السلف من أهل العلم فيه...فقال بعضهم...وذكر من قال ذلك...ويقول آخر...وأحيانا يقول...والصحيح ذلك عندنا...وهذه الطريقة مباشرة تذكرنا بطريقة المحدثين والفقهاء.

وهذا آخر من كبار مؤرخي القرن الرابع الهجري وهو ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، يرتفع نسبه الى الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود والمتوفى عام(346هـ) ، "ولد ببغداد وفيها نشأ وترعرع ، مال منذ حداثته الى الترحال والسفر فجاب فلسطين وبلاد فارس وطوّف بالهند والصين...الى ان توفي بالفسطاط بمصر" 1؛ له كتاب مشهور عنوانه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" والذي يجمع بين الدراسة التاريخية والجغرافية معا ، يقول المسعودي في بداية كتابه: "إننا صنفنا كتابنا في أخبار الزمان ، وقدمنا القول فيه في هيئة الأرض ومدنها وعجائبها وبحارها وأغوارها وجبالها وأنهارها...وبدائع معادنها...ثم اتبعنا ذلك بأخبار الملوك الغابرة والأمم الدائرة...ثم اتبعنا بكتابنا الأوسط في الأخبار على التاريخ ، ومن درج في السنين الماضية...وذكر أصناف الملوك على تغاير أخلاقهم وتباين هممهم وتباعد ديارهم..."2.

وازدهر أيضا علم الفلك بسبب ارتباط بعض المسائل والأحكام الشرعية بالمسائل الفلكية ، الشيء الذي جعل العلماء من معرفة أمور السماء وحركة الكواكب ، الأمر الذي أدى ببعض المفكرين الى القول: "ان مدرسة بغداد وصلت في أواخر القرن العاشر الميلادي الى أقصى ما يمكن اكتسابه من المعارف من غير الاستعانة بنظارة أو مرقب"3.

ومن الذين اشتهروا في علم الفلك البتاني(240هـ- 317هـ) ، بحيث "وضعه لالاند من بين أهم الفلكيين العشرين الذين أنجبهم العالم في علم الفلك ، وقارن بينه وبين بطليموس فرآى ان البتاني عرض معارف عصره المكتسبة4.

---

1 خضر عكاوي رحاب: المرجع السابق ، ص135.

2 المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: يوسف اسعد داغر ، الجزء الأول ، دار الأندلس ، بيروت ، ط1 ، 1965 ، ص ص17 18.

3 مصطفى حلمي: مناهج البحث في العلوم الإنسانية بين علماء الإسلام وفلاسفة الغرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2005 ،ص74.

4 المرجع السابق ، ص74.

ويقول عنه الأستاذ احمد أمين: "انه كان من اقدر علماء الرصد ، كان له باع طويل في الهندسة وهيئة الأفلاك وحساب النجوم" 1 ؛ له عدة مؤلفات أهمها زيجه المسمى"زيج الصابي" وهو اصح الازياج ، الذي من خلاله استطاع ان يضع الحقائق العلمية الفلكية في إطارها الصحيح المثبت بطرق علمية ، ويقال ان البتاني أول من اكتشف السمت والنظر وحدد نقطتيهما في السماء ، كما اعتكف النظريات والكتب القديمة والحديثة في علم الفلك والآلات وبرع فيها.

وهذا ابو الوفا محمد بن يحي بن إسماعيل بن العباس (940م-998م) من أشهر علماء من أشهر علماء الفلك في القرن الرابع الهجري يقول عنه الأستاذ محمد رضا البغدادي: "إمام العلوم الفلكية ، وأول من اثبت القانون العام للجيوب في حساب المثلثات الكروية ، ووضع النسبة المثلثية للظل ، وأول من اكتشف الخلل في حركة القمر" 2 ؛ وهناك من يرى "ان ابو الوفا سبق العالم الدانيماركي تيخو براهة في اكتشاف الانحراف القمري الثالث بستة قرون"3.

أما علم الطب ازدهر هو الأخر ونشأت بذلك مدارس للطب في العالم الإسلامي ، ومن أشهر الاطباء العرب وأعظمهم محمد بن زكريا ابو بكر الرازي (864م-923م) ولد في مدينة الري جنوب طهران "اعتبره جميع المؤرخين واحدا من أعظم الاطباء في جميع العصور ، ومن أعظم مشخصي الأمراض المبتدعين ، حيث اعتبرت مقالته عن الجدرى والحصبة أول عمل محكم في الأمراض المعدية معبرة عن قدرة فذة في الملاحظة والتحليل التمريضي"4.

ويقول عنه ابن النديم (توفي عام 998م) "أوحد دهره وفريد عصره قد جمع المعرفة بعلوم القدماء وسيما الطب وكان شيخا كبير الرأس مسفطا ، وكان يجلس مجلسه ودونه تلاميذ...كان كريما متفضلا ، بارا بالناس حسن الرأفة بالفقراء" 5 ؛

---

1 أحمد أمين: المرجع السابق ، ص139.

2 محمد رضا البغدادي: تاريخ العلوم وفلسفة التربية العلمية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، 2003 ، ص69.

3 مصطفى حلمي: المرجع السابق ، ص74.

4 المرجع السابق، ص ص66 67.

5 ابن النديم: الفهرست ، دار المعارف للطباعة والنشر ، تونس ، (د-ط) ،(د-ت) ، ص ص418 419.

وسبب تعلم الرازي الطب يبينه لنا ابن ابي اصبيعة (600هـ- 668هـ) إذ يقول: "..عندما دخل الرازي مدينة السلام بغداد دخل الى البيمارستان العضدي ليشاهده ...فظفر برجل شيخ صيدلاني...فسأله عن الأدوية...حتى تصدى لتعلم هذه الصناعة" 1 هذا قول ، وهناك قول آخر وهو "عندما اجتمعوا على بناء البيمارستان العضدي استشاره عضد الدولة عن الموضع الذي يجب ان يبنى فيه ، ما كان على الرازي إلا ان يأمر بعض الغلمان ان يعلقوا في كل ناحية من جوانب بغداد قطعة لحم ، والتي لم تتغير رائحتها هي التي يبنى في مكانها البيمارستان"2.

له كتاب مشهور في الطب بعنوان"الحاوي" وصفه لنا البغدادي في قوله: "هو كتاب ضخم شامل جمع فيه بين طب الهند وطب اليونان وأضاف اليه تجاربه وملاحظاته"3.

اهتم الرازي كثيرا بالطب حتى عد من أفاضل الاطباء واعيانهم ، ويتضح هذا الكلام في قول ابن ابي اصبيعة: "لما بني البيمارستان العضدي المنسوب اليه ، وكانوا الاطباء حينئذ متوافرين على المائة ببغداد فاختار منهم نحو خمسين بحسب ما علم من جودة أحوالهم ومهارتهم في صناعة الطب ، ثم اختار منهم عشرة وكان الرازي منهم ، ثم اختار من العشرة ثلاثة وكان الرازي منهم ، ثم ميز بين الثلاثة فبان له الرازي أفضلهم فجعله ساعور البيمارستان العضدي"4.

وهذا علي بن العباس هو كذلك من الاطباء الذين اشتهروا في القرن الرابع الهجري (توفي عام 383هـ) ، وقد كتب كتابا رائعا في ميدان الطب سماه "الكتاب الملكي" ويتضمن هذا الكتاب "فصولا عن علم الأغذية الصحيحة وعلم العقاقير الطبية ، ومن مبتكراته إشارته الى وجود الحركة الدموية الشعرية ، أيضا برهانه

---

1 ابن ابي اصيبعة: عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق: نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط 1 ، 1965 ، ص415.

2 المصدر السابق ، ص415.

3 محمد رضا البغدادي: المرجع السابق ، ص50.

4 ابن ابي اصيبعة: المرجع السابق ، 415.

على ان الطفل في الولادة لا يخرج من تلقاء نفسه ، بل يفضل تقلصات عضلية في الرحم"1.

ولقد لقي هذا الكتاب إعجابا لدى عدد من الباحثين فهناك من اعتبره أكثر إيجازا وتنسيقا من كتاب الحاوي ، لأن بن العباس انتقد فيه جهابذة الطب اليونانيين والعرب.

أما علم الرياضيات فهو الآخر تقدم تقدما كبيرا في هذا القرن ، وكان من بين العلوم التي برع فيها المسلمون وأضافوا إليها إضافات كانت من جملة أسباب تطور هذا العلم في العصر الحديث.

أما بالنسبة لعلوم الدين فهي الأخرى ازدهرت بشكل كبير جدا ، وفيما يخص تفسير القران فقد عرف طريقتين ، طريقة التفسير بالمأثور وهذا النوع معناه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، ومثل ذلك الأحاديث الموجودة في صحيح البخاري ومسلم.

ومن أشهر المفسرين بهذه الطريقة ابن جرير الطبري له كتاب في هذا المجال بعنوان"جامع القران في تفسير القران" ، يقول عبد العزيز الطبري في شانه:"كان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القران وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث ، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه ، وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو...جامعا للعلوم وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلا على غيرها"2.

ويقول في شانه الأستاذ احمد أمين: "ومنهجه في التفسير ان يجمع في كل آية التفسير بالمأثور ، ولا يروي من الإسرائيليات والنصرانيات إلا بقدر ، وينص في كثير من الأحيان على ان هذه الأشياء لا قيمة لها ، والجهل بها ليس ضارا..." 3 ؛ ومثال ذلك المائدة التي نزلت على عيسى...كيف كانت؟ ، وهل كان عليها طعام ام لا؟ ، وهكذا....؟ ، فهذا في نظر الطبري علم غير نافع.

---

1 مصطفى حلمي: المرجع السابق ، ص68.

2 خضر عكاوي رحاب: المرجع السابق ، ص129.

3 احمد أمين: المرجع السابق ، ص34.

أما النوع الآخر وهو التفسير بالرأي وأشهر ممثل لها هم المعتزلة لان هذا النوع يعتمد على العقل ، ومن مؤلفات المعتزلة في هذا المجال نستمع لأحمد أمين يقول: "ألف المعتزلة كتب تفسير كثيرة تبلغ المئات لكن لم تصلنا ، إنما وصل الينا كتاب مجالس الشريف المرتضى"1.

وفي مجال الحديث ظهرت فكرة انه يجوز للإنسان رواية الحديث دون لقاء رجاله –اي بما في الكتب- ، وظهرت لرواية الحديث مزية وهي تقوية ذاكرة المحدثين ، وأشهر المحدثين آنذاك الحاكم النيسابوري(321هـ- 405هـ) صاحب كتاب "المستدرك على الصحيحين" ، وضع هذا المحدث مصطلحات الحديث المعروفة الصحيح والحسن والضعيف كما جعل لها أصولا ووضع لذلك أساسا بقي معمولا به الى اليوم ،وقسم الرواة الى أنواع ، وجعل الجرح والتعديل أنواعا ولكلا نوع لفظا.

وهذا أخر من اكبر محدثي القرن الرابع الهجري وهو أبا الحسن الدار قطني(306هـ- 385هـ) له عدة تصانيف من بينها كتاب العلل والسنن.

والتصوف ازدهر هو الآخر وأشهر المتصوفة آنذاك الجنيد (توفى سنة 297هـ) ، يعتبر الجنيد "أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد ، يقيد مذهبه بالكتاب والسنة ، وأساس مذهبه مراقبة الله وتصفية القلب وتزكية النفس والتخلق بالأخلاق الحميدة"2.

أما الفلسفة هي الأخرى بدورها عرفت ازدهارا كبيرا ومن بين الفلاسفة الذين راجت آرائهم إخوان الصفا ؛ نشأت هذه الجماعة في القرن الرابع الهجري واسمهم الكامل هو إخوان الصفا وخلان الوفا وهذا الاسم "اسم قديم عند العرب ظهر في أسفارهم وكتاباتهم ، تآلفت هذه الجماعة بالعشرة وتضافت بالصداقة واجتمعوا على القدس والطهارة ، وهم أهل العدل وأبناء الحمد ، فقد عقدوا أنفسهم على التماذج والتصافي ولقبوا أنفسهم بأجمل الألقاب"3.

---

1 المرجع السابق ، ص35.

2 عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية ، دار الرشاد ، ط1 ، 1992 ، ص107.

3 حنا الفاخوري وخليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية ، الجزء الثاني ، دار الجيل ، بيروت ، ط2 ، 1993 ، ص227.

وظهور إخوان الصفا كان نتيجة طبيعية للأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية ؛ اشتهرت هذه الجماعة برسائلها المعروفة رسائل إخوان الصفا ، يقول طه حسين عن هذه الرسائل "كتاب إخوان الصفا يمثل اصدق تمثيل لهاتين الظاهرتين المتناقضتين ، يمثل من جهة فساد الحياة السياسية الاسلامية في ذلك الوقت ، ومن جهة أخرى ازدهار الثقافية والعلمية"1.

2-مسكويه (حياته ومؤلفاته):

هو احمد بن محمد بن يعقوب الخازن الرازي الاصبهاني ، يلقب ب"ابن مسكويه" ، وأحيانا "مسكويه" ، كنيته ابو علي ؛ ولد بالري سنة (330هـ) يذكره هذا التاريخ الأستاذ محمد يوسف موسى(1899م-1963م)2 ، وهناك تاريخ آخر يذكره الأستاذ اسعد السحمراني(ولد عام1953) "ان مسكويه ولد سنة (325هـ)"3.

والمرجح ان يكون التاريخ الثاني أو دونه بسنوات قليلة ، والسبب في ذلك انه صحب الوزير المهلبي وزير معز الدولة في سنة (340هـ) ،"وبما ان الوزير المهلبي تولى الوزارة في هذا التاريخ لا يمكن ان يكون مسكويه قد نادمه وهو دون العشرين ، بل من المرجح ان يكون مسكويه في العقد الثالث من عمره ، ولهذا يستصوب ان يكون تاريخ مولده في حدود سنة (320هـ)"4.

سكن مسكويه أصفهان وفيها مات ، أما تاريخ وفاته فيذكره ياقوت الحموي(1178م-1225م) عن يحي بن منده: "انه توفي في تاسع صفر سنة (421هـ)" 5 ؛ وهناك من يرجح خلاف هذه السنة أمثال القفطي(1172م-1248م) الم يقل: "ان مسكويه عاش زمنا طويلا الى ان قارب (420هـ)"6.

---

1 المرجع السابق ، ص225.

2 انظر- محمد يوسف موسى: فلسفة الاخلاق في الإسلام ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1963 ، ص74.

3 انظر- اسعد السحمراني: الاخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة ، دار النفائس ، ط1 ، 1988 ، ص143.

4 رحاب خضر عكاوي: المرجع السابق ، ص228.

5 ياقوت الحموي: معجم الأدباء إرشاد الأريب الى معرفة الأديب ، تحقيق: إحسان عباس ، الجزء الثاني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1993 ، ص493.

6 القفطي: تاريخ الحكماء ، مؤسسة الخانجى ، مصر ، (د-ط) ، 1903 ، ص331.

وعلى غرار هذا الاختلاف في تاريخ ولادته وتاريخ وفاته ، هناك اختلاف آخر للمؤرخين في لقب"مسكويه" أو "ابن مسكويه" وهل كان لقبا له ام لجده؟.

ونحن هنا لن نشرق ولن نغرب وسوف نعود لكتب التاريخ ونرى من هم الذين لقبوه بمسكويه ومن هم الذين لقبوه بابن مسكويه ، ها هو ياقوت الحموي يلقبه بمسكويه يقول: "مسكويه ابو علي صاحب التجارب..." 1، والثعالبي يلقبه بمسكويه إذ يقول: " ابو علي مسكويه الخازن في الذروة العليا من الفضل والأدب والبلاغة والشعر..." 2 ؛ ومعاصره التوحيدي كذلك يلقبه بمسكويه يقول: "ولقد جرى بيني وبين ابي علي مسكويه..." 3 ، والقفطي أيضا يلقبه بمسكويه ويتضح هذا في قوله: "مسكويه ابو علي الخازن من كبار فضلاء العجم وأجلاء فارس..."4.

وأما الذين لقبوه بابن مسكويه هم: "...وسماه ابن مسكويه كل من البيهقي (384هـ- 458هـ) في تتمة صوان الحكمة ، وشمس الدين الشهرزوري في نزهة الأرواح"5.

كما زاد في ترجمته صاحب المعجم وذهب الى ان "مسكويه كان مجوسيا واسلم" 6 ، وتبعه في ذلك الأستاذ احمد أمين في كتابه ظهر الإسلام والأستاذ جورجي زيدان (1861م-1914م) في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ، وهذا بعيد التصديق كما يقول الأستاذ محمد يوسف موسى: "لا يتأتى لحديث عهد بالإسلام ان يكون كما كان فيلسوفنا في فهمه للإسلام وانتفاعه به في مذهبه الأخلاقي انتفاعا كبيرا"7.

---

1 ياقوت الحموي: المصدر السابق ، ص493.

2 الثعالبي: تتمة يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق: مفيد محمد قميحة ، المجلد الخامس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د-ط) ، 2000 ، ص115.

3 ابو حيان التوحيدي: مثالب الوزيرين أخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد ، تحقيق: ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، دمشق ، (د-ط) ، 1961 ، ص18.

4 القفطي: المصدر السابق ، ص331.

5 محمد يوسف موسى: المرجع السابق ، ص73.

6 ياقوت الحموي: المصدر السابق ، ص495.

7 محمد يوسف موسى: المرجع السابق ، ص74.

وبالنظر الى اسمه الكامل: ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب مسكويه استبعدنا مجوسيته لأن الاسم بحد ذاته يدل على انه كان مسلما منذ فترة وليست بالقصيرة.

-مصادر فكر مسكويه:

عاش مسكويه في عهد الدولة البويهية تبلورت شخصيته وتجلت طموحاته في كنفها ورعايتها في الخدمة بين الوزراء والأمراء ، حظي مسكويه برعاية وزراء الدولة البويهية والتي ساهمت الى حد بعيد في إنضاج فكره الفلسفي ، كما قرأ كتب اليونان وتأثر بها والتي كان لها نصيبها في فكر مسكويه:

أ) عهد الدولة البويهية:

1- رعاية الوزير المهلبي: وحظيت هذه الرعاية اثنتي عشرة سنة بين (340-352ه) ، حيث "أسعفه الجد والأدب والعلم بالاتصال بهذا الوزير.." [1] ؛ شعر مسكويه بالجميل تجاهه فكان يبجله ويحترمه.

واعتقد ان الوزير المهلبي يصلح للرئاسة من اي كاتب آخر يقول: "فقد انس به على طول الزمان وانه خلف الصيمري على الوزارة ، فعرف غوامض الأمور وأسرار المملكة ، وكان الباقون لا يعرفون ذلك ولا يخرج إليهم ولا يوثق بهم فيها...عارفا برسوم الوزارة القديمة سخيا شجاعا أديبا..."[2].

كما أكد الأستاذ محمد اركون (1928م-2010م) ان مسكويه "عاشر المهلبي في ساعات الجد وفي ساعات اللهو ، والنهار والليل وساعات العمل وساعات المتع واللذات ، وقد شهد غضب معز الدولة على وزيره ، وشهد أيضا جلسة التحقيق التي أقامها المهلبي لانتزاع الاعترافات من ثلاث شخصيات غنية..." [3] ؛ وبعد موت المهلبي شعر مسكويه انه من الأفضل له ان يترك بغداد ويعود الى الري.

---

1 المرجع السابق ، ص74.

2 ابو علي محمد مسكويه: تجارب الأمم ، المصدر السابق ، ص124.

3 محمد اركون: نزعة الانسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي ، تع: هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت لبنان ، ط1، 1997 ، ص146.

2- رعاية ابن العميد: دامت فترة مسكويه في بلاط ابن العميد سبعة سنين بين عامي (353هـ- 360هـ) ؛ في هذه الفترة "صحب مسكويه ابن العميد وكان يخدمه في مكتبته الضخمة"1 ، كما اشتغل وظيفة أخرى وهي "معلما لابنه ابي الفتح"2.

وفي هذه الفترة بالضبط –فترة ابن العميد- اشتغل مسكويه بعلم الكيمياء ، وتعرف على رجل يدعى ابو الطيب يقول التوحيدي:"وأما مسكويه فيزعم ان الأمر حق وصحيح والطبيعة لا تمنع من إعطائه ، ولكن الصناعة شاقة والطريق الى إصابة المقدار عسرة ، وجمع الأسرار صعب وبعيد ولكنه غير ممتنع ، فقد مضى عمره في الاكباب على هذا بالري أيام كان بناحية ابي الفضل وأبي الفتح ابنه مع رجل يعرف بابي الطيب"3.

ويقول التوحيدي في موضع آخر:"...وأنا أعطيته في هذه الأيام صفو الشرح لايساغوجي وقاطيغورياس...ولكنه كان مشغولا بطلب الكيمياء مع ابي الطيب الكيميائي الرازي مملوك الهمة في طلبه والحرص على إصابته ، مفتونا بكتب ابي زكريا وجابر بن حيان..." 4 ؛ وفي كتاب الهوامل والشوامل يطرح التوحيدي سؤالا على مسكويه عن علم الكيمياء وسبب تعلمه ، ويكون جوابه: "أما سبب طلب الناس الكيمياء فظاهر بَيِّن وهم أنهم حريصون على جميع المتع والشهوات المختلفة في المأكل والمشرب والمنكح والنزه التي تقتسم بين الحواس"5.

وما يمكن قوله عن تعلق مسكويه بعلم الكيمياء ان هذا العلم كشف له عن إمكانيات جديدة للتحقق الفكري الشمولي ، لكنه لم يشكل ضمن مساره الفلسفي فاصلا صغيرا وما ذلك إلا لحماسة الشباب وفورته ، كما وساعدته الكيمياء على النجاحات الاجتماعية الراقية في محيط الأمراء والوزراء ، واكتساب تراث علمي كان منتعشا جدا آنذاك في منطقة الري.

---

1 زيدان جورجي: تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الثاني ، موفم للنشر ، الجزائر ، (د-ط) ، 1993 ، ص565.

2 محمد اركون: المرجع السابق ، ص152.

3 ابو حيان التوحيدي: الامتاع والمؤانسة ، تصحيح: احمد أمين ، الجزء الثاني ، دار مكتبة الحياة ، (د-ط) ، (د-ت) ، ص 39.

4 المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص35.

5 ابو علي محمد مسكويه: الهوامل والشوامل ، المصدر السابق ، ص325.

3- رعاية ابو الفتح: عندما مات ابن العميد ظل مسكويه في خدمة ابنه لمدة ستة سنين بين عامي (360هـ- 366هـ) ، ولم يكن يتجاوز هذا الابن 23عاما في حين ان مسكويه قد بلغ الأربعين ، وهذا الفارق في السن جعل مسكويه يستاء من ابو الفتوح ، لأنه عكس تماما صورة أبيه فامتاز هذا الابن "بسلوك متسرع وخفيف وطائش وضال"1.

ولهذا السبب كان أبيه يردد في خلواته قائلا: "ما يهلك آل العميد ولا يمحوا آثارهم من الأرض إلا هذا الصبي –يعني ابنه- ، ويردد في مرضه ما قتلني إلا جرع الغيظ التي تجرعتها منه"2.

والسؤال الذي يجب ان يطرح الآن هو: هل مسكويه استمتع بحياة اللهو واللعب التي كان شاهدا عليها في هذه الفترة؟ ؛ والجواب عدم معرفتنا بالتحديد وما نستنتجه أن صاحبنا لم يعرف حيلة الفقر ولا الضيق المادي ، لكنه شعر بنشوب مجموعة من التناقضات في نفسه منها "كيف له ان يستمر في العيش مع وزير منتقد من الجميع ، في الوقت الذي يريد ان يفرض نفسه كفيلسوف وقدوة...وانتهى به الأمر الى حسم موقفه ، كما اتخذ عهد على نفسه بألا يقبل بعد اليوم اي مساومة بين ملذات العالم وبين الحكمة ، وحسم موقفه لصالح الحكمة"3.

4- رعاية عضد الدولة: لما مات ابو الفتوح ظل مسكويه في بلاط عضد الدولة بين عامي (366هـ- 372هـ) ، وفي هذه الفترة ترك مسكويه الري متجها الى فارس ملتحقا بأميرها ، انخرط في علم الطب مُقَدّما وَصَفَات ممتازة تتعلق بالأكل وفن الطبخ ، له مؤلفا في هذا المجال بعنوان: "كتاب في تركيب الباجات من الأطعمة ، أحكمه غاية الإحكام وأتى فيه من أصول علم الطبيخ وفروعه..."4.

---

1 محمد اركون: المرجع السابق ، ص165.

2 ابو علي محمد مسكويه: المصدر السابق ، ص273.

3 محمد اركون: المرجع السابق ، ص167.

4 القفطي: المصدر السابق ، ص332.

مما تقدم عرضه يتبين لنا أن حياة مسكويه في بلاط الأمراء والوزراء ، جعلته يتعلم مما شاهده وحفظه من بطون الكتب ، ومما رآه بعينه كَتَكَالُبِ وتنافس العلماء والأدباء والشعراء على البلاط في بغداد والري والذي ساعده كثيرا في تكوينه العلمي.

والشيء الذي امتاز به مسكويه وذكره الأستاذ محمد اركون هو"عكسه للتراث الشائع والعادة الموجودة وخاصة عند الفقهاء والصوفيين والمتكلمين بذكرهم شيوخهم ، أما هو فلا يذكر إلا اسم معلم واحد وهو القاضي بن كامل..." 1 ؛ هذا الشيخ اخذ عنه مسكويه تاريخ الطبري الم يقل: "وفيها مات ابو بكر احمد بن كامل القاضي رحمه الله ، ومنه سمعت كتاب لأبي جعفر الطبري...ولكني ما سمعت منه عن ابي جعفر غير هذا الكتاب بعضه قراءة عليه وبعضه إجازة لي..."2.

وما يلفت الانتباه لا يوجد اي مصدر يذكر أسماء المشايخ الذين درس على أيديهم مسكويه ، وخاصة في الفلسفة وهو ما يهمنا ، وهذه الحالة في نظر اركون ليست مدهشة ومستغربة ،"ان الفترة التي كان فيها مسكويه حدثا وقابلا للتكوين كان أساتذة الفلسفة نادرين جدا ، فالفارابي مات للتو(339هـ) ، وقد واصل تلميذه يحي بن عدي أعماله وتأثيره بل وزاد منهما ولكنه مات عام(364هـ)..."3.

وبالرغم من هذه الظروف –اي بدون معلم- إلا انه استطاع ان يصبح من اكبر مؤرخي القرن الرابع الهجري بكتابه الضخم "تجارب الأمم" ، ورائدا من رواد الفلسفة والطب والأدب وغيرها من العلوم المختلفة ، الم يقل عنه معاصره الثعالبي: "كان في الذروة العليا من الفضل والأدب والبلاغة والشعر" 4 ؛ ومعاصره الآخر ابن ابي اصيبعة يقول عنه: "فاضل في العلوم الحكمية ، متميز فيها خبير بصناعة الطب ، جيد في أصولها وفروعها"5.

---

1 محمد اركون: المرجع السابق ، ص172.

2 ابو علي محمد مسكويه: تجارب الأمم ، المصدر السابق ، ص184.

3 محمد اركون: المرجع السابق ، ص173.

4 ياقوت الحموي: المرجع السابق ، ص494.

5 ابن ابي اصيبعة: المرجع السابق ، ص331.

ب)فلاسفة اليونان:

ومن مصادر فكر مسكويه فلاسفة الإغريق وخاصة أفلاطون وأرسطو.

1- أفلاطونية مسكويه: كغيره مسكويه من فلاسفة الإسلام أمثال (الكندي – الفارابي – ابو بكر البغدادي) عرفوا أفلاطون في معظم المدارس الاسلامية الفلسفية واثر فيها لأنه اقرب الى الروح الاسلامية "بقوله بخلود الروح وادعائه الى السيرة الفاضلة ، والى التشبه بالله كما كان يدعو الى العدالة سواء في الإنسان كفرد أو في الدولة كجماعة لها مصالح مشتركة"1.

ويعد مسكويه من بين فلاسفة الإسلام المتأثرين بأفلاطون ، والذي كان اهتمامه منصب على الاخلاق اتجاها كاملا فقرأ لأفلاطون كتبه الأخلاقية والسياسية ، ويوضح هذا الكلام استشهاده به في كتابه الفوز الأصغر وغيره إذ يقول: "...أفلاطون كتاب النواميس...وقد أطلق عليها أفلاطون...قال أفلاطون في كتاب طيماوس على لسان السائل..."2 ؛ كل هذه الاستشهادات تبين أفلاطونية مسكويه.

2- ارسطوطاليسية مسكويه: لا شك ان مسكويه أقرب الى ارسطو في كليات فلسفته الواقعية والمادية ، وهي مخالفة لكليات فلسفة أستاذه أفلاطون والتي كانت مجرد ظل أو خيال لعالم الحقيقة والمثل ، "والأخلاق علم عملي يهدف الى تحقيق الفضائل الأخلاقية في هذه الحياة ، والمؤدية الى سعادة الفرد والمجتمع والواجب على هذه الاخلاق ان تُقدم الحلول والمشاكل السلوكية والمبادئ المعيارية التي عن طريقها نميز بين الخير والشر"3.

وتتضح ارسطوطاليسية مسكويه في كتابه تهذيب الاخلاق حين يقول: "ان الشرير قد ينتقل بالتأديب الى الخير...فمنهم من ينتقل الى التأديب ويتحرك الى الفضيلة بسرعة ، ومنهم من يقبله ويتحرك الى الفضيلة ببطئ...كل خلق يمكن تغيره ولا

---

1 ناجي التكريتي: الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت-لبنان ، ط 2 ، 1982. ص7.

2 ابو علي محمد مسكويه: الفوز الأصغر ، طبع في بيروت ، (د-ط) ، 1319ه ، ص ص56 57.

3 ابو بكر ابراهيم التلوع: الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي ، جامعة قان يونس ، بنغازي ، (د-ط) ، 1995 ، ص68.

شيء مما يمكن تغيره هو بالطبع" [1] ؛ وفي كتابه الفوز الأصغر يقول: "النفس الناطقة تدرك الأمور البسيطة بغير آلة بل بنفسها ، وتدرك الأمور المركبة المحسوسة بتوسط الحواس ...وهذا مذهب ارسطو طاليس" [2] ؛ كل هذه الاستشهادات تدل على ارسطوطاليسية مسكويه.

وخلاصة القول ان مسكويه قد اخذ عن أفلاطون تقسيمه لقوى النفس وفضائلها الرئيسية ، واخذ عن ارسطو مفهومه للفضيلة بأنها وسط بين رذيلتين (نظرية الوسط).

3-أعمال مسكويه:

ترك مسكويه إنتاجا زاخرا ومتنوعا في المكتبات ، فكانت من تصانيفه الفلسفية والأخلاقية والأدبية والتاريخية ، لكن وللأسف بعضها وصل الينا وبعضها لم يصل ، ويمكننا تصنيف مؤلفات مسكويه الى مجموعتين كما يلي:

أ-مجموعة كتبه:

نعددها طبقا للتسلسل الزمني المحتمل لتاريخ كتابتها.

1- ترتيب السعادات ومنازل العلوم: ألف مسكويه الكتاب بين عامي (355هـ-360هـ) من اجل الرد على طلب سيده الأستاذ ابي الفضل بن العميد يقول: "ولم أزل منذ رأيت تشوفه أيده الله الى العلوم الحقيقية ، وانطباعه بطابع الحكمة أجاذبه الشيء بعد الشيء...الى ان جاذبني غرض الحكيم الذي يقصده بسعيه وغاية الفيلسوف التي يلتمسها باجتهاده ، وسألني عن أصناف سعادة الناس على مراتبهم وماهي وما قدر تفاوتها..."[3].

---

1 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، تحقيق: د- نواف الجراح ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2006 ، ص31.

2 ابو علي محمد مسكويه: الفوز الأصغر ، المصدر السابق ، ص42.

3 محمد اركون: المرجع السابق ، ص213.

وهذا الكتاب ينسبه ياقوت الحموي الى مسكويه بعنوان آخر إذ يقول: "وله كتاب ترتيب العادات"1 ؛ وذكر أيضا في كتاب تهذيب الاخلاق بعنوان:"كتاب الترتيب"2.

2- كتاب الفوز الأصغر: ذكر مسكويه هذا الكتاب مرتين في الهوامل والشوامل ، لكنه لم يذكر العنوان كاملا بل ذكره مختصرا بلفظ "الفوز" ، الم يقل:"...من كتابنا الذي سميناه الفوز..." 3 ، ويقول في موضع آخر:"...وقد تكلمنا عليها في كتابنا الذي سميناه الفوز عند ذكرنا الفرق بين النبي والمتنبي ، وفي القوة التي يكون بها الوحي..."4.

من هنا لا يمكننا ان نوضح ان هذا الكلام يتعلق بالفوز الأكبر ام بالفوز الأصغر ، والراجح كان يقصد الفوز الأصغر لأن المسائل التي ذكرها موجودة في الفوز الأصغر ، كالباري مثلا والنفس والنبوة.

كما ان هذا الكتاب عالج فيه مسائل فلسفية مختلفة ، هذا ما أكده الأستاذ جورجي زيدان (1861م-1614م) في قوله "عالج فيه مسائل في الفلسفة وما يتعلق بها ، وفي جملة ذلك رأيه في المخلوقات ونسبتها بعضها الى بعض باختلاف طبقاتها من الجماد والنبات والحيوان ونحو ما ذهب اليه أهل النشوء..."5.

والسبب في تأليفه هذا الكتاب كان بطلب الأمير البويهي إذ يقول مسكويه "فأكثرت حمد الله جل اسمه على ما ساقني اليه من خدمة أعلى الناس همة وارفعهم قدرا ورتبة ، وشكرته تعالى على ما يسره لي وسهل اليه سبيلي من التحرم بسيد الأمراء حقا ، المؤيد من السماء صدقا"6.

---

1 ياقوت الحموي: المرجع السابق ، ص495.

2 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، تحقيق: د-نواف الجراح ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2006 ، ص18.

3 ابو علي محمد مسكويه: الهوامل والشوامل ، المصدر السابق ، ص280.

4 المصدر السابق ، ص340.

5 زيدان جورجي: المرجع السابق ، ص567.

6 محمد اركون: المرجع السابق ، ص215.

والإشكالية هنا من هو الأمير البويهي بالتحديد الذي طلب من مسكويه تأليف هذا الكتاب؟ ، فنحن لا نستطيع ان نتبين الأمير لكننا نرجح ان يكون عضد الدولة لأنه الأمير الوحيد الذي خدمه مباشرة وتعلق به من أفراد الأسرة البويهية.

3- كتاب الهوامل والشوامل: وهذا الكتاب عبارة عن حصيلة تلاقح وتجاذب فكري حصل بين اثنين من كبار المفكرين عبر تاريخ التراث العربي الإسلامي وهما التوحيدي ومسكويه.

ألف هذا الكتاب بين عامي (368هـ- 370هـ) ، وهو عبارة عن أسئلة التوحيدي التي بلغت 175 سؤالا وأجوبة مسكويه ، يعالجان في هذا الكتاب مسائل مختلفة أخلاقية ولغوية...

4- كتاب تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق: وهو في علم الاخلاق ، ومن خلال العنوان يتبادر الى الذهن مباشرة ان الكتاب مجزأ الى جزئين ، أما الجزء الأول فيتحدث فيه عن إصلاح الاخلاق أو بتعبير مسكويه صناعة تهذيب الاخلاق ، والجزء الثاني مخصص لطهارة النفس ، يقول الأستاذ جورجي زيدان عن هذا الكتاب: "كتاب نفيس بسط فيه آراءه في النفس وقواها وماهيتها ، وقسم ذلك وبوبه على أسلوب واضح ، كما بحث في الخلق وتقويمه ومراتب الناس في قبوله مستندا في ذلك على كتب الفلاسفة الأقدمين في أسلوب تهذيبي ترتاح اليه النفس..."1.

ويتألف هذا الكتاب من سبع مقالات في مبادئ الأخلاق والكمال الإنساني والخير وأقسامه والسعادة ومراتبها والعدالة والمحبة والصداقة وصحة النفس وحفظها ، وهو أهم كتاب إذ يقول الأستاذ محمد اركون: "لا ريب في ان تهذيب الاخلاق هو الكتاب الأهم لدى مسكويه فهو يمثل خاتمة مساره وتتويجا لسنوات عديدة من القراءة والمراقبة والتأمل العميق..."2

---

1 زيدان جورجي: المرجع السابق ، ص566.

2 محمد اركون: المرجع السابق ، ص228.

والدافع من تأليفه هذا الكتاب ما قاله في بداية كتابه "ان نحصل لأنفسنا خلقا تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة ، وتكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفة فيها ولا مشقة ، ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب تعليمي..."1.

تأثر مسكويه في هذا الكتاب بفلاسفة الإغريق والكندي والرازي والشريعة الاسلامية ، بحيث دعم آرائه بآيات قرآنية وأحاديث شريفة ، فهو حاول ان يوفق بين الشريعة والفلسفة لان غايتهما واحدة هي معرفة الحق والعمل به ، وعبر عن نزعته الدينية الأستاذ علي عبد الفتاح المغربي إذ يقول: "كان للنزعة الدينية أثر في صياغة أفكاره ، وتكاد لغته في بعض الأحيان تقترب من لغة الصوفية..."2.

5- كتاب الحكمة الخالدة: ان عنوان هذا الكتاب ما هو إلا ترجمة للعنوان الفارسي "جاويدان خرد" ، وهو لأحد ملوك الفرس القدماء ، الكتاب عبارة عن وصية لولده وللملوك من بعده ، يقول مسكويه "انه وجد هذا الكتاب القديم جدا لدى موبذان موبذ وأضاف اليه مالتقطه من وصايا وآداب الأمم الأربع الفرس والهند والعرب والروم ليرتاض بها الأحداث ، ويتذكر بها العلماء ما تقدم لهم من الحكم والعلوم"3.

ألف مسكويه هذا الكتاب بين عامي (376هـ- 382هـ) يروي أخبارًا كثيرة على الفلاسفة ، وهو على صلة بنوع من الأدب انتشر في ذلك العصر ، وحكم منسوبة الى حكماء من الزمن الغابر ، ويرى الأستاذ عبد الرحمن بدوي الذي نشر هذا الكتاب مؤخرا: "ان صاحبه قد يكون استقى معلوماته من كتاب حياة الفلاسفة ومؤلفه ديوجينس لارس"4.

---

1 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق ، المصدر السابق ، ص9.

2 علي عبد الفتاح المغربي:الفضيلة والسعادة عند مسكويه ، الدكتور توفيق الطويل مفكرا عربيا ورائدا للفلسفة الخلقية بحوث عنه ودراسات مهداة اليه ، إشراف: عاطف العراقي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1995 ، ص278.

3 محمد اركون: المرجع السابق ، ص229.

4 كوربان هنري: تاريخ الفلسفة الاسلامية ، تع: نصير مروة وآخرون ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط3 ، 1983 ، ص267.

كما ان هذا الكتاب عبارة عن ست مقالات فلسفية مستعارة من المصادر الأكثر تنوعا ، وبالتالي فهو من بين المصنفات التي نسبها ياقوت الحموي 1 لمسكويه بالعنوان الفارسي جاوذان خرد.

6- كتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم: وهو كتاب في التاريخ ألفه ليستفيد منه الوزراء والأمراء وأصحاب الجيوش ومدبروا أمر العامة ، تناول فيه "تاريخ الدولة العباسية منذ سنة (295هـ) خلافة المقتدر حتى سنة (369هـ) ، أسهب في شرح أحوال الدولة في تلك الحقبة وما كان من نزاع بين العناصر المختلفة ، كما أطال وصف النزاعات الاستقلالية والحروب مع الدول المجاورة كالبيزنطيين ، فضلا من اعتباره تاريخا للدولة سيما فيما يتعلق بالنظم الإدارية والمالية والعسكرية"2.

ومما رآه الأستاذ احمد أمين ان مسكويه يقصد من هذا الكتاب "ما جرى على الأمم التي قبلنا ، والملوك والناس عبارة عن درس ووعظ وإرشاد...ويقف عند كل أمير حتى ولو كان صغير السن فقد يكون منه درس كبير..."3.

ركز مسكويه في هذا الكتاب على الحقبة البويهية ، والى كل ما يدور في فلك الخلفاء والوزراء وأمور الجيوش والسياسة ، وما كان يدبر في كواليس القادة ومدبري شؤون الناس من القضاة والشخصيات الفكرية والسياسية ، وكل ذلك من خلال مشاهدة وعيان أو سماع من وزير أو أمير أو حوار مع قائد ؛ لذلك فهو مصدرا لا يستغنى عنه في دراسة تلك الحقبة والتي خصص لها هذا الكتاب الكبير.

وما امتاز به مسكويه على غيره من معاصروه انه لم يجعل همه في جمع الحوادث بلا تدبر أو نظر ، بل يجمعها بتدبر وتمحيص لأنه شاهد عيان على هذه الحقبة ، ويتكون الكتاب "من ستة أجزاء لم يوفق الباحثون الى الوقوف عليها كاملة ، حتى عني كايتاني بأمرها ، وكلف بعض الأساتذة فعثروا على نسخ منها..."4.

---

1 ياقوت الحموي: المرجع السابق ، ص495.

2 عبد الغني عبد الله يسري: معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن 12 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1991 ، ص166.

3 احمد أمين: المرجع السابق ، ص ص146 147.

4 زيدان جورجي: المرجع السابق ، ص ص565 566.

بلغ مسكويه في هذا الكتاب الى سنة(372هـ) ، وهي السنة التي مات فيها عضد الدولة بن بويه ، يقول القفطي عن هذا الكتاب: "وهو كتاب جميل كبير يشتمل على ما ورد في التاريخ مما أوجبته التجربة..." 1. كما امتاز الكتاب بسرد الأخبار في يسر ملموس ، ثم يعقب على ذلك بتأنق مقبول ، وهذا ما أكده الأستاذ زكي مبارك (1892م-1952م) في قول مسكويه: "ومن حسن سياسة الملوك ان يجعلوا خاصتهم كل مهذب الأفعال ، محمود الخصال موصوفا بالخير والفعل معروفا بالصلاح والعدل ، فان الملك لا تخالطه العامة ولا أكثر الجند..."2

وخلاصة القول ان مسكويه يمثل مستوى عاليا في الكتابة التاريخية ، وساعده على ذلك خبرته بشؤون السياسة وإدراك كامل وبفهم شامل للتاريخ.

ومن الكتب التي نسبها ياقوت الحموي لمسكويه3:

1- كتاب انس الفريد: وهو مجموع ، يتضمن أخبارا وحكما وأمثالا وغير مبوب.

2- الفوز الأكبر.

3- كتاب المستوفى: عبارة عن أشعار مختلفة.

4- كتاب الجامع.

5- كتاب السير: ذكر فيه ما يسير به الرجل نفسه من أمور دنياه ، مزجه بالأثر والآية والحكمة والشعر.

ومن الكتب التي نسبها ابن ابي أصيبعة لمسكويه4:

1- كتاب الأشربة.

2- كتاب الطبيخ.

---

1 القفطي: المصدر السابق ، ص331.

2 زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع ، الجزء الأول ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط2 ، 1958 ، ص124.

3 انظر ياقوت الحموي: المرجع السابق ، ص495.

4 ابن ابي أصيبعة: المرجع السابق ، ص331.

ومن الكتب التي نسبها القفطي لمسكويه1:

1- كتاب في الأدوية المفردة.

2- كتاب في تركيب الباجات من الأطعمة: احكمه غاية الإحكام ، واتى فيه من أصول علم الطبيخ.

ومن الكتب التي نسبها الخوانساري لمسكويه2:

1- كتاب في مختارات الشعر

2- كتاب السياسة للملك

3- كتاب آداب العرب والفرس

4- كتاب آداب الدنيا والدين

5- كتاب فوز السعادة

6- مقالات في الحكمة والرياضة

ب-مجموعة رسائله:

1- رسالة في ماهية العدل: وجهها مسكويه الى علي بن محمد ابي حيان الصوفي في ماهية العدل ، يركز فيها مسكويه على مفاهيم العدالة "يحدد العدالة في كل معانيها الكونية والحسابية والسياسية والإلهية" 3 ، كما ركز في هذه الرسالة على مفهوم الوحدة التي تتحقق انطلاقا من هذا التوازن التام المتمثل في العدالة ، ولا يحصل إلا بين الملكات الثلاث للنفس أو بين أعضاء المجتمع.

2- رسالة في النفس والعقل: هذه الرسالة عبارة عن جواب لسائل سأله عن النفس والعقل إذ يقول: "ان للعقل خاصة نظر أخرى ليس من باب الإضافة ولا من مبادئ

---

1 انظر- القفطي: المرجع السابق ، ص332.

2 انظر- اركون: المرجع السابق ، ص ص205 206.

3 المرجع السابق ، ص223.

المحسوسات ، وليس ينبغي ان نغفله ولا ننساه ، فإذا فعلنا ذلك حصلنا على بعض المعقولات اعني كليات الأمور المأخوذة من الحواس بالتقاطها من الجزئيات وفاتتنا المعقولات الشريفة التي هي بسائط الأشياء وذواتها التي ليست بمحسوسة ولا مأخوذة من الحواس1.

3- وصية مسكويه لطالب الحكمة: هذه الوصية تمثل نوعا من التحول الحاسم في حياة مسكويه ، الجزء الأول من حياته كرس مواهبه الفكرية من اجل التوصل الى الأمراء والوزراء ، أما الجزء الثاني فقد أصبح الكمال الأخلاقي بحد ذاته هدفه الأول والأخير.

وفكرة الكمال تنتقل من مرحلة الكمون الى مرحلة الظهور والتحقق الفعلي ، أو من مرحلة التصور الشكلاني الى مرحلة التجسد في روح شخص معين وفي سلوكه.

وأكد مسكويه في هذه الوصية على دور النية لطالب الحكمة ، بألا يخالف عمله علمه ؛ سأل التوحيدي مسكويه في هذه المسألة فأجابه: "الواعظ إنما يأمر بما عنده انه الصواب ، فإذا خالف نفسه أوهم غيره ، انه كذب وغش...فهذا وأشباهه يعرض في قلب المستمع واعظ من لا يعمل بوعظه ، فهذا لم يبرأ من المذمة...أما إذا عمل واجتهد واخلص سره ووافق عمله علمه حمد على ذلك وبرأ من المذمة..."2.

4- وصية مسكويه: هذه الوصية يذكرها ياقوت الحموي في معجمه ، وهي معاهدة روحية يذكرها مسكويه تجاه نفسه ومنها "هذا ما عاهد عليه احمد بن محمد ، وهو يومئذ امن في سربه معافى في جسمه عنده قوت يومه لا تدعوه الى هذه المعاهدة ضرورة نفس ولا بدن ، ولا يريد بها مُراءاة مخلوق ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة....."3.

---

1 المرجع السابق ، ص224.

2 ابو علي مسكويه: الهوامل والشوامل ، المصدر السابق ، ص254.

3 ياقوت الحموي: المرجع السابق ، ص499.

ثانيا-التهذيب الأخلاقي:

اعتبر مسكويه علم الاخلاق افضل العلوم لأنه يعنى بأفعال الإنسان ، وكتابه الرائع تهذيب الاخلاق وتطهير الاخلاق لأكبر دليل على اهتمامه بهذا العلم.

وما يدعم هذا الكلام ما أكده الأستاذ احمد محمود صبحي في قوله: "ان مسكويه هو أول من وجه الأنظار الى الدراسات الأخلاقية بين فلاسفة الإسلام ، كما حاول التوفيق بين النظر والعمل فضلا عن اهتمامه بتربية الأحداث كي يشبوا على الفضيلة"1.

والشيء الذي جعل مسكويه يهتم بعلم الاخلاق هو"إشارته الى ضرورة تقويم الخلق على أساس فلسفي سليم حتى تصدر الأفعال عن النفس جميلة من غير كلفة ولا مشقة"2.

والإنسان في نظر مسكويه هو اشرف المخلوقات لذلك نجده يقسم العلوم الى قسمين: علوم نظرية وعلوم عملية ، وهذا التقسيم تبعا لوجود قوتين في الإنسان عالمة وعاملة "القوة العالمة تتجه الى العلوم وتشتاق إليها ، ويبلغ المرء كماله فيها عندما يصدق نظره وتصح بصيرته وتستقيم رويته ، أما القوة العاملة فتعنى بنظم الأمور وترتيبها ، فتبدأ بترتيب قوى الإنسان وأفعاله حتى لا تتغالب ، وتصدر كلها بحسب القوة المميزة منتظمة مرتبة كما ينبغي"3

نعم وكما رأينا ان مسكويه استفاد كثيرا بالفلسفة اليونانية مع الحرص على عدم الاختلاف مع الشريعة الاسلامية ، لذلك نجده يحاول توضيح الطريق الى السلوك المستقيم بما يجعل الالتزام بهذا السلوك سهلا وميسورا ، بذلك تكون "أفعال الإنسان وقواه وملكاته تختص بها من حيث هو إنسان وبها تتم إنسانيته وفضائله ، وهي أمور إرادية بها تتعلق قوة التفكير والتمييز ، والنظر فيها يسمى الفلسفة العملية"4.

---

1 احمد محمود صبحي: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط3 ، 1992 ، ص312.

2 المرجع السابق ، ص310.

3 علي بوملحم: علم الاخلاق عند مسكويه ، -دراسات عربية- العدد12 ، بيروت ، تشرين الأول اكتوبر1990 ، ص102.

4 المرجع السابق ، ص104.

من خلال هذا النص نفهم ان علم الاخلاق عند مسكويه هو الفلسفة العملية التي تنظر في أعمال الإنسان الإرادية منها ما هو خير ومنها ما هو شر ، وبهذا يكون علم الاخلاق يتناول محورين الخير والشر.

والأخلاق عند مسكويه تجمع بين العقل والإرادة (العلم-العمل) ، وتسعى الى العلم التام بكافة الموجودات وبخالق الكون حتى يتسنى للعقل معرفة مراتب الأشياء.

ومذهب مسكويه الأخلاقي هو مذهب اجتماعي ان صح التعبير ، فهو يدعوا لان يعيش المرء في اجتماع لا منفردا وحده ، والسبب في ذلك "ان قوى الإنسان وملكاته النفسية متعددة ، والخيرات التي تكون منها ان استعملت كما ينبغي كثيرة ، ولا طاقة لواحد ان يحصلها جميعها وحده فلابد من تعاون كثيرين على تحصيل هذه الخيرات ، سواء ما اتصل منها بالقوة المفكرة أو بالقوة الغضبية أو بالقوة الشهوية لينعم الجميع بها معا وتتم لهم السعادة"1.

ولمعرفة مفهوم الاخلاق عند مسكويه لابد ان نتطرق أولا للنفس ، وهذا واضح في قوله: "الخلق حال للنفس داعية لها الى أفعالها من غير فكر ولا روية" 2 ؛ إذن فالطريق لتحصيل هذا الخلق الفاضل الذي تنشا عنه الأفعال الجميلة هو "ان نعرف أولا نفوسنا ماهي ، وأي شيء ، وما قواها وملكاته التي إذا استعملناها على ما ينبغي بلغنا بها الرتبة العليا"3.

فالملاحظ هنا تأثر مسكويه وغيره بفلاسفة اليونان ، وهذا ما رآه الأستاذ ناجي التكريتي في قوله: "ان معظم فلاسفة الإسلام أقاموا دراساتهم في الاخلاق على نظرياتهم في النفس..."4.

---

1 محمد يوسف موسى: فلسفة الاخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفة الإغريقية.....ص ص 101 102.

2 ابو علي محمد مسكويه: المصدر السابق ، ص30.

3 المصدر السابق ، ص9.

4 ناجي التكريتي: الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام ، دار الأندلس ، بيروت ، ط2 ، 1982 ، ص344.

1-نظرية النفس والخلق:

أ- نظرية النفس:

ان دراسة مسكويه للإنسان وضحت ان هناك عنصرا غير مادي في الطبيعة البشرية هو النفس ، ويعرفها قائلا: "هذا الشيء –اي النفس- ليس بجسم ولا جزءا من جسم لا عرضا ، وذلك انه لا يستحيل ولا يتغير ويدرك جميع الأشياء بالسوية ولا يلحقه فتور ولا نقص"1.

والحجة على ان النفس ليست جسما هو: "ان الجسم إذا قبل صورة وشكلا من الأشكال كالتثليث مثلا ، لا يقبل شكلا آخر من التربيع والتدوير وغيرهما إلا بعد ان يفارقه الشكل الأول ، وإذا قبل صورة نقش أو كتابة أو اي شيء ، لا يقبل صورة أخرى من ذلك الجنس إلا بعد زوال الأولى...فإذا بقي فيه من رسم الصورة الأولى لم يقبل الصورة الثانية على التمام ، بل تختلط الصورتان فلا يخلص له إحداهما على التمام"2.

والحجة على ان النفس ليست عرضا هو: "ان العرض لا يحمل عرضا ، لان العرض في نفسه محمول أبدا موجود في غيره ، لا قوام له بذاته ، وهذا الجوهر الذي وصفنا حاله هو قابل أبدا ، حَامِل أتم وأكمل من حمل الأجسام للأعراض" 3 ؛ إذن فالنفس ليست جسما ولا جزءا من جسم.

وهناك حجة أخرى يتبين من خلالها ان طباع النفس تختلف عن طباع البدن في قول مسكويه: "..الجسم قواه لا تعرف العلوم إلا من الحواس كالشهوات البدنية ، ويزداد بهذه الأشياء قوة ويستفيد منه تماما وكمالا لأنها مادته وأسباب وجوده ، فهو يفرح بها ويشتاق إليها لأنها تتمم وجوده ، أما النفس فكلما ابتعدت عن هذه المعاني

---

1 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق ، المصدر السابق ، ص11.

2 المصدر السابق ، ص11.

3 المصدر السابق ، ص12.

البدنية ازدادت قوة وتماما وكمالا" [1] ؛ وهذه الفوارق بين النفس والبدن تدلنا دلالة واضحة على ان النفس جوهر أعلى وأكرم من الأمور الجسمانية.

ويؤكد هذا الكلام الأستاذ علي بوملحم في قوله: "إذا كانت النفس تأخذ كثيرا من مبادئ العلوم عن الحواس ، إلا انها تملك من ذاتها مبادئ أخرى لا تأخذها عن الحواس وهي المبادئ الشريفة العالية التي تُبنى عليها القياسات الصحيحة كمبدأ عدم التناقض ، والحواس تدرك المحسوسات فقط ، أما النفس فتدرك المعقولات وتدرك أسباب الاختلافات بين المحسوسات وتحكم على الحس انه صدق أو كذب..."[2].

ان حرص النفس على الابتعاد عن كل ما هو مادي وإيثارها لكل ماهو الهي روحاني دليل واضح على أنها ليست من جنس الجسم.

انها جوهر أعلى وأكرم من الجسم كما قلنا آنفا "لأنها لا تدرك الأمور البسيطة من المركبات ، وتدرك من المركبات أنواعها وأشخاصها بالرغم من ان الموجودات منقسمة الى هذه الأشياء وليس يفوت النفس منها شيء"[3].

وهذه النفس بطبيعتها واحدة في نظر مسكويه إلا انها متعددة القوى والميول والاتجاهات ، وتنقسم هذه القوى الى ثلاثة أقسام[4]:

1- القوة التي عن طريقها يتم التفكير والتمييز والنظر في حقائق الأشياء ، وتسمى بالملكية ، وآلتها التي تستعملها من البدن هي الدماغ.

2- القوة التي بها تغضب النفس وتقدم على الأهوال ، وبها تميل الى التسلط والترفع ، وتسمى بالقوة السبعية وآلتها من البدن هي القلب.

3- القوة الشهوانية التي يطلب بواسطتها الغذاء وبقية اللذات الحسية وتسمى بالبهيمية ، وآلتها التي تستعملها من البدن هي الكبد.

---

1 المصدر السابق ، ص13.

2 علي بوملحم: المرجع السابق ، ص105.

3 ابو علي محمد مسكويه: الفوز الأصغر ، المصدر السابق ، ص36

4 انظر- ابو بكر ابراهيم التلوع ، المرجع السابق ، ص133.

ويتضح من خلال هذا التقسيم التأثر الشديد بأفلاطون خاصة ، وبغيره من الفلاسفة عامة ؛ ويعلم من هذا التقسيم "ان بعضها إذا قوي اضر بالآخر ، ربما أبطل إحداهما فعل الأخرى وربما جُعلت نفوسا وربما جُعلت قوى لنفس واحدة...وأنت تكتفي في تعلم الاخلاق بأنها قوى ثلاث متباينة تقوى إحداها وتضعف بحسب المزاج والعادة والتأديب"1.

ويقابل هذا التقسيم في قوى النفس تقسيم آخر للفضائل "فبعدد قوى النفس تنتظم كل فضيلة منها فضائل جزئية تعود إليها ، ثم باعتدال هذه الفضائل وانسجامها فيما بينها تكون فضيلة أخرى هي كمال الفضائل الثلاث" 2 ؛ الم يقل مسكويه: "فلذلك أجمع الحكماء على أن أجناس الفضائل أربعة وهي الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة"3.

غير ان النفس في نظر مسكويه "جوهر حي باق لا يقبل الموت ولا الفناء ، وأنها ليست الحياة بعينها ، بل تعطي الحياة كل ما توجد فيه...وأنها لو كانت الحياة لكانت حياة بحي...وان للنفس أفعالا خاصة بها مفارقا للبدن...ويقصد بالمفارق ذلك الجزء العاقل من النفس...لأن النفس الشهوانية تموت بموت البدن..."4.

وخلاصة القول ان النفس لا تقوى بقوة الجسم ولا تضعف بضعفه ، واستدل مسكويه على بقاء النفس نراه يغترف من الإغريق ، وبعبارة أدق من أفلاطون.

الدليل الأول : النفس تعطي الحياة كل ما توجد فيه ما جعل حياتها جوهرية ولا تقبل الموت.

الدليل الثاني: النفس لا تمتاز بالرداءة ، لان الرداءة مقترنة بالفساد "فالرداءة مقترنة بالفساد والفساد مقترن بالعدم ، والعدم مقترن بالهيولى...والنفس ليست صورة

---

1 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق ، المصدر السابق ، ص18.

2 محمد يوسف موسى ، المرجع السابق ، ص87

3 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق ، المصدر السابق ، ص19.

4 ابو علي محمد مسكويه: الفوز الأصغر ، المصدر السابق ، ص ص49 50.

هيولانية ، اي محتاجة الى الهيولى في وجودها لان النفس ليس فيها شيء من الرداءة إذن ليس لها فساد ، وليس لها عدم فهي باقية.

الدليل الثالث: "ان النفس متحركة من ذاتها وكل ما كانت حركته من ذاته فهو غير فاسد ، إذن النفس غير فاسدة"1.

إذن بما ان النفس ليست هيولى ، وأنها بعيدة عن الرداءة ، وليس لها فساد وليس لها عدم ، فهي جوهر حي لا يقبل الموت ولا الفناء.

ب-نظرية الخلق:

يعرف مسكويه الخلق انه حال للنفس داعية الى أفعالها من غير فكر ولا روية كما رأينا ، وهذه الحال "منها ما يكون طبيعيا كالذي تسوقه فطرته ومزاجه للبذل أو الإمساك أو الجبن أو الشجاعة ونحو هذه الخلال ، ومنها ما يرجع للعادة والمرانة كالذي يتعود الصدق في القول والشجاعة في العمل ويستمر على ما تعود حتى يصير له خلقا راسخا"2.

والذي فطر على نحو معين لا يتعذر عليه ان يغير مما فطر عليه ، مما يدل على تغير الاخلاق وهذا الرأي انحاز اليه مسكويه ، فكل إنسان قابل للتخلق من حال الى حال تبعا للبيئة التي تحوطه ولنوع التربية التي يتلقاها ، وهذا ما نلاحظه في واقعنا وملاحظة انتقال الصبي الناشئ واكتسابه للأخلاق ؛ ورأى "ان الإنسان وان لم يكن بالطبيعة أخلاقيا إلا انه مطبوع على الخلق الكريم ، فعن طريق التربية السليمة يتعلم الإنسان الفضائل والقيم الأخلاقية التي يطبع بها سلوكه وأفعاله بطريقة تختلف من شخص لآخر"3.

---

1 المصدر السابق ، ص55.

2 محمد يوسف موسى: المرجع السابق ، ص81.

3 ابو بكر ابراهيم التلوع: المرجع السابق ، ص137.

غير ان مسكويه صاغ هذه القضية على أساس منطقي أساسه القياس العقلي والاستقراء العلمي "كل خلق يمكن تغيره ، لا شيء ممكن تغييره هو بالطبع ، إذن لا خلق ولا واحد منه بالطبع"1.

مما تقدم عرضه يتبين ان سلوك الأفراد يمكن تغييره وتهذيبه من حال الى حال ، وهذا ما نجده وخاصة عند الأفراد الذين لم تنضج عقولهم ، وتكون إدراكاتهم في صور متقلبة لسلوكهم بين الفضيلة والرذيلة.

هذا ما أشار اليه صاحبنا فيما يخص اختلاف مراتب الناس في قبول الآداب إذ يقول:"...ليسوا على رتبة واحدة ، بل فيهم المتواني والسهل والخير والشرير ، والمتوسطون بين هذه الأطراف في مراتب كثيرة ، وإذا أهملت الطباع ولم ترض بالتأديب والتقويم نشا كل إنسان على طباعه وبقي عمره كله على الحال التي كان عليها في الطفولة" 2 ؛ لذلك وجب الإسراع الى تعلم الفضائل والحرص عليها منذ الطفولة.

2-نظرية الفضيلة والخير والسعادة:

أ)نظرية الفضيلة:

– يسير مسكويه في نظريته للفضيلة نفس المسار الذي ساره فلاسفة الإغريق وبالتحديد ارسطو- يقول مسكويه: "الفضيلة هي وسط بين رذائل ، وما أنا واصفه ان الأرض لما كانت في غاية البعد من السماء قيل:انها وسط ، كذلك المركز من الدائرة هو على غاية البعد من المحيط ، وإذا كان الشيء على غاية البعد من شيء آخر فهو من هذه الجهة على القطر" 3 ؛ من هذا يفهم معنى الوسط من الفضيلة بعدها عن الرذائل ، وإذا انحرفت أدنى انحراف اقتربت من الرذيلة.

لكن الشيء الذي يلفت الانتباه ان الوسط في نظر مسكويه هدف صعب إصابته كما ان التمسك به دائما أصعب ، الأمر الذي يتطلب منا ان نقف عند هذه النقطة

1 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص32.

2 المصدر السابق ، ص32.

3 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص26.

ونحن نتحدث عن الفضيلة ، "ان بعض الفضائل قد تزيد عن الوسط وبعضها قد تنزل عنه ، ويكون الخير في ذلك كله" 1 ؛ كيف هذا الكلام وقد قلنا ان الفضيلة وسط بين طرفين من الرذائل؟.

والإجابة مباشرة هي في قول الأستاذ احمد أمين:"ان هناك كثير من الفضائل لا يظهر فيها انها أوساط بين رذيلتين كالصدق والعدل ، فليس هناك إلا صدق وكذب وظلم وعدل ، وان بعض الفضائل ليست في وسط أو على بعد متساو بين رذيلتين كالشجاعة مثلا فهي ليست على بعدين متساويين من التهور والجبن ، بل اقرب الى التهور ، والكرم اقرب الى الإسراف منه الى البخل"2

وهذا الكلام اعتُرض عليه على نظرية الوسط الأرسطية والتي ربما لم يستوعبها مسكويه جيدا لكثرة النماذج التي يوردها لهذا الوسط "فأدرك صعوبة ذلك الوسط لأنه ليس وسطا حسابيا دقيقا ، بل وسط نظري اعتباري"3.

فمسكويه ينظر للفضيلة انها أكثر من طرف واحد هذا "إذا تصورنا الفضيلة مركزا وأخرجنا منه خطا مستقيما فحصلت له نهاية ، أمكننا ان نخرج من الجانب المقابل له خطا آخر على استقامته فتصير له نهاية أخرى ، وتصيران جميعا مقابلتين للمركز الذي فرضناه فضيلة ، إلا ان إحداهما تجري لها مجرى الإفراط والأخرى مجرى التفريط والتقصير..."4.

وأجناس الفضائل أربعة عند مسكويه وهي:

1- الحكمة: هي فضيلة النفس الناطقة المميزة ، انها تعلم الموجودات كلها من حيث هي موجودة ، وأنواعها التي تعد فضائل أيضا: الذكاء . الذكر . التعقل . صفاء الذهن . جودة الذهن.

---

1 موسى محمد يوسف: المرجع السابق ، ص87.

2 احمد أمين: الاخلاق ، المرجع السابق ، ص ص135 136.

3 علي عبد الفتاح المغربي: المرجع السابق ، ص286.

4 محمد اركون: المرجع السابق ، ص510.

والحكمة "وسط بين السفه والبله ، والسفه هو استعمال القوة الفكرية في ما لا ينبغي ، والبله تعطيل هذه القوة وإطراحها ، اي تعطيل القوة الفكرية بالإرادة.

2- العفة: وهي فضيلة الحس الشهواني وأنواعها: الحياء . الدعة . الصبر . السخاء . الحرية . الدماثة . القناعة . الانتظام . حسن الهدي . المسالمة . الوقار . الورع.

والعفة وسط بين الشره وخمود الشهوة ، آما الشره فهو الانهماك في اللذات ، وخمود الشهوة هو السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة الجميلة.

3- الشجاعة: هي فضيلة النفس الغضبية ، وتظهر في الإنسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة المميزة وأنواعها: كبر النفس . النجدة . عظم الهمة . الثبات . الصبر . الحلم . عدم الطيش . الشهامة....

والشجاعة هي وسط بين الجبن وهو الخوف في ما لا ينبغي ان يقدم عليه والتهور.

4- العدالة: هي فضيلة للنفس تحدث لها من اجتماع هذه الفضائل الثلاث ، اعتبرها مسكويه "لا بوصفها جزءا من الفضيلة العامة ، بل الفضيلة كلها" 1 ؛ وأنواعها: الصداقة . الألفة . صلة الرحم . مكافأة الشرير بالخير ، حسن القضاء ، التودد...الخ.

والعدالة هي وسط بين الظلم والإنظلام ، أما الظلم فهو التوصل الى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي ، والإنظلام هو الاستحواذ والاستحاتة في المقتنيات لمن لا ينبغي كما ينبغي.

سنقف على هذه الفضيلة لان لها عند مسكويه مكانة خاصة بل واعتبرها "ليست جزءا من الفضيلة بل الفضيلة كلها ، إذ كانت الفضائل الأخرى ليست بدونها شيئا مذكورا" 2 ؛ وتتحقق هذه الفضيلة "إذا سار الإنسان في ظل القوة الناطقة اعتدلت

---

1 محمد حمدى زقزوق: مقدمة في الفلسفة الاسلامية ، دار الفكر العربي ، (د-ط) ، 2003 ، ص184.

2 محمد يوسف موسى: المرجع السابق ، ص92.

القوى الأخرى ، وصارت تعمل بطريقة تحقق معها الفضائل الخاصة بها ، وعندها تبرز الفضيلة الأسمى وهي العدالة التي بها فحسب تتحقق السعادة للإنسان"1.

ولأهمية فضيلة العدالة نجد مسكويه يخصص لها رسالة خاصة بعنوان"رسالة في ماهية العدل" ؛ وجاءت هذه الرسالة عندما سال التوحيدي مسكويه عن حد الظلم والعدل في كتاب الهوامل والشوامل ، رد عليه قائلا: "الظلم انحراف عن العدل ، ولما احتيج في فهمه الى فهم العدل ، أفردنا له كلاما سنقف عليه ملخصا مشروحا ، وهو في معنى الجور...والعدل يكون في المعاملات وهو التقسيط بالسوية ، وهذه السوية من المساواة بين الأشياء الكثيرة..."2.

ومن الأمور التي تحقق الاعتدال في المعاملات الشريعة لأنها "الناموس الأكبر الذي هو من عند الله تبارك وتعالى ، وناموس الله تعالى قدوة النواميس كلها فقانون الشريعة يعلو كل القوانين ، وان القانون الوضعي يقتدي بالقانون الإلهي ؛ فالعادل هو الذي يتمسك بالقانون الإلهي ، أما الجائر الأعظم هو الذي لا يقبل الشريعة ولا يدخل تحتها"3.

ومواطن تواجد العدالة في نظر مسكويه هي: 1- قسمة الأموال والكرامات ، 2- قسمة المعاملات الإرادية كالبيع والشراء ، 3- قسمة الأشياء التي وقع فيها ظلم وتعدي ؛ والشريعة هي التي ترسم في كل موطن من هذه المواطن التوسط والاعتدال.

وتبدوا نزعة مسكويه الاجتماعية واضحة في هذه المواطن الثلاث يقول في ذلك: "الناس مدنيون بالطبع ، ولا يتم لهم العيش إلا بالتعاون فبعضهم يخدم بعض...فهم يطلبون المكافأة المناسبة...ويكون الدينار هو المقوم والمسوي بينهما ، فالدينار هو

---

1 ابو بكر ابراهيم التلوع: المرجع السابق ، ص135.

2 ابو علي محمد مسكويه: الهوامل والشوامل ، المصدر السابق ، ص84.

3 علي عبد الفتاح المغربي: المرجع السابق ، ص270.

عدل ومتوسط استقامة ونظام ومناسبة صحيحة عادلة ، وذلك يستعان بالحاكم الذي هو عدل ناطق إذا لم يستقم الأمر بين الخصمين بالعدل الساكت"1.

أضاف مسكويه موضعين يحققان العدالة وهما: العدل الساكت وهو الدينار ، والعدل الناطق وهو الحاكم ، "أما الحاكم الأكبر من عند الله تبارك وتعالى ، والحاكم ناموس ثان من قبله ، والدينار ناموس ثالث ؛ فناموس الله قدوة النواميس كلها..."2.

وهو ما يؤدي الى استواء المعاملة بين أفراد المجتمع ، وبالتالي يتحقق العدل المدني "فبالعدل المدني عمرت المدن وبالجور المدني خربت المدن..."3.

ولا يتحقق العدل إلا إذا وجد من يحفظ السنة وغيرها من وظائف الشرع وهو الإمام "وصناعته هي صناعة الملك الذي يقوم بحفظ الدين ومراتبه وأوامره وزواجره...وذلك ان الدين هو وضع الهي يسوق الناس باختيارهم الى السعادة القصوى ، والملك حرس للوضع الإلهي حافظ على الناس ما اخذوا به"4.

ويذكر مسكويه ان جميع الفضائل تتحقق بإرادتنا واختيارنا ، لكن هل الرذيلة أيضا كذلك؟ ؛ فمثلا إذا كانت العدالة فعلا اختياريا يتعاطاه الجائر ويقصد به تحصيل الفضيلة لنفسه والمحمدة من الناس ، فيجب ان يكون الجور فعلا اختياريا يتعاطاه الجائر ويقصد به تحصيل الرذيلة ومذمة الناس . فمن الشنيع القبيح ان يظن بالإنسان العاقل ان يقصد الإضرار بنفسه.

ان ترك مشاورة العقل وسوء الاختيار يجعل المرء يرتكب فعلا يؤديه الى ضرر أو عذاب "فالحاسد جنى على نفسه لا على سبيل إيثار الإضرار بها ، بل لأنه يظن انه ينفعها في العاجل بالخلاص من الأذى يلحقه من الحسد"5.

---

1 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص79.

2 المصدر السابق، ص80.

3 المصدر السابق ، ص80.

4 المصدر السابق، ص95.

5 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص87.

وأجاب مسكويه إجابة أخرى رآها أكثر إقناعا وهي "ان للإنسان قوى كثيرة يعمل بكل قوة عملا مخالفا للعمل بالأخرى ، فصاحب الغضب إذا اشتد غضبه اختار أفعالا مخالفة لأفعاله إذا كان ساكنا وديعا...من شان هؤلاء ان يستخدموا العقل الشريف في تلك الأحوال...فالعاقل إذا تغيرت أحواله تلك صار من الغضب الى الرضا ومن السكر الى الإفاقة..."1.

من هذا الكلام يتضح ان الرذيلة تكون في غياب العقل والجهل بالفضيلة ، "الفضيلة معرفة ، والرذيلة ليست إلا جهلا وسوء اختيار وخطأ في الرأي والحساب"2.

من هذا الكلام يتضح ميل مسكويه بشكل كبير الى رأي سقراط القائل:"الفضيلة بأنها المعرفة" 3 ؛ إذ ان سقراط يسقط عامل الإرادة تماما ويصرح: "ان الإنسان لا يفعل الشر بإرادته ، وهذا ما دفعه الى إعفاء الأشرار من نتائج أعمالهم لأنهم لم يقصدوا الشر ، وإنما حصل ذلك بسبب جهلهم الأساليب المؤدية الى النتائج الخيرة ما علينا إلا ان نصحح لهم معلوماتهم كي يصبحوا في عداد الأخيار"4.

وعلى العكس من ذلك فمسكويه لا يغفل عامل الإرادة بل يؤكد ان الفضائل جميعها بالإرادة والاختيار كما رأينا ، وبالتالي "أدرك مسكويه قيمة المعرفة في الفضيلة ، وان لم تكن الفضيلة معرفة فقط إذ ان من المؤكد ان المعرفة عنصر هام من عناصر الفضيلة فهو لا يقول ان الفضيلة معرفة بالمعنى الذي قصده سقراط ، لكن يؤكد ان الفضيلة لا تخلو من المعرفة ، بل هي شرط أولي فيها"5.

وهذه النظرة توجب على الإنسان "ان يكون ملما بتلك القواعد الأخلاقية التي سيكون عليه ان يعمل بها أو ان يخرج عليها ، ونحن لا ننكر ان مثل هذه المعرفة لا

---

1 علي عبد الفتاح المغربي: المرجع السابق ، ص268.

2 موسى محمد يوسف: المرجع السابق ، ص91.

3 ناجي التكريتي: المرجع السابق ، ص20.

4 اسعد السحمراني: الاخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة ، دار النفائس ، بيروت ، ط2 ، 1994 ، ص68.

5 علي عبد الفتاح المغربي: المرجع السابق ، ص269.

تضمن لنا سلفا إقبال صاحبها على أداء الفعل الخير أو تحقيق السلوك القويم ، لكن من الواضح ان المعرفة تمثل شرطا أوليا ضروريا لكل حياة خلقية سليمة"1.

ولكن لا يمكننا ان نعتقد كما اعتقد الأستاذ محمد يوسف موسى "ان مسكويه انحاز الى سقراط وترك ارسطو" 2 ؛ الم يتأثر بأرسطو في نظرية الوسط ؛ وكيف نفسر عامل الإرادة الذي ذكره مسكويه وقال به ارسطو؟ ، ويتضح عامل الإرادة في قول ارسطو:"ان الفضائل لا توجد بدون فعل الإرادة والاختيار ، أما وجدانات الغضب والخوف لا تتعلق البتة باختيارنا وبإرادتنا"3.

وهذا الكلام يدفعنا الى القول ان مسكويه جمع بين نظرة سقراط القائلة الفضيلة هي العلم ، وتتحقق بالعلم والعمل وبالمعرفة والسلوك ، ومن غير المختلف فيه انه لا يتم احدهما إلا بالآخر لان العلم مبدأ والعمل تمام.

وبين نظرة ارسطو التي تعطي الأولوية للإرادة والعادة ، يقول ارسطو:"ان الإنسان يصير عادلا بإتيانه أفعالا عادلة ومعتدلا بإتيانه أفعالا معتدلة ، وإذا كان الإنسان لا يمارس البتة أفعالا من هذا الجنس فمن المحال عليه ايا كان ان يصير البتة فاضلا..."4.

وخلاصة القول ان مسكويه جمع رأيه في الفضيلة بين أراء سقراط وأفلاطون وأرسطو ، وهذا الجمع يناسب نزعته التوفيقية بين الآراء ، وما ساعده على ذلك ان هذه الآراء بينها تواصل وأنها ليست متباعدة أو يناقض بعضها بعضا.

ب-نظرية الخير والسعادة:

يتحدث مسكويه عن الخير والسعادة في الإطار الذي تحدث فيه القدماء وبعبارة أدق في الإطار الأرسطي ، فيبدأ بذكر عبارات ارسطو تاثرا به فيقول: "ان الخير هو المقصود من الكل وهي الغاية الاخيرة وقد يسمى الشيء النافع في هذه الغاية

1 زكريا ابراهيم: المشكلة الخلقية ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ط3 ، (د-ت) ، 1980 ، ص115.

2 موسى محمد يوسف: المرجع السابق ، ص92.

3 ارسطو: علم الاخلاق الى نيقوماخوس ، ترجمه من اليونانية الى الفرنسية: بارتلمي سانتهلير ، تع: احمد لطفي السيد ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، (د-ط) ، الجزء الأول ، 1924 ، ص241.

4 المصدر السابق: ص239.

خيرا ، وأما السعادة فهي الخير بالإضافة الى صاحبها ، وقد تكون سعادة الإنسان غير سعادة الفرس وسعادة كل شيء في تمامه ...وأما الخير الذي يقصده الكل بالشوق فهو طبيعة تقصد ولها ذات وهو الخير العام للناس من حيث هم ناس ...والسعادة هي خير ما لواحد واحد من الناس ، إذن ليست لها ذات معينة ؛ وتختلف باختلاف قاصديها..."1.

فالملاحظ من هذا النص ان السعادة هي خير ما وأكثر منم ذلك هي تمام الخيرات ، والتمام هو الشيء الذي إذا بلغنا اليه لا نحتاج معه الى شيء آخر ، من هنا "يتوجب على الإنسان الحرص على الخيرات ليحقق كماله الذي له...وإلا انحط عن مرتبة الإنسانية الى مرتبة البهيمية ، فكل نفس تتشوق الى أفعالها الخاصة بها...والنفس الإنسانية يكون شوقها الى أفعالها الخاصة بها اعني العلوم والمعارف مع هربها من أفعال الجسم الخاصة فهو فضيلتها"2.

وهذه النظرة العقلانية المسكويهية شانها شان نظرة فلاسفة الإسلام المتأثرين بأرسطو والتي تجعل أول فضائل النفس الناطقة العلوم والمعارف ، وبحسب الجانب التطبيقي للعلوم والمعارف الذي يعد باب الفضائل الإنسانية.

ويمكننا ان نميز بين أفعال الإنسان الإرادية من جهة كونها خيرات أو شرور:"فالخيرات هي الأمور التي تحصل للإنسان بإرادته وسعيه في الأمور التي لها اوجد ومن اجلها خلق ، والشرور هي الأمور التي تعوقه عن هذه الخيرات بإرادته وسعيه وكسله وانصرافه"3.

والخيرات في نظر مسكويه مقسمة الى أقسام ، وهذا التقسيم على شاكلة فلاسفة الإغريق إذ يقول: "الخير على ما قسمه ارسطو طاليس وغيره ، ومنها ماهي شريفة

---

1 المصدر السابق ص57.

2 سعيد مراد: نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط1 ، 2001 ، ص64.

3 المرجع السابق ، ص65.

، ومنها ماهي ممدوحة ، ومنها ماهي بالقوة أيضا وماهي نافعة فيها" [1] ؛ ولتوضيح هذه الأقسام يكون على الشكل التالي:

1- خيرات شريفة وشرفها من ذاتها ، وتجعل من اقتناها شريفا وهي الحكمة والعقل.

2- خيرات ممدوحة منها الفضائل والأفعال الجميلة الإرادية.

3- خيرات بالقوة مثل التهيؤ والاستعداد لنيل الخيرات المتقدمة.

4- خيرات نافعة وهي تلك التي تطلب لا لذاتها ، بل ليتوصل بها الى الخيرات.

أما أقسام السعادة على مذهب ارسطو طاليس فهي خمسة ، يقول مسكويه: "الأولى في صحة البدن ولطف الحواس ، والثانية في الثروة والأعوان وأشباههما ، والثالثة في من كان ممدوحا بين الناس وينشر ذكره بين أهل الفضل ، والرابعة ان يكون ناجحا في الأمور ، وذلك إذا استتم كل ما عزم عليه حتى يصير الى ما يأمله منه ، وأخيرا ان يكون جيد الرأي صحيح الفكر سليم الاعتقادات...ومن اجتمعت له هذه الأقسام كلها فهو السعيد الكامل ، ومن حصل له بعضها كان حظه من السعادة بحسب ذلك"[2].

والاختلاف في نوع السعادة يؤدي الى الاختلاف في وقت حدوثها ، ان أولئك الذين رأوا ان السعادة داخل النفس وجوهر الإنسان هو النفس ، وبالتالي لا تحدث السعادة إلا بعد مفارقة النفس البدن ؛ وهذا الرأي يجعلنا نؤكد ان الإنسان لا يمكنه ان يسعد السعادة التامة في الدنيا ، بل لا يسعد هذه السعادة إلا في الآخرة بعد موته.

لكن ومما تقدم عرضه ماهو موقف مسكويه من السعادة؟

يعتقد مسكويه ان الإنسان مركب من الروح والجسم فهو بذلك "ذو فضيلة روحانية يلائم بها الأرواح الطيبة ، وذو فضيلة جسمانية يوافق بها الأنعام ...فهو بالخير مقيم بهذا العالم السفلي لمدة قصيرة ليعمره ، وإذا ظفر بهذه المرتبة انتقل الى المكان العلوي...وما دام الإنسان إنسانا اي مركبا من الروح والبدن فلا تتم له

1 مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص58.

2 المصدر السابق ، ص ص59 60.

السعادة إلا بتحصيل الحالين معا ، ولا يحصلان على التمام إلا بالأشياء النافعة في الوصول الى الحكمة الأبدية" [1] ، ويقصد صاحبنا بالعالم العلوي العالم المعقول والعالم السفلي عالم الحس.

والسعيد من الناس يكون في إحدى مرتبتين: "الأولى هي مرتبة الأشياء الجسمانية متعلقا بأحوالها السفلى سعيدا بها ، وهو مع ذلك يطالع الأمور الشريفة باحثا عنها مشتاقا إليها متحركا نحوها مغتبطا بها ، والثانية رتبة الأشياء الروحانية متعلقا بأحوالها العليا سعيدا بها ، وهو مع ذلك يطالع الأمور البدنية معتبرا بها ناظرا في علامات القدرة الإلهية ودلائل الحكمة البالغة مقتديا بها ناظما لها مفيضا للخيرات عليها ، سابقا لها نحو الأفضل فالأفضل بحسب قبولها وعلى نحو استطاعتها"[2].

إذن بالحصول على إحدى المرتبتين نحصل السعادة ، وأي فرد لم يوجد فيه إحدى هذين المرتبتين فهو في مستوى الأنعام بل هو أضل.

لكن هناك تفاوت في درجات السعادة بين المرتبتين ، الم نرى ان السعادة الجسمانية لا تخلو ولا تتعرى من الآلام والحسرات لأجل الزخارف الحسية وخدائع الطبيعة ، فهي معيقة لصاحب هذه المرتبة وبالتالي فهو غير كامل ولا سعيدا تاما.

وأما صاحب السعادة في المرتبة الثانية –السعادة الروحية- فهو السعيد التام ، لان هذه المرتبة تخلو من الآلام والحسرات والزخارف الحسية ، فهي موفرة لصاحبها حظه من الحكمة وتجعله يقيم بروحانيته بين الملا الأعلى يستمد لطائف الحكمة ويستنير بالنور الإلهي.

إلا ان الرأي الذي اخذ به مسكويه قد اخذ به كل من أفلاطون وأرسطو ، لكن صاغه صياغة أخرى يبدوا فيها الأثر الديني واضحا.

فنظرة أفلاطون القائلة:"ان السعادة هي الحكمة" [3] ، ونظرة ارسطو القائلة ان للحكمة جزآن نظري وعملي ، وما يؤكد ما قلناه قول مسكويه في موضع آخر:"ان

---

1 محمد احمد جاد المولى: الخلق الكامل ، الجزء الأول ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، (د-ط) ، د-ت) ، ص255.

2 علي عبد الفتاح المغربي: المرجع السابق ، ص271.

3 ناجي التكريتي: المرجع السابق ، ص346.

تحصيل السعادة على الإطلاق يكون بالحكمة وللحكمة جزآن نظري وعملي ، فبالنظري يمكن تحصيل الآراء الصحيحة وبالعملي يمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الأفعال الجميلة ، وبهذين الأمرين بعث الله الأنبياء صلوات الله عليهم ليحملوا الناس عليها"1.

لكن وحسب دي بور ان مسكويه "لم يفلح من حيث التفاصيل في التوفيق بين مختلف النظريات اليونانية الأخلاقية التي ادخلها في مذهبه ، ولا في التوفيق بينها وبين أحكام الشريعة الاسلامية...فلم يتقيد في مذهبه بتفريعات أهل المذاهب الفقهية ، ولا بنزعة الصوفيين الى الزهد"2.

أما حينما يتحدث مسكويه عن الجزاء الذي يلقاه الإنسان عندما يصل الى أعلى مراتب الفضيلة وبلوغ السعادة فواضح في قوله: "...فقد فاز وأعد ذاته للقاء خالقه عز وجل إعدادا روحانيا ليس فيه نزاع الى تلك القوى التي كانت تعوقه عن سعادته لأنه قد تطهر منها وتنزه عنها ولم تبق فيه إرادة لها...وقد استخلصها للقاء رب العالمين ولقبول كرامته وفيض نوره...ويأتيه حينئذ الذي وعد به المتقون والأبرار في قوله تعالى: فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين..."3 ؛

وذلك لان شريعة الله لا تأمر إلا بالخير وإلا بالأشياء الموصلة الى سعادة الإنسان ، وناهية عن الرذائل المؤدية الى هلاك المرء ، وما على المرء إذا أراد الحصول على السعادة الأبدية إلا بطاعة أوامر الله واجتناب نواهيه.

راعى مسكويه في مفهومه للسعادة الإنسان كانسان بكل مقوماته "فسعادته تقوم باعتبار طبيعته التي خلقه الله عليها ، يعيش في مجتمع يعتمد فيه على نفسه بقدر اعتماده على الآخرين على خلاف سائر الحيوانات"4.

---

1 ابو علي محمد مسكويه: الفوز الأصغر ، المصدر السابق ، ص66.

2 دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام ، تع: محمد عبد الهادي ابو ريدة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط5 ، (د-ت) ، ص243.

3 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص67.

4 عبد الحي محمد قابيل: المذاهب الأخلاقية في الإسلام (الواجب-السعادة) ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1984 ، ص263.

وهذا الكلام واضح في قول مسكويه: "لم يخلق الإنسان خلق من يعيش وحده ويتم له البقاء بنفسه ، كما خلق كثير من الوحش والبهائم والطير...بل قد أزيحت علته في جميع ما تتم به حياته خلقة وإلهاما..."1

وهذا على خلاف الإنسان الذي دوما في حاجة الى الآخرين ، ومن الواجب على كل فرد ان يبذل معونته على شريطة العدل ان يعين الناس ، ومن الجور ان يحرم الإنسان المكاسب على نفسه ، ويعيش عالة على غيره بداعي تصوفه وزهده ، والبعد عن الناس وعدم مخالطتهم تعطيل لرسالة الإنسان ، إذ أن رسالته لا تتحقق إلا مع الناس وبين الناس.

وهذه النزعة الاجتماعية جعلت مسكويه يربط بين سعادة الفرد وسعادة المجموع "فسعادة الفرد ليست بمنأى عن سعادة الغير ، بل ان تمام السعادة الإنسانية لا تكون إلا مع الأصدقاء"2.

وفي معرض حديثه عن السعادة تحدث مسكويه عن لذة السعادة ولذة السعيد ، نحاول الآن ان نتعرف عن مقصوده من تلك اللذة؟

يرى مسكويه ان السعادة ألذ الأشياء وأفضلها وأجودها وأوضحها ، فهي في نظره تنقسم الى قسمين: لذة انفعالية ولذة فاعلة.

1- اللذة الانفعالية: وهي لذة مشتركة بين الإنسان والحيوان ، "مقترنة بالشهوات ومحبة الانتقام وهي لذة ناقصة وعرضية ، تزول سريعا وتنقضي وشيكا بل تنقلب لذاتها وتصير ألاما كثيرة أو مكروهة بشعة مستقبحة..."3.

2- اللذة الفاعلة: وهي تختص بالحيوان الناطق فقط ، فهي ليست منفعلة انفعالا لأنها صارت لذة تامة ، وأنها لا تصير في وقت آخر غير لذة ولا تنتقل عن حالتها ، بل هي ثابتة أبدا.

---

1 ابو علي محمد مسكويه: الفوز الأصغر ، المصدر السابق ، ص62.

2 علي عبد الفتاح المغربي: المرجع السابق ، ص274.

3 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص72.

ومن خلال هذه التفرقة التي وضعها مسكويه يتضح ان لذة السعيد ذاتية وليست عرضية وعقلية لا حسية وفعلية لا انفعالية وإلهية وليست بهيمية ؛ فهي اللذة الكاملة والجيدة وبالتالي "فان أولئك الذين يقولون بان الكمال والسعادة القصوى بالنسبة للإنسان يمكنان في البحث عن المتع واللذات الحسية هم أشخاص يقلبون عكسيا النظام الحقيقي للقيم ، فهم ينقصون من قدر النفس الشريفة التي ينتسبون بواسطتها الى مرتبة الملائكة" 1 ، وقد وضح الأستاذ محمد اركون مقصود مسكويه بالملائكة وهو: "تلك المخلوقات التي تحررت من كل الحاجيات"2.

وخلاصة القول ان الإنسان كائن أخلاقي يتسامى عن الغريزة ، ولا يمكنه ان يحقق إنسانيته إلا عن طريق الاخلاق ، قد يستطيع ان يحقق لنفسه فكرة عليا أو نمط خاص يعتبره دليله الحاذق الأرب في سلوكه.

والإنسان كائن عاقل يملك من الفكر والإرادة ما يجعله يتجاوز مستوى الغريزة والابتعاد عن تلك الشريحة الاجتماعية التي لا هم لها سوى البحث عن المتع واللذات الحسية ،"وقد ظن قوم ان كمال الإنسان وغايته هما في اللذات الحسية ، وإنها هي الخير المطلوب والسعادة القصوى...وهذا رأي الجمهور من العامة الرعاع وجهال الناس السقاط"3.

3-نظرية الأنس والصداقة:

ان الواقع اليومي والأحداث الجارية وما أملاه عليه المجتمع البويهي جعلت مسكويه يحدد الوظيفة الاجتماعية للدين ومسؤولية الملك أو الأمير، وأفكاره الأخلاقية السياسية ولو أنها غير معمقة وواضحة إلا انها تلخصت في جزأين هما: الأنس والصداقة.

---

1 محمد اركون: المرجع السابق ، ص494.

2 انظر- المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

3 المرجع السابق ، ص 494.

أ-نظرية الأنس أو المحبة:

ان كلمة محبة أو الأنس عند مسكويه تتضمن عدة معاني فهي قد تعني العشق أو الصداقة أو الوله أو المودة...فالناس يحتاج بعضهم الى بعض ، إذا كان "المتعاملون أحباء لتناصفوا ولم يقع بينهم خلاف ، وذلك ان الصديق يحب صديقه ويريد له ما يريد لنفسه ، ولا تتم الثقة والتعاضد إلا بين المتحابين وإذا تعاضدوا وجمعتهم المحبة وصلوا الى جميع المحبوبات ولم تتعذر عليهم المطالب وان كانت صعبة شديدة..."1.

-أنواع المحبة:

ان كل فرد كما رأينا يجد تمامه عند صاحبه ، فالناس في حاجة بعضهم الى بعض لأن "الناس مطبوعون على النقصانات ومضطرون الى تمامها ، ولا سبيل لأفرادهم والواحد فالواحد منهم الى تحصيل تمامه بنفسه ، فالحاجة صادقة والضرورة داعية الى حال تجمع وتالف بين أشتات الأشخاص ليصيروا بالاتفاق والائتلاف كالشخص الواحد الذي تجتمع أعضاؤه كلها على الفعل الواحد النافع له" 2 ؛ ان كلمتي الاتفاق والائتلاف في نظر الأستاذ محمد اركون "تعبران عن مفهوم العدالة المرغوبة عن سابق قصد وتصميم ، وبعد طول تأمل وتفكير وهما مصحوبتان بمعنى المحبة..."3.

وتتحقق العدالة من خلال ممارسة المحبة ، والمحبة أنواع وأسبابها تكون بعدد أنواعها: منها ما ينعقد سريعا وينحل سريعا ، وما ينعقد سريعا وينحل بطيئا ، ومنها ما ينعقد بطيئا وينحل سريعا ، وما ينعقد بطيئا وينحل بطيئا.

وانقسمت الى هذه الأنواع لأن مقاصد الناس في مطالبهم ثلاثة ويتركب منها رابع وهي "اللذة والخير والنافع والمتركب منها ، أما المحبة التي يكون سببها اللذة فهي التي تنعقد سريعا وتنحل سريعا وذلك ان اللذة سريعة التغير ، وأما المحبة التي سببها الخير فهي التي تنعقد سريعا وتنحل بطيئا ، وأما المحبة التي سببها النافع فهي

---

1 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص91.

2 المصدر السابق ، ص92.

3 محمد اركون ، المرجع السابق ، ص515.

التي تنعقد بطيئا وتنحل سريعا ، وأما التي تتركب من هذه إذا كان فيها الخير فإنها تنعقد بطيئا وتنحل بطيئا...وهذه المحبات كلها تحدث بين الناس خاصة لأنها تكون بإرادة وروية ، ويقع فيها مجازاة ومكافأة"1.

من خلال هذا النص نلاحظ مدى واقعية مسكويه بعد تجربة ومعانات ومعرفة بالبشر ، لكن هذه المقاربة في نظر اركون "لا تزال عمومية تتيح له ان ينخرط في تحليل أكثر دقة ، وفي هذا التحليل تتلقى كل محبة اسما خاصا بحسب مدى انتشارها ونوعية بواعثها وشخصية مؤلفها وهوية الجمهور الموجهة اليه"2.

فالصداقة نوعا من المحبة إلا ان المودة اخص منها الم يقل مسكويه: "انها لا تقع بين جماعة كثيرين كما تقع المحبة" 3 ؛ وإنما هي صداقة أو مودة إذا وقعت بين أشخاص قليلون.

وأما العشق فهو الإفراط في المحبة وهو اخص من المودة لأنه لا يقع إلا بين اثنين فقط "يقع لمحب اللذة بإفراط ولمحب الخير بإفراط ، وأحدهما مذموم أعني اللذة والآخر محمود أعني الخير"4.

وتطرق مسكويه لكيفية وقوع الصداقات بين مختلف الأعمار ، فالصداقة بين الأحداث تحدث لأجل اللذة فهم يتصادقون سريعا ويتقاطعون سريعا ، وهناك صداقة المشايخ وتقع بدافع المنفعة ، فإذا كانت المنافع مشتركة بينهم كانت الصداقة بينهم باقية وإذا انقطعت علاقات المنفعة انقطعت موداتهم.

غير ان افضل أنواع المحبة تلك التي تكون بين أفراد تصح لهم تسمية الأخيار لأن محبة الأخيار لبعضهم "لا تكون للذة خارجة ولا لمنفعة بل للمناسبة الجوهرية بينهما وهي قصد الخير والتماس الفضيلة ، فإذا أحب احدهم الآخر لهذه المناسبة لم

---

1 مسكويه: تهذيب الاخلاق ، المصدر السابق ، ص ص92 93.

2 محمد اركون ، المرجع السابق ، ص516.

3 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص93.

4 المصدر السابق ، نفس الصفحة.

يكن بينهم مخالفة ولا منازعة ، ونصح بعضهم بعضا وتلاقوا بالعدالة والتساوي في إرادة الخير"1.

كما وتطرق مسكويه الى نوع آخر من أنواع المحبة وهو المحبة الإلهية ، حيث بين ان سببها إفراط لذة ناتجة عن جوهر الهي في الإنسان غير مخالط لشيء من الطبائع الأخرى صارت له لذة غير مشابهة لشيء من تلك اللذات لأنها تحصل بدافع الخير والخير شيء ثابت.

والمحبة الإلهية "أعلى درجات المحبة ولا يصل إليها الإنسان إلا بعد ان يصفوا الصفاء التام ويغادر هذه الحياة الدنيوية"2.

وسبب هذه المحبة "إفراط لذة ناتجة عن جوهر الهي...حتى تصير عشقا خالصا شبيها بالوله..."3.

اجل ان الجوهر الإلهي الموجود في الإنسان إذا صفا من الشهوات والتي تحصل له بملابسته الطبيعة "اشتاق الى شبيهه ورأى بعين عقله الخير الأول المحض الذي لا تشوبه مادة...وحينئذ يفيض نور ذلك الخير الأول عليه فيلتذ به لذة لا تشبهها لذة..."4.

ولكن السؤال المطروح ماهو مبدأ المحبة؟

يجيبنا مسكويه عن هذا السؤال مباشرة في كلامه بان الأنس هو مبدأ المحبة ، وذلك ان الإنسان آنس بالطبع وليس بوحشي ولا نفور.

إذن فلينبغي الحرص على هذا الأنس الطبيعي الموجود في الإنسان وبذل الجهد في اكتسابه لأنه مبدأ المحبات كلها.

---

1 اسعد السحمراني: المرجع السابق ، 159.

2 محمد اركون: المرجع السابق ، ص516.

3 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص93.

4 المصدر السابق ، ص94.

ومن الأمور التي تنمي هذا الأنس الشريعة والتي"لو فهمت على وجهها الصحيح لكانت مذهبا خلقيا أساسه محبة الإنسان للإنسان" 1 ؛ وذلك لأنها "أوجبت على الناس ان يجتمعوا في مساجدهم كل يوم خمس مرات ، وفضلت صلاة الجماعة على صلاة الآحاد...كما أوجبت عليهم الاجتماع كل أسبوع مرة واحدة لصلاة الجماعة ، وأوجبت عليهم اجتماعين في كل سنة لصلاة العيدين ، كذلك وأوجبت عليهم الاجتماع الأكبر في العمر كله مرة واحدة في الموضع المقدس بمكة..."2.

أيضا ومن الأمور التي تنمي هذا الأنس أشار مسكويه الى دور العادات والتقاليد الجميلة في اتخاذ الدعوات واجتماع الناس في المآدب ليحصل لهم الأنس الطبيعي وشمول الخير والسعادة ، وتتجدد بينهم محبة الشريعة وليكبروا الله على ما هداهم ويغتبطوا بالدين القويم القيم على تقوى الله.

ب-نظرية الصداقة:

ان الإنسان سواء كان شريرا ام خيرا سعيدا ام تعيسا بحاجة الى ان يكون له أصدقاء ، فبواسطة أصدقائه يكتشف نفسه كانسان خير وسعيد ليتوصل الى تجاوز تعاسته وشره ، وذلك ان معرفة الذات تضاء عن طريق الاحتكاك بالآخر "والصداقة هي درجة راقية يتوصل إليها من ازدادت الروابط بينهم ، وتماثلت المفاهيم وتوحدت الأهداف والغايات وهذا النوع من العلاقات هو أفضلها وأرقاها وخاصة إذا قام على المصارحة والصدق"3.

ولكي تنجح الصداقة ينبغي ان تتوفر كل الفضائل والتبادل المتكافئ الذي ينبغي ان يوجه كل العلاقات الإنسانية ، وينبغي ان يصل في الصداقة الى حدها الأقصى ، ان شئت فقل الى درجة انصهار وذوبان الروحين في روح واحدة ، يقول مسكويه:

---

1 دي بور: المرجع السابق ، ص243.

2 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص95.

3 اسعد السحمراني: المرجع السابق، ص157.

"الصديق شخص آخر هو أنت سواء كان أخا من نسب أو غريبا أو ولدا أو والدا..."1.

ولا يمكن ان يكون الصديق كثيرا لعزته ، "اعتقد وأقول ان قدرة المودة وخطرها عندي أعظم من جميع كنوز قارون ومن ذخائر الملوك ومن جميع ما يتنافس فيه آهل الأرض...وما يتقلبون فيه من سائر الأمتعة والأثاث...وذلك ان جميع ما أحصيته لا ينفع صاحبه إذا حلت به لوعة مصيبة في صديقه..."2.

لذلك وجب على المرء وقبل ان يختار صديقه ان يتأكد أولا من وجود هذا الاستعداد الروحي والتناغم النفسي لديه ، ولا يكون هذا إلا بمعرفة صفاته وخصائصه الشخصية فمثلا: ان نبحث في طفولته أو ماضيه وعلاقته مع والديه وإخوته طائعا ام عاق أو متمردا على عشيرته وقومه.

وان نبحث في سيرته مع أصدقائه وعن أخلاقه وتصرفاته بشكل عام ، هل محبا للغناء والألعاب والمتع الأخرى ، ماهي ميوله الذاتية ، وهل ميالا للرياء والتظاهر والتفاخر والتباهي؟ ، وانظر في محبته للرئاسة لان من أحب الغلبة والترؤس لا يمكن ان ينصفك في المودة... الخ ، وهذه من بين المعايب التي تبعدك عن هذا الشخص وعدم اتخاذه صديقا.

وان وقعنا على صديق حقيقي وجب منا ان نغض الطرف عن نواقصه الصغيرة ، الم يقل مسكويه: "بل يجب أن نغض عن المعايب اليسيرة التي لا يسلم من مثلها البشر ، وتنظر الى ما تجده في نفسك من عيب فتحتمل مثله من غيرك ، واحذر عداوة من صادقته أو خالطته مخالطة الصديق ، يقول الشاعر:

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب

فان الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب"3

---

1 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص103.

2 المصدر السابق ، ص103.

3 المصدر السابق ، ص ص 104 105.

وخلاصة القول لا يوجد شخص كامل على وجه الأرض ، لكن المراد ان نسير مع الصديق على طريق الكمال والتمام. ولاتخاذ الصديق بين مسكويه جملة من القواعد الواجب التقيد بها وهي.

1- مشاركة الصديق في السراء والضراء.

2- احذر المراء معه.

3- إفادته بما حصلت من علم فلا تبخل عليه به.

4- الدفاع عنه في جميع المناسبات.

5- احذر النميمة وسماعها ، وذلك ان الأشرار يدخلون بين الأخيار في صورة النصحاء من اجل إشعال الفتنة بينهم.

4-نظرية طب النفوس:

ان حذاق الاطباء لا يقدمون على علاج مرض جسماني إلا بعد ان يعرفوه ، ويعرفوا السبب والعلة فيه ، ثم يرومون مقابلته بأضداده من أنواع العلاج ، ويبتدئون من الحمية والأدوية اللطيفة الى ان ينتهوا الى استعمال الأدوية البشعة ؛ وفي بعضها يتطلب الأمر الى القطع بالحديد والكي بالنار "ولما كانت النفس قوة غير جسمانية وكانت مع ذلك مرتبطة بالجسم ارتباطا إلهيا لا ينفصم إلا بمشيئة الخالق عز وجل وجب ان نعلم ان احدهما متعلق بصاحبه ، متغير بتغيره فيصبح بصحته ويمرض بمرضه"1.

لذلك فنحن نرى ذلك مشاهدة وعيانا بما يظهر لنا من أفعال النفس فمثلا: نشاهد بعض المرضى بجسومهم يتغير عقلهم حتى ينكروا ذهنهم وفكرهم وتخيلهم وسائر قوى نفسهم ، أما بعض المرضى بنفوسهم تتغير صورة أبدانهم ، وبالتالي وجب ان نتحرى مبدأ الأمراض إذا كان من نفوسنا.

---

1 محمد احمد جاد المولى: المرجع السابق ، ص320.

أ-حفظ الصحة:

إذا كان طب الأبدان ينقسم الى قسمين: أحدهما حفظ صحة البدن إذا كانت حاضرة ، والآخر ردها إليها إذا كانت غائبة وجب ان نقسم طب النفوس الى قسمين فنردها إذا كانت غائبة ونعمل على حفظها إذا كانت حاضرة ، ويحدد مسكويه بعض القواعد لحفظ صحة النفس وهي:

- القاعدة الأولى: إذا كانت خيرة فاضلة تحب نيل الفضائل وتشتاق الى العلوم الحقيقية والمعارف الصحيحة "وجب على صاحبها ان يعاشر من يجانسه ويطلب من يشاكله ، ولا يجالس سواهم ، ويحذر كل الحذر من معاشرة آهل الشر والمجون والمجاهرين بإصابة اللذات القبيحة وركوب الفواحش المفتخرين بها المنهمكين فيها...ولا يحضر مجالسهم مبتهجا ، وذلك ان حضور مجلس واحد من مجالسهم ، وسماع خبر واحد من اخبارهم يتعلق من وعره ووسخه بالنفس مالا يغسل عنها إلا بالزمان الطويل والعلاج الصعب"1.

- القاعدة الثانية: يجب على من يريد صحة نفسه ان يعرف قدرا من الجزء النظري والعمل لحفظ الصحة "وأطباء النفوس اشد تعظيما لها في حفظ صحة النفس ، وذلك ان النفس متى تعطلت من النظر وعدمت الفكر والغوص على المعاني تبلدت وتبلهت وانقطعت عنها مادة كل خير ، وإذا الفت الكسل واختارت العطلة قرب هلاكها لأن عطلتها هذه انسلاخ من صورتها الخاصة بها ورجوع منها الى رتبة البهائم...وإذا تعود الحدث الناشئ من مبدأ تكوينه الإرتياض بالأمور الفكرية ولازم التعاليم الأدبية...استمر طبعه...فيصل الى السعادة"2.

إذا كان حافظ هذه الصحة قد ارتاض وبرع في العلم منذ الصغر ، فلا يحمله العجب والرياء على ترك الازدياد لأن العلم لا نهاية له ، ولا يتكاسل عن مراجعة ما

---

1 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص113 114.

2 المصدر السابق ، ص ص114 115.

علمه لأن النسيان آفة العلم ، وفي هذا الموضع يستشهد مسكويه بقول الحسن البصري: "اقدعوا هذه النفوس فإنها طائعة ، وحادثوها فإنها سريعة الدثور..."1.

وهناك أمر آخر لابد ان يعلمه حافظ هذه الصحة على نفسه "إنما يحفظ عليها نعما شريفة جليلة موهوبة لها ، وكنوز عظيمة مدخرة فيها...ومن كانت هذه المواهب الجليلة موجودة له في ذاته لا يحتاج الى تطلبها من خارج ولا الى بذل الأموال فيها لغيره...أما من طلبها من خارج تضاعفت عليه هذه المكاره أضعافا كثيرة بقدر ما يلابسه وبحسب ما يقايسه من الأضداد والحساد..."2.

- القاعدة الثالثة: ينبغي على حافظ صحة نفسه ألا يحرك قوتيه الشهوانية والغضبية "...ان الإنسان ربما تذكر لذاته من إصابة الشهوات وطيبها ومراتب كرامته من السلطان وغيرها فاشتاق إليها ، وإذا اشتاق إليها تحرك نحوها وجعلها غرضا له فيضطر الى استعمال الروية..."3.

- القاعدة الرابعة: وهي التشبه بالملوك الموصوفين بالحزم ، لأن هؤلاء الملوك "يستعدون للأعداء بالعدة والعتاد والتحصن قبل هجوم العدو...يجب ان نبني أمورنا في الاستعداد لأعدائنا من الشره والغضب ...يجب ان نضبط النفس عن الشهوات الرديئة ولا ننتظر دفع هذه الرذائل وقت هيجانها لأن الأمر عند ذلك صعب جدا ولعله غير ممكن البتة"4.

- القاعدة الخامسة: يجب على حافظ الصحة على نفسه ان يطلب عيوب نفسه باستقصاء شديد ، ويشير مسكويه الى ما قاله جالينوس (130م-200م) في كتابه المعروف "تعرف المرء عيوب نفسه" ، ويرى أنه لا سبيل للإنسان من معرفة عيوب نفسه إلا ان يسند أمره الى رجل عاقل كثير اللزوم له ويسأله ويؤكد عليه ان يخبره بكل ما يعرف عنه من المعايب ؛ من أحب ان يبرأ من العيوب أن يختار

---

1 المصدر السابق ، ص115.

2 انظر- المصدر السابق ، نفس الصفحة.

3 المصدر السابق ، ص118.

4 المصدر السابق ، ص120.

لنفسه صديقا كاملا فاضلا إذا اخبره بعيوبه يبسط له وجهه ويشكره ، ثم يشرع في علاج العيوب التي علقت بنفسه.

ولكن الطبيعة البشرية ميالة الى حب النفس ، "فالإنسان يحاول دائما التقليل من أهمية أخطائه ونواقصه ، انه يقلل منها الى درجة عدم الاعتراف بها أو إيجاد العذر لها"1 ؛ إذن فكيف يمكن للنفس ان تعترف بكل جرأة ودقة بأخطائها؟.

يجيبنا مسكويه مباشرة في قوله: "لعل العدو في هذا الموضع انفع من الصديق ، فهو لا يحتشم منا في إظهار عيوبنا ولا يتردد أبدا عن كشف نواقصنا وأخطائنا وإدانتها ، في حين ان الصديق يجاملنا ولا يصارحنا بعيوبنا..."2

وهذا رأي جالينوس الذي يعلمنا ان خيار الناس ينتفعون بأعدائهم ، ولكننا وجدنا الأستاذ محمد اركون يؤكد ان مسكويه فضل موقف الكندي من هذه المسالة والذي يرى ان معرفة الذات تمر من خلال معرفة الآخرين.

بمعنى آخر ينبغي لطالب الفضيلة لنفسه ان يجعل جميع معارفه من الناس مرآة له ، "تريه صور كل واحد منهم عندما تعرض له آلام الشهوات التي تثمر السيئات ، حتى لا يغيب عنه شيء من السيئات ، كما يجب عليه ان يكون متفقدا سيئات الناس ، فمتى رأى سيئة بادية من أحد ذم نفسه عليها كأنه هو فعلها..." 3 ؛ وهكذا ينبغي ان يكون حالنا إذا افدنا غيرنا الفضائل ، وهذا عند مسكويه ابلغ وأفضل.

ب-علاج أمراض النفوس:

ان الأمراض الأكثر خطورة فيما يخص النفس هي الغضب – الخوف- الحزن ؛ أما الغضب والخوف يمثلان حدين متطرفين لموقع متوسط هو فضيلة العدالة ، أما الحزن فينتج دائما عن تقدير خاطئ لأمور هذا العالم الذي نعيش فيه.

---

1 محمد اركون: المرجع السابق ، ص526.

2 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص121.

3 المصدر السابق ، ص121.

1-مرض الغضب:

ان مفهوم الغضب في نظر مسكويه هو "حركة للنفس يحدث بها غليان دم القلب شهوة للانتقام ، فإذا كانت هذه الحركة عنيفة أججت نار الغضب وأضرمتها فاحتد غليان دم القلب وامتلأت الشرايين دخانا مظلما مضطربا يسوء منه حال العقل ويضعف فعله"1.

ويعرفه في موضع آخر بقوله: "هذا العارض وشبهه من أقبح ما يعرض للإنسان وهو غير معذور ان لم يصلحه بالخلق الحسن المحمود ، وذلك ان الغضب إنما يثور به دم القلب لمحبة الانتقام ، وهذا الانتقام إذا لم يكن كما ينبغي وعلى مقدار ما ينبغي فهو مذموم"2.

ومن خلال هذين المفهومين تتضح تلك العلاقة التي أقامها مسكويه بين الجوانب الثلاث ، الجانب الوجداني من جهة ، والجانبين العقلي والسلوكي من جهة أخرى.

وتختلف درجات الغضب باختلاف وتفاوت أحوال الأشخاص ، "فإذا كان المزاح حارا يابسا كان قريب الحال من حال الكبريت ، الذي إذا أُدنيت منه الشرارة الضعيفة التهب ، وان كان بالضد فحاله بالضد ، وهذا في مبدأ أمره وعنفوان حركة الغضب به..."3

أما أسباب الغضب فهي: العجب والافتخار والمراء واللجاج والمزاح والتيه والاستهزاء والغدر والضيم وطلب الأمور التي فيها لذة ، ويتنافس فيها الناس ويتحاسدون عليها.

ومن لواحق الغضب وعواقبه "الندامة وتوقع المجازاة بالعقاب عاجلا وآجلا وتغير المزاج وتعجل الألم ، وذلك ان الغضب جنون ساعة ربما تؤدي الى التلف

---

1 المصدر السابق ، ص123.

2 ابو علي محمد مسكويه: الهوامل والشوامل ، المصدر السابق ، ص184.

3 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص123.

باختناق حرارة القلب فيه ، وربما كان سببا لأمراض صعبة مؤدية الى التلف ، ومن لواحقه مقت الأصدقاء وشماتة الأعداء واستهزاء الحساد والأراذل من الناس"1.

ويتمثل علاج الغضب بعلاج أسبابه ، أما العجب هو ظن كاذب بالنفس في استحقاق مرتبة هي غير مستحقة لها ، وحقيقة على من عرف نفسه ان يعرف كثرة العيوب والنقائص التي تميزها ، ولا يكمل أي شخص إلا بفضائل غيره وكل من كانت فضيلته عند غيره فواجب عليه ألا يعجب بنفسه.

وأما الافتخار فهو المباهاة بالأشياء الخارجة عنا ، ومن باهى بما هو خارج عنه فقد باهى بما لا يملكه ، وكيف يملك ماهو معرض للآفات والزوال في كل ساعة ولحظة ، يقول تعالى: "واضرب لهم رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب...فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها"2.

وأما المزاح فان المعتدل منه محمود ولكن الوقوف على المقدار المعتدل منه صعب ، فينبغي ان يحذره من لا يعرف حده ، يقول المثل: "رب جد جره اللعب ، وبعض الحرب أوله مُزاح" ؛ وأما التيه فهو قريب من العجب ، والفرق بينهما ان العجب ظن كاذب بالنفس ، والتياه يتيه على غيره ولا يكذب نفسه ، وذلك ان ما يتيه به لا مقدار له عند العقلاء.

وأما الغدر فصوره كثيرة قد يستعمل في المال أو الجاه أو المودة ، وهو على كثرة صوره مذموم عند كل احد ، ينفر السامع من ذكره ولا يعترف به إنسان.

أما الضيم فهو تكليف احتمال الظلم والغضب وربما يعرض صاحبه الى الانتقام ، فينبغي علينا ألا نتسرع الى الانتقام عندما يلحقنا ضيم بل نضبط نفوسنا ، هذا النظر والحذر هو استشارة العقل وهو ما يسمى بالحلم.

---

1 المصدر السابق ، ص124.

2 القران الكريم: سورة الكهف ، اية رقم (32-42).

2-مرض الخوف:

الخوف هو سكون للنفس عندما يجب ان تتحرك فيه وبطلان شهوة الانتقام ، وهذا هو سبب الجبن ويتبعه مهانة النفس وسوء العيش وقلة الثبات والصبر في المواطن التي يجب فيها الصبر ، ومن عواقب هذا المرض: "الكسل ومحبة الراحة الذين هما سببا كل رذيلة ، أيضا الاستخذاء لكل احد و الرضى بكل مذلة وضيم ، والدخول تحت كل فضيحة في النفس والأهل والمال ، وسماع كل قبيحة فاحشة من الشتم والقذف واحتمال كل ظلم من كل معامل وقلة الأنفة مما يأنف منه الناس"1.

وعلاج أسباب الخوف وعواقبه إنما يكون بأضدادها فمثلا: إيقاظ النفس التي ترضى هذا المرض بالهز والتحريك والأمور الممكنة ، فهي مترددة بين ان تقع وبين ألا تقع فلا ينبغي للعاقل ان يجزم بوقوعها ويستشعر الخوف منها.

وأما الأمور الضرورية كالهرم وتوابعه فعلاج الخوف منه يقول مسكويه: "ان يعلم الإنسان انه إذا أحب طول الحياة فقد أحب الهرم واستشعره استشعار ما لابد منه ، ومع الهرم تحدث مشكلات صحية كنقصان الحالة الغريزية وسقوط الأسنان وسوء الهضم وغير ذلك من أمراض الشيخوخة التي يليها الموت ، وليست الأمراض والآلام شيئا غير هذه الأشياء التي ينبغي للإنسان ان يتوقعها ويتجاوز عواقبها ، وأثارها السلبية ويدعوا الله عز وجا ان يعينه عليها" 2 ؛ وهناك مرضا آخر من أمراض الخوف بينه مسكويه ووضع له وصفة لعلاجه وهو الخوف من الموت.

-الخوف من الموت : ان مسالة الخوف من الموت من الموضوعات المهمة التي عالجها مسكويه في فلسفته الأخلاقية ، حيث رأى ان هناك عددا كبيرا من الناس يخاف الموت لتعلقهم بالدنيا وشهواتها ولذائذها الحسية ، ويرجع هذا الى "ضعف الإيمان وجهل الحقيقة ، وكل الذين يسلكون السلوك المناقض للفضيلة من جبن وشح

---

1 مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص132.

2 المصدر السابق ، ص ص131 132.

وغير ذلك هم جهلة ، أما المؤمن فتراه مقداما شجاعا لا يخاف الموت لأنه يعتقد ان الموت انتقال من دار الفناء الى دار الخلود والبقاء"1.

ويظهر هنا اثر الرازي على مسكويه في مسالة الخوف من الموت "عندما يقول مسكويه ان سبب الخوف من الموت هو الجهل ببقاء النفس عندما تتخلص من الجسم تتشرف بهذا الخلاص وتعود الى عالمها القدسي وتبقى في عالم أرقى مما كانت فيه"2.

من خلال هذا الكلام يبدوا التأثر الواضح بالرازي ، الذي يرى في هذا الباب ان الخوف من الموت لا يمكن دفعه عن النفس إلا بقناعتنا انها تصير من بعد الموت الى ماهو أصلح لها مما كانت عليه.

وصف مسكويه الخوف من الموت اشد وابلغ من جميع المخاوف ، وأسباب هذا المرض وعلاجه نحددها في النقاط التالية:

- يقع الخوف من الموت للشخص الذي لا يدري حقيقة الموت ، وينبغي ان نبين لمن خاف الموت لهذا السبب "ان الموت ليس بشيء أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهي الأعضاء التي يسمى مجموعها بدنا ، كما يترك الصانع استعمال آلاته"3.

- يقع الخوف من الموت للشخص الذي لا يعلم أين تصير نفسه بعد الموت ، وينبغي ان نبين لمن خاف الموت لهذا السبب ان النفس جوهر غير جسماني ، وأنها غير قابلة للفساد والعدم عندما تفارق البدن وهذا ما رأيناه آنفا.

- يقع الخوف من الموت للشخص الذي يعتقد انه إذا انحل جسمه فقد انحلت ذاته ، وهذا الشخص في نظر مسكويه "لا يخاف الموت حقيقة وإنما يجهل ما ينبغي ان يعلمه فالجهل هو المخوف..." 4. والإنسان لا يناله بعد الموت شيء من الأذى البتة لان الأذى حسي والحس ليس إلا للحي.

---

1 اسعد السحمراني: المرجع السابق ، ص159.

2 ناجي التكريتي: المرجع السابق ، ص349.

3 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص132.

4 المصدر السابق ، ص133.

- يقع الخوف من الموت للشخص الذي يعتقد ان عقوبة تحل به بعد الموت ، هذا الشخص "لا يخاف الموت بل يخاف العقاب ، والعقاب إنما يكون على شيء باق بعد البدن ، ومن اعترف بهذا فهو معترف بذنوب له وأفعال سيئة يستحق عليها العقاب ...إذن فهو خائف من ذنوبه لا من الموت" 1 ، ومن خاف العقوبة على الذنب فيحذر ذلك الذنب ويجتنبه ، بالحكمة يتخلص من هذه الآلام والظنون الكاذبة التي هي نتاج الجهالات كلها.

- يقع الخوف من الموت للشخص الذي وقع في حيرة لا يدري على اي شيء يقدم بعد الموت ، بين مسكويه ان خوف هذا الشخص يقع نتيجة جهله ، وعلاجه "ان يتعلم ليعلم ويثق ، ومن وثق فقد عرف سبيل السعادة وكيف يسلكها لأنه سيسلك طريق السعادة لا محالة ، ومن سلك طريقا مستقيما الى غرض صحيح أفضى اليه بلا شك.

- وأخيرا يقع الخوف من الموت للشخص الذي يأسف على ما خلفه من ممتلكات وأموال ، ويتحسر على ما يفوته من ملاذ وشهوات الدنيا ، ويدخل علاج هذا الشخص في باب علاج الحزن.

3-مرض الحزن:

يعرف مسكويه الحزن انه الم نفساني يعرض لفقد محبوب أو فوت مطلوب ، وأسباب الحزن "الحرص على القنيات الجسمانية والشره الى الشهوات البدنية ، والحسرة على ما يفقده أو يفوته منها ، وإنما يحزن ويجزع على فقد محبوباته وفوت مطلوباته من يظن ان ما يحصل له من محبوبات الدنيا يجوز ان يبقى ويثبت عنده ، أو ان جميع ما يطلبه من مفقوداتها لابد ان يحصل له ويصير في ملكه"2.

الحزن آفة من الآفات النفسانية التي عالجها مسكويه وتأثر فيها بالرازي ، وأكد ان المحبوبات والمطلوبات أشياء فانية غير ثابتة فعلى الإنسان اللبيب ألا يحزن لذهابها.

---

1 المصدر السابق ، ص134.

2 المصدر السابق ، ص136.

أليس هذا الرأي شبيه برأي الرازي القائل: "انه لما كانت المادة التي منها تتولد الغموم إنما هي فقد المحبوبات لتداول الناس لها وكرور الكون والفساد عليها ، فينبغي للعاقل ان يقطع مواد الغموم عنه بالاستقلال عن الأشياء التي يجلب فقدها غما ولا يغتر وينخدع بما معها"1.

أما العلاج الذي قدمه مسكويه لعلاج هذا المرض يتلخص في قوله: "ينبغي للإنسان ان يعلم ان جميع ما في الكون والفساد غير ثابت ولا باق...وينبغي ان يقتصر بهمته على طلب المحبوبات الباقية والإعراض عما ليس في طبعه البقاء والثبات الباقي وهو ما يكون في عالم العقل..."2.

ويضيف مسكويه لعلاج هذه الآفة "انه إذا حصل الإنسان على شيء من المحبوبات لابد ان يأخذ منها مقدار الحاجة الى دفع الآلام من جوع وعري...وترك الادخار والاستكثار والتماس المباهاة والافتخار...ويستشعر بالعادة الجميلة ويرضى بكل ما يجده ولا يحزن لشيء يفقده بذلك يكون مسرورا سعيدا"3.

ان هذا المرض ليس بضروري ولا طبيعي في نظر مسكويه لان من أصابه هذا المرض من الناس لاشك ولا ريب سيفوته ويعود الى حالته الطبيعية التي كان فيها قبل ان يحزن ، ومن فقد ولدا أو صديقا فشريعتنا الاسلامية سمحت له ثلاثة أيام للحزن لا أكثر ، وهذا يدل دلالة واضحة على ان الحزن ليس طبيعيا جبليا في الإنسان ، وهذا ما يقول به الكندي وأخذ به مسكويه متأثرا به ومستشهدا بقوله.

وخلاصة القول ان مسكويه غلب عليه التناول الأخلاقي في دراسته صحة النفس ، كما أشار وأكد على أهمية الجانبين في السلوك بصفة عامة وفي الصحة النفسية بصفة خاصة وقاية وعلاجا.

---

1 ناجي التكريتي: المرجع السابق ، ص ص348 349.

2 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص136.

3 المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: نظرية التربية عند مسكويه وامتداداتها في الفكر الاسلامي

- نظرية التربية عند مسكويه

- نظرية التربية عند الغزالي

أولا- نظرية التربية عند مسكويه:

-أ-نظرية النفس عند الطفل وتغيير سلوكه:

1-نظرية النفس عند الطفل:

بما ان الإنسان يعرف أساسا عن طريق نفسه ، فان الطفولة كموضوع التربية وكمرحلة من الحياة الدنيا تمتاز بلا شك بخاصيات تنفرد بها في مستوى النفس ، ولهذا وضع مسكويه منهجا لرياضة الصبيان وتأديبهم حتى ينشأوا صالحين ومتخلقين بالأخلاق الطيبة المرضية ، ويرتكز هذا المنهج على فهمه للنفس البشرية وكيف تظهر متدرجة لدى الطفل.

أ-القوة الشهوانية:

تكون نفس الصبي في أولها ساذجة من غير نقش ذلك "أن الطفل شأنه في ذلك شأن الجاهل يمتاز بسيطرة القوى السفلى في النفس على القوى العليا أي القوة العاقلة" 1، ثم تظهر فيها قوة الإحساس باللذة والألم وما يتولد منها من قوى أخرى أولها القوة الشهوانية البهيمية التي تطلب أسباب اللذات المناسبة للطفل يقول مسكويه: "ان أول قوة تظهر في الإنسان هي القوة التي يشتاق بها الى الغذاء الذي هو سبب كونه حيا ، فيتحرك بالطبع الى اللبن ويلتمسه من الثدي الذي هو معدنه من غير تعليم ولا توقيف ، ويحدث له مع ذلك قوة على التماسه بالصوت الذي هو مادته ودليله الذي يدل به على اللذة والأذى...ثم تحدث فيه قوة على التحرك نحوها بالآلات التي تخلق له...ثم يحدث له التشوق الى الأفعال التي تحصل له...ويرتسم في قوته الخيالية مثالات فيتشوق إليها"2.

---

1 احمد شبشوب: علوم التربية ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، (د-ط) ، 1991 ، ص135.

2 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، تحقيق: د- نواف الجراح ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2006 ، ص45.

ب-القوة الغضبية:

وهاته القوة الغضبية السبعية التي بها يدفع الصبي عن نفسه ما يؤذيه يقول مسكويه: "وتظهر فيه قوة الغضب التي يشتاق فيها الى دفع ما يؤذيه ومقاومة ما يمنعه من منافعه فان أطاق بنفسه ان ينتقم من مؤذياته انتقم منها ، وإلا التمس معونة غيره وانتصر بوالديه بالتصويت والبكاء"1.

ج-القوة الناطقة:

إذا حدث للصبي الشوق الى تمييز الأفعال الإنسانية من معارف وعلوم يسمى عاقلا: "ثم يحدث له الشوق الى تمييز الأفعال الإنسانية حتى يصير الى كماله في هذا التمييز فيسمى حينئذ عاقلا...الى ان ينتهي الى الغاية الاخيرة...وهو الخير المطلق الذي يتشوقه الإنسان من حيث هو إنسان"2.

وأول مظهر من مظاهر القوة العاقلة في نفس الصبي حسب مسكويه هو الحياء بان يخاف الصبي من ظهور شيء قبيح ، الم يقل مسكويه: "أول ما ينبغي ان يتفرس في الصبي يستدل به على عقله الحياء فانه يدل على انه قد أحس بالقبيح ، ومع إحساسه به يحذره ويتجنبه ويخاف ان يظهر منه أو فيه ، فإذا نظرت للصبي وجدته مستحييا...اعلم ان نفسه قد أحست بالجميل والقبيح ، وان حياءه هو انحصار نفسه خوفا من قبيح يظهر منه"3.

وهذه النفس قابلة ومستعدة للتأديب صالحة للعناية لا يجب ان تهمل ولا تترك لأن في دخائلها ما يصدها عن جميع ألوان الانحراف ، وتنمي فيها النزاعات الخيرة والعادات الطيبة وصمودا أمام الأحداث ، وتحدث فيها توازنا يشمل جميع أفاق النفس حتى يتحقق للإنسان كيان فريد في سلوكه واتجاهاته وميوله وعواطفه ولا تستعبده الشرور ، وإنما تتحقق للإنسان قيادة رشيدة على نفسه.

---

1 المصدر السابق ، نفس الصفحة.

2 المصدر السابق، نفس الصفحة.

3 المصدر السابق ، نفس الصفحة.

2-نظرية تغيير سلوك الطفل:

ان سلوك الطفل في نظر مسكويه قابل للتغيير لأن نفس الصبي تحوي بالقوة نفسا عاقلة وبالتالي فالصبي ينتمي الى دائرة الإنسان ، وهنا يظهر دور التربية لتغيير سلوك الطفل ويتمثل في "الاعتماد على هذه الاستعدادات الكامنة بالقوة في الطفل لإعانته على إخراجها الى الفعل"1.

يقول مسكويه: "ونفس الصبي مستعدة للتأديب...صالحة للعناية لا يجب ان تهمل ولا تترك ومخالطة الأضداد الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة ، وان كانت بهذه الحال من الاستعداد لقبول الفضيلة ، فان نفس الصبي ساذجة لم تنتقش بعد بصورة ، ولا لها رأي وعزيمة تميلها من شيء الى شيء ، فإذا نقشت بصورة وقبلتها نشأ عليها واعتادها"2.

ومن هذا الموقف نفهم ان مسكويه نفي دور الوراثة في التربية وأكد على أهمية الاكتساب في بلورة شخصية الفرد وهذا ما قالت به المدرسة السلوكية ، فها هو واطسون (johnbroaduswatson 1878م-1958م) يقول: "أعطني اثنتي عشر طفلا سليمي الأجسام فإنني سأعدك بأني سآخذ منهم واحدا وسأروضه حتى يصبح الاختصاصي الذي تريد ، طبيبا أو قاضيا أو فنانا أو تاجرا وحتى متسولا أو سارقا ، وذلك مهما كانت الملكات والقدرات والخاصيات التي يتمتع بها أجداده"3.

إذن فالمسار التربوي سيعتمد على ما في النفس واستعدادها للتأدب ، وهذا ما يجعل الطفل يرتفع الى مرتبة الإنسانية ويبتعد عن سفاسف المراتب التي تستعبدها الشرور والميول ، وبذلك تسيطر قوة العقل على قوى النفس الأخرى وتكتسب الاخلاق بالتعلم والتهذيب والنصح المستمر حتى تصير ملكة.

إلا ان الناس يتفاوتون في قبول هذه الاخلاق مع أنهم مطبوعون على قبول الخلق بالتأديب والمواعظ بدرجات مختلفة وبتعبير مسكويه سريعا أو بطيئا ، الم يقل "وأما

---

1 احمد شبشوب ، المرجع السابق ، ص136.

2 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص46.

3 احمد شبشوب: المرجع السابق ، ص84.

مراتب الناس في قبول هذه الآداب التي سميناها خلقا والمسارعة الى تعلمها والحرص عليها فإنها كثيرة ، وهي تشاهد وتعاين فيهم وخاصة في الأطفال...ومن الأحوال المتفاوتة ما تعرف به من مراتب الإنسان في قبول الاخلاق الفاضلة...ليسوا على رتبة واحدة...وإذا أهملت الطباع ولم ترض بالتأديب والتقويم نشا كل إنسان على سوم طباعه ، وبقي طول عمره كله على هذه الحال التي كان عليها في الطفولة..." 1 ؛ فالطفل يولد على الفطرة والطبع البسيط ، فإذا قوبلت نفسه الساذجة بخلق من الاخلاق نقشت في النفس حتى تأخذ بجميع أطرافها وتصير كيفية راسخة فيها.

وكما قلنا ان أول ما ينبغي ان يتفرس في الصبي الحياء ، وهذا الأخير دليل على ظهور الحس الخلقي في الصبي الذي يستدل به الصبي على جميل وقبيح الأفعال ، وهذا ما يبدوا واضحا في نظريات حديثة في النمو الخلقي وبالتحديد في نظرية ليوفنجر حيث "يبدأ الطفل في استدخال القواعد والعمل على التوحد مع مصادر السلطة الخارجية المحيطة به الى حد ما ، ويبدأ في إظهار شعور الخجل حين يأتي بالأمر المشين مما يشير الى نمو الذات العليا والحس الخلقي ، بذلك يعرف الطفل السلوك السوي النبيل ممن حوله في المجتمع..." 2 ؛ وبذلك يدرك الطفل ما هو خير وكثير من القيم الأخلاقية إذا ما بلغ سن التمييز الإدراكي ، وهذا الحس الخلقي يعرف حديثا بالوجدان أو الضمير اليقظ ، أو الذات العليا...الخ.

يميز هذا الحس بين نوعين من السلوك سلوك الخير وسلوك الشر ، يقول مسكويه: "حتى إذا تعودوا ذلك واستمروا عليه مدة من الزمن كثيرة أمكن فيهم حينئذ ان يعلموا براهين ما أخذوه تقليدا"3.

ولأهمية تنشئة وتربية الأحداث على الآداب والفضائل حتى تسود الفضيلة يقول مسكويه: "ان نبدأ بالشوق الذي يحصل فينا للغذاء فنقومه ، ثم بالشوق الذي يحصل

---

1 ابو علي مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص34.

2 محمد حمزة سليماني و ملا معمور بار عبد المنان: مجلة جامعة ام القرى للبحوث العلمية المحكمة ، الخلق منظور تربوي نفسي لدى كل من ابن مسكويه والغزالي ، مكة المكرمة ، السعودية ، السنة التاسعة ، العدد الحادي عشر ، 1416ه – 1995م ، ص116.

3 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص33.

فينا الى الغضب ومحبة الكرامة فنقومه ، ثم بآخرها الشوق الذي يحصل فينا الى المعارف والعلوم فنقومه ، وهذا الترتيب الذي قلنا انه طبيعي...يظهر فينا منذ أول نشوئنا أعني أولا أجنة ثم أطفالا ثم ناسا كاملين وتحدث هذه القوى مرتبة"1.

مما سبق يتضح ان مسكويه أكد على ضرورة أثر الإرادة والسلوك ووحدتهما في اكتساب السلوك الخلقي ، هذا ما صرح به العلم حديثا وخاصة علم النفس الحديث الذي "أكد على أهمية العلاقة الوظيفية بين الإرادة الفكرية والسلوك العلمي ، بمعنى وجود فكرة امتزاج السلوك عموما والسلوك المعتاد والخلقي والرغبة بالقوة الدافعة"2.

-دور القدوة أو النموذج في تربية الطفل:

اهتم مسكويه بدور القدوة أو النموذج في التنشئة ، ويتخذ من نفسه مثالا للاقتداء بالسلوك الخلقي الفاضل يقول في ذلك: "وليعلم الناظر في هذا الكتاب أني خاصة تدرجت الى فطام نفسي بعد الكبر واستحكام العادة وجاهدتها جهادا عظيما ، ورضيت لك ايها الفاحص عن الفضائل والطالب للأدب الحقيقي بما رضيت لنفسي ، بل تجاوزت لك في النصيحة الى ان أشرت عليك في ابتداء أمري..." 3 ؛ فالقدوة أو النموذج تعتبر المثال الواقعي للسلوك الخلقي الأصيل والقدوة الحسنة تكون سواءً للأفراد أو للجماعات ، المهم ان تكون للأفراد على صفة مثاليين ممتازين وتكون للجماعات على صفة جماعات ممتازة.

فتربية الأبناء بالقدوة من أقوى الوسائل في تعويد الأحداث على فعل الخير ، وقد جعلها الإسلام وسيلة من وسائله ، الم يدعو الإسلام الى الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم يقول تعالى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللِه اِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُواْ اللّهَ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَذَكَرَ اللّهَ كَثِيْرا"4.

---

1 المصدر السابق ، نفس الصفحة.

2 سليمان محمد حمزة و ملا معمور بار عبد المنان: المرجع السابق ، ص 118.

3 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص42.

4 القران الكريم: سورة الأحزاب ، اية رقم21.

وما يؤكد أهمية القدوة في تحديد سلوك الإنسان والعادات التي يكتسبها الناشئ ان يتعلم من الأفعال أكثر من الأقوال ، بل أن التلقين لا يكاد يثمر الثمرة المطلوبة في وجود الفعل المخالف ، وأول فعل من الأفعال يقوم به الطفل هو تقليده لأفعال والديه.

هذا الأمر لا يشمل بالطبع الإنسان وحده ، بل نجده حتى عند صغار الحيوانات فتجده يتبع اثر أمه ؛ وحتى تكتسب مثلا مهارة معينة كسياقة المركبة تحتاج الى ان ترى السائق المدرب يسوق المركبة فتقلده وتقتدي به خطوة خطوة ، وما تقليدك لخطوات العمل بحذافيرها إلا لقناعة داخلية ان مدربك سائق ماهر وصاحب تجربة طويلة في ميدان السياقة ، حتى انك لا تناقشه فيما يقول ويفعل لأنك تراه أخير منك ، والطاعة لأهل الخبرة مسألة عقلية وعلمية وحياتية.

ولا تُعدم القدوة أو النموذج في أي وقت من الأوقات وفي أي مكان من الأماكن لأن الأنبياء والأئمة عليهم السلام والصالحون من عباد الله الذين خَلّد التاريخ ذكراهم قدوات خالدة وليست قدوات لمقاطع زمنية محددة ، ولو كانوا قد انتهوا كقدوات لما كان الله تبارك وتعالى يطلب منا التأسي بهم رغم البعد الزمني الذي يتجاوز آلاف السنين.

ومن علماء العصر الحديث الذين استخدموا المحاكاة والتقليد وسيلة لإكساب السلوك الأخلاقي بريان (Bryan – 1969م) حيث رأى "ان مشاهدة نموذج يتحلى بالإيثار يؤدي الى اكتساب السلوك الأخلاقي بشرط ان يظهر ذلك في تصرفات النموذج وان مجرد الإرشاد اللفظي لا يؤدي الى أثر ، خصوصا إذا صحبه عكس ما يقوله النموذج..."[1].

فالنموذج أو القدوة من أعظم وسائل التربية ، لكن أطفالنا وشبابنا الآن يعيش صراعا داخليا نفسيا رهيبا لأنه فقد القدوة الطيبة الصالحة في جانب التربية لا سيما وقد قُدِّم الفارغون والتافهون ليكونوا القدوة والمثال ، فمن اليسير جدًّا ان نقدم منهجا نظريا في التربية لكن من العسير ان يتحول هذا المنهج الى واقع يتحرك في حياة الناس ، فنحن نتغنى بالصدق ولكن ندر الصادقون ونتغنى بالأمانة ولكن قل أهل

1 سليمان حمزة وملا معمور بار عبد المنان ، المرجع السابق ، ص118.

الأمانة ، ونسعد بالوفاء بالعهد والوعد ولكن ندر الموفون بوعودهم وعهودهم وهكذا... ؛ كيف يتعلق الطالب بأستاذه وهو يرى أستاذه يأمر بأمر ويخالفه؟ ، وكيف يتعلم الولد الصدق وهو يرى أباه يكذب؟ ، وكيف تتعلم البنت الفضيلة وهي ترى أمها مستهترة؟.

-دور العادة والتكرار في تربية الطفل:

ركز مسكويه على دور العادة والتكرار في تربية الأحداث يقول في ذلك: "حتى إذا تعودوا ذلك واستمروا عليه مدة من الزمن كثيرة أمكن فيهم حينئذ ان يعلموا براهين ما أخذوه تقليدا" 1 ، وفي هذا يذهب الأستاذ اسعد السحمراني (ولد عام 1953م) الى القول: "ان للتربية مكانة هامة في إعداد الإنسان الذي تتأصل فيه الفضائل بحيث تصبح عادة فيه ، بذلك تكون المقدمة الى الفضيلة هي تغيير ذات الإنسان وفق أسس الخلق السليم ، وإذا أصبحت الاخلاق الفاضلة طبعا للإنسان وعادته أهلته للتآلف مع أبناء جنسه ، وسهلت له حسن الصحبة مع الآخرين" 2 ؛ حيث يصبح السلوك الأخلاقي جزءا من شخصية الطفل ويؤثر على بقية العادات ، فالتربية تسعى دائما "لإحداث تغييرات ايجابية في سلوك الفرد في البيت والمدرسة ومؤسسات المجتمع المختلفة كتنمية القيم الأخلاقية الجيدة في شخصية الفرد وإكسابه العادات الايجابية في التعامل مع الآخرين"3.

ويشير الأستاذ الهاشمي الى ان العادة "ميل نفسي متعلم مكتسب بالتكرار والخبرة للقيام بذات الأعمال السلوكية ، بحيث يقوم بها الإنسان بطريقة اليه عفوية الى حد بعيد ويطمئن الفرد سعادة في تمام الأداء"4.

---

1 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص33.

2 اسعد السحمراني: الاخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة ، دار النفائس ، بيروت ، ط1 ، 1988 ، ص152.

3 احمد سمارة نواف و عبد السلام موسى العديلي: مفاهيم ومصطلحات في العلوم التربوية ، دار المسيرة ، عمان – الأردن ، ط 1 ، 2008 ، ص56.

4 حمزة سليماني و ملا معمور بار عبد المنان ، المرجع السابق ، ص113.

-ب-دور البيئة الأسرية في تربية الأحداث:

بعد ان تعرفنا على قوى النفس لدى الصبي وكيف تدرجت من غير نقش الى ان أصبحت تتشوق الى الأفعال الإنسانية ، وتعرفنا على كيفية تغيير السلوك في تربية الأحداث ننتقل الى دور الأسرة وذلك في السنوات الأولى للطفل الذي حدده مسكويه لتربية الأحداث ، واعتبره من أهم الأمور واوكدها . إذن فكيف يقوم الأبوان بهذه المهمة؟ ، وكيف يصون الأبوان طفلهما؟.

إن فترة الطفولة من أخطر الفترات التي تتحدد فيها ملامح رجل وامرأة الغد ، وتربية الأبناء فن يستعصى على كثير من الآباء والأمهات ، لذلك كثيرًا ما نجد الآباء يتساءلون عن إحدى السبل للتعامل مع الأحداث.

1-طرق تربية الطفل:

وما دام ان نفس الصبي تسيطر عليها القوى الشهوانية والغضبية في بدايتها فلا يمكننا ان نستعمل معها الوسائل العقلية والبرهانية لأنها سلبية في تربيته فالأنسب ان نستعمل الطرق التالية:

أ- طريقة الترغيب والتذكير: وكما رأى الدكتور سعيد الديوه جي(1988م) ان مسكويه "خرج بنتائج دقيقة منها ان الإنسان قابل للتهذيب في الإرشاد الى الخير إذا ما عني به منذ طفولته ، وان ما يتعلمه الطفل بالمحاكاة أكثر مما يتعلمه بالقول ، وان كرامة النفس من أول الأمور التي تنمي في الطفل..." 1 ؛ كما اعتبر محمد خاتمي دارس فكر مسكويه في التربية السياسية والذي توصل الى ان مسكويه "يعتبر الدين والحكم توأمان ، لا يكتمل أحدهما إلا بالآخر ، فالإسلام هو الأساس والملك هو حارسه ، ويظهر الاستبداد والتغلب إذا كان الحاكم فاقدا للعدالة" 2 ، فعلى الأب ان لا يربي الصبي بصورة استبدادية غليظة منذ طفولته حفاظا على كرامة نفس

---

1 سعيد الديوه جي: ابن مسكويه ، من أعلام التربية العربية الاسلامية ، المجلد الثاني ، مكتبة التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، (د-ط) ، 1988 ، ص232.

2 محمد خاتمي: الدين والفكر في فخ الاستبداد ، دراسة في الفكر السياسي للمسلمين بين ازدهار الحضارة الاسلامية وانهيارها ، تع: ثريا محمد علي ، مكتبة الشروق ، القاهرة ، ط1 ، 2001 ، ص212.

الصبي ، بل يقوم بتربيته بطريقة تهذيبية تذكره وترشده الى فعل الخير وتبعده عن فعل الشر.

ب- طريقة الترهيب: ان أول ما ينبغي ان يتعوده ويتعلمه الصبي ممن يقوم على تربيته ألا يعوده التوبيخ "...بل يمدح الأخيار عنده ، ويمدح هو في نفسه إذا ظهر شيء جميل منه ، ويخوف من المذمة على أدنى قبيح يظهر منه ، ويؤاخذ باشتهائه للمآكل والمشارب والملابس الفاخرة ، ويزين عنده خلق النفس والترفع عن الحرص في المآكل خاصة ، وفي اللذات عامة"1.

وان خالف أحيانا ما ذكرناه لا نوبخه أيضا عليه ولا يكاشف بأنه أقدم عليه ، بل يتغافل عنه تغافل من لا يخطر بباله ، فان عاد فليوبخ عليه سرا ، فانك ان عودته التوبيخ والمكاشفة حملته على الوقاحة وحرضته على معاودة ما كان استقبحه ، كذلك ويهان عليه سماع الملامة ، وياله من أسلوب تهذيبي لين يعود الطفل على عدم سماع الملامات والمذمات ، ويبعده عن كل الأفعال القبيحة التي قام بها.

وهنا يظهر دور الوالدين "وعلى الوالدين أخذهم بها وبسائر الآداب الجميلة بضروب السياسات من الضروب إذا دعت اليه الحاجة أو التوبيخات ان صدتهم أو الأطماع في الكرامات أو غيرها مما يميلون اليه من الراحات أو يحذرونه من العقوبات..."2.

إذا تربى الطفل على ذلك "لم يترك لمخالطة من سمع منه ضد ما ذكرناه لا سيما من أترابه ومن كان في مثل سنه ممن يعاشره ويلاعبه" 3 ، لأن الطفل يقلد أقرانه في سلوكاته وأفعاله ، لذا يجب ان يبعد الصبي عن رفقاء السوء ومخالطة الفاسدين ، ويقترب من مصاحبة الأخيار مما يغري نفوس الصبيان بالفضائل.

ومن التعليمات التي وضعها مسكويه في تأديب الصبيان ان يلقنوا مبادئ الدين و الشريعة منذ حداثة سنهم "والشريعة هي التي تقوم الأحداث وتعودهم الأفعال

---

1 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص46.

2 المصدر السابق ، ص33.

3 المصدر السابق ، ص46.

المرضية ،وتعد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل والبلوغ الى السعادة الإنسية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم"1.

لذلك فالشريعة خير مهذب للأحداث وعلى المربي أو الوالدين ان يتبعوا ما جاء فيها من طرق رشيدة في تربية الأحداث ، "فالتربية الصالحة وتهذيب الطفل منذ نعومة أظافره وتوجيهه الى الفضائل وتحذيره من الرذائل هي التي تجعل منه إنسانا كاملا يستحق الحياة"2.

وللأبوين تأثير عظيم في الأحداث في أمور الدين ولا سيما في السنوات الأولى ، حتى ليصل التأثير الى تحويلهم عن الفطرة التي خلقهم الله تعالى عليها ، جاء في الحديث الصحيح: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" 3 ، فالتدرج مع الأحداث ضروري هذا ما ذهب اليه الأستاذ احمد عطا عمر في قوله: "وتعليم الأولاد على تلك الأسس يجب ان يكون بقدر ما يناسب عقولهم واستعداداتهم"4.

وتنشئة الصبي على مبادئ الشريعة وفضائلها تجعل نفسه ميالة الى الخير عازفة عن الشر ، أما إذا أهمل الصبي ولم يربى على أسس الشريعة فان نفسه تكون ميالة الى الوقوع في الشر والإثم والإقبال على اللهو واللذات ، ومن هنا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعهد الصغار منذ البداية ويربطهم بطاعة الله عز وجل.

فالتأديب مثله مثل البذرة والمؤدب كالأرض فمتى كانت الأرض رديئة ضاع البذر فيها ومتى كانت صالحة نشأ ونما ، فتأمل بفراستك من تخاطبه وتؤدبه وتعاشره ، والآداب التي يتعامل بها الإنسان مع الناس في كبره هي صدى مباشر لما تعلمه في صغره ، إذن ماذا ننتظر من طفل عودناه منذ الصغر ان يطلب ما يطلب بأدب ، وما نراه في الناس من سوء خلق وندرة أدب وجفاء في المعاملة هو نتيجة

---

1 المصدر السابق ، ص33.

2 سعيد الديوه جي: المرجع السابق ، ص234.

3 الإمام الزبيدي: مختصر صحيح البخاري ، الشركة الجزائرية اللبنانية ، الجزائر ، ط1 ، 2007 ، رقم الباب ورقم الحديث(1103/42) ، ص241.

4 عمر احمد عطا: تربية الطفل في الإسلام ، دار الفكر ، الأردن ، ط1 ، 2007 ، ص63.

طبيعية لسوء التأديب في الصغر ، ورسولنا الكريم حينما كان يقبل الأطفال ويحنوا عليهم كان يهدف من ذلك الى غرس خلق الرحمة في نفوسهم ، لذا فقد كان كلما مر بصبيان هش لهم وسلم عليهم ، انه الأدب النبوي الرفيع في التأديب ؛ والتربية الأسرية التي وضعها مسكويه تشمل صورا وآدابا مختلفة.

2-الصور التربوية للطفل عند مسكويه:

أ-التربية الجسمية:

يفرد مسكويه للآداب العامة والخاصة بجسم الصبي جانبا من العناية ، ومن الآداب التي وصى بها وقومها مسكويه:

1- أدب الأكل: انه أول أدب وصى به مسكويه وبدأ في تقويمه ، ورأى ان الأكل ينبغي ان يفهم منه "إنما يراد للصحة لا للذة وان الأغذية كلها إنما خلقت واعدت لنا لتصح بها أبداننا وتصير مادة لحياتنا ، فهي تجري مجرى الأدوية...فكما ان الدواء لا يرام أو يراد للذة ولا يستكثر منه للشهوة كذلك الأطعمة ينبغي ان يتناول منها إلا ما يحفظ صحة البدن ويدفع الم الجوع"1.

بذلك يتعلم الطفل عدم الشره في تناول الطعام ومراعاة الاعتدال ، وإذا تناول الطعام مع غيره ان يؤثر من يشاركه فيه ، فلا يديم النظر الى ألوانه ، ولا يحدق اليه شديدا ، ويقتصر على ما يليه ، ولا يسرع في الأكل ، ولتا يعظم اللقمة ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها ، ولا يلطخ يده ولا ثوبه.

وهذه الآداب حسب رأي مسكويه ان كانت جميلة بالفقراء فهي بالأغنياء أفضل وأجمل ، كذلك وينبغي للصبي "ان يستوفى غذاءه بالعشي فان استوفاه بالنهار كسل واحتاج الى النوم...وان منع اللحم في أكثر أوقاته كان أنفع له...وأما الحلواء والفاكهة فينبغي أن يمتنع منها وإلا فليتناول أقل ما يمكن فإنها تستحيل في بدنه فتكثر انحلاله وتعوده الشره...ويمنع من شرب الماء وهو يأكل ، أما النبيذ وأصناف

1 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص47.

الأشربة المسكرة فإياه وإياها فإنها تضره في بدنه ونفسه ، وتحمل على سرعة الغضب والتهور..."1.

انه أول أدب من آداب التربية الجسمية والتي تعد من أكبر المسؤوليات التي أوجبها الإسلام على المربين تجاه الأحداث ، وفي هذا يرى الإمام الماوردي (972م-1057م) "ان التربية الجسدية ضرورية ، وان الجسم له دور في حياة الإنسان وضرورة الاهتمام به ، والجسد مادة الإنسان وبه قوامه فإذا عدم الإنسان المادة التي بها قوامه لم تدم له حياة ، ولم يستقم له دين"2.

فعلى الوالدين ان يربوا الأحداث على الاعتدال في الطعام ، وفي ذلك يقول الله تعالى:"وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ اِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ"3.

2- أدب اللباس: يوصي مسكويه عن أدب اللباس فينبغي على الصبي ان يتربى على "عدم كشف أطرافه ، ولا يتزين بملابس النساء ولا يلبس خاتما إلاّ وقت حاجته اليه..." 4 ، ويجب أن يبتعد عن بعض العادات منها أن يربي شعره وعدم السرعة في المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره.

ان الغاية من هذه الآداب حسب الأستاذ احمد فؤاد الأهواني (ولد عام 1908م): "ان يتعود على الخشونة ويصلب بدنه" 5 ، إضافة الى ذلك ولابد ان يعلم الصبي "ان أول الناس بالملابس الملونة والمنقوشة النساء اللاّتي يتزينّ للرجال ثم العبيد...وان الأحسن بأهل النبل والشرف من اللباس البياض"6.

---

1 المصدر السابق ، نفس الصفحة.

2 عمر احمد عطا: المرجع السابق ، ص94.

3 القران الكريم: سورة الأعراف اية رقم31.

4 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص48.

5 احمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ط2 ، 1975 ، ص200.

6 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص46.

3- أدب المجالس: وأما عن هذا الأدب فيوصي مسكويه ان يعود الطفل "ان لا يبصق في مجالسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ، ولا يضع رجل على رجل ولا يضرب تحت ذقنه بساعده ولا يعمد رأسه بيده ، فان هذا دليل الكسل"1

ومن آداب المجالس التي يجب ان يتعلمها الطفل "ان يتجنب في الحديث الكذب ، ولا يحلف البتة لا صادقا ولا كاذبا فانه قبح بالمرء ويكون كلامه ، ويعود قلة الكلام فليستمع من أهل المجلس ما يفيده خاصة إذا كان في المجلس من هو اكبر منه فليستمع من كلامهم ويستفيد من تجارب حياتهم ، ويمنع من خبث الكلام وهجينه كالسب واللعن ولغو الكلام"2.

والرسول صلى الله عليه وسلم أرشدنا وعلمنا أدب المجالس ، من أهمها اختيار من نجالس ، وان نبتعد عن مجالس المعاصي والآثام فنجالس الصالحين وأهل الخير ، لأنّ من اختار مجالسة الصالحين كان مجلسه بعيدا عن المعاصي كالغيبة والنميمة.

4- التربية باللعب والحركة والرياضة: كذلك وأوصى مسكويه على اللعب والحركة والرياضة وأكد على هذه الصورة الم يقل: "ويعود المشي والحركة والركوب والرياضة حتى لا يتعود أضدادها" 3 ، وما يدل على صحة كلام مسكويه أنَّ الله تعالى جعل اللعب طبيعة فطرية وغريزة في نفسية الأطفال وما ذلك إلا ليقوى جسم الصبي وعوده يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير"4.

فاللعب ضروري للطفل "يبعث به النشاط ويزيل عنه التعب وينمي جسمه ويقوي عضلاته" 5 ، وقد تكلم عن هذه النقطة علماء الدين والتربية وأكدوا عليها كثيرا لأهميتها في تنشئة الأحداث ، وأنهم يتفقون بإجماع على ضرورة اللعب ومشاهدتها

---

1 المصدر السابق ، ص48.

2 سعيد الديوه جي: المرجع السابق ، ص239.

3 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص48.

4 زكي الدين عبد العظيم المنذري: مختصر صحيح مسلم ، الشركة الجزائرية اللبنانية ، الجزائر1 ، 2007 ، رقم الباب ورقم الحديث(1329/28) ص414.

5 سعيد الديوه جي : المرجع السابق ، ص237.

ان عجزوا اللعب ، ومسكويه تدرج في حمل الطفل على اللعب بـأن تكون الأعمال التي يمارسها لا ترهق جسمه يقول في ذلك: "وينبغي أن يؤذن له في بعض الأوقات ان يلعب لعبا جميلا ليستريح فيه من تعب الأدب ، ولا يكون في لعبه الم وتعب شديد"1.

فإذا شذى يعود المشي والحركة والرياضة ، ثم ركوب الخيل ، يقول عمر بن الخطاب (584م-644م) في ذلك: "علموا أولادكم السباحة والرماية وان يثبوا على الخيل وثبا" ، وهاهو رفاعة الطهطاوي وما حث عليه من تدريبات جسدية ومهارات رياضية للبنين من بينها "السباحة والفروسية وركوب الخيل والرمي واللعب بالرمح والسيف وأشباه ذلك...لأن هذه الأشياء من المنافع العمومية للطفل"2.

ب-التربية العقلية الفكرية:

اهتم مسكويه بتربية الطفل وطالب بضرورة وضع المناهج المتنوعة لأنّ المناهج تلعب دورا كبيرا في نفسية الصبي والقدرات العقلية في حاجة الى إنضاج وليس من سبيل الى ذلك إلا بالتعليم.

يقول مسكويه: "فمن اتفق له في الصبا ان يربى على أدب الشريعة ويأخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها، ثم ينظر بعد ذلك في كتب الاخلاق حتى تتأكد تلك الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين ، ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان فلا يسكن إلا إليها ، ثم يتدرج حتى يبلغ الى أقصى مرتبة الإنسان فهو السعيد الكامل"3.

فالرياضيات مثلا حسب مسكويه تحرك الحرارة الغريزية وتحفظ الصحة وتنفي الكسل وتطرد البلادة وتبعث النشاط وتزكي النفس.

كما وأكد مسكويه ان يعامل الصبي في هذه المرحلة معاملة رجل له كلمته ورأيه فيما يبديه ليعتد بنفسه وتصرفه منذ صغره لأنه امتاز بكرامة النفس وهي اسمى

---

1 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص49.

2 شبل بدران: رواد الفكر التربوي ، دار المعارف الجامعية ، الإسكندرية ، ط1 ، 2001 ، ص24.

3 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص ص 41 42.

مطالب الحياة "فالأولى بمثل هذه النفس ان تنبه أبدا على حب الكرامة ، لا سيما ما يحصل منها بالدين دون المال ويلزم سننه ووظائفه ثم يمدح الأخيار عنده ويمدح هو في نفسه إذا شيء جميل منه ، ويخوف من المذمة على أدنى قبيح يظهر منه"1.

أما وسائل التربية الفكرية فتتمثل في المحاورات والمناظرات والتجارب والاطلاع والمدارسة ومجالسة العلماء ، الم يقل مسكويه: "ثم يطالب الصبي بحفظ محاسن الأخبار والأشعار التي تجري مجرى ما تعوده بالأدب حتى يتأكد عنده بروايتها وحفظها والمذاكرة بها"2.

كما وحذر مسكويه أن يربّى الصبي على رواية الشعر الفاحش لأنه يعج بالأكاذيب ، بل ان يستحسن ما يوجد فيه من ذكر القبائح ونيل اللذات ، مثلا كالفواحش والأكاذيب والقبائح التي تعج شعر امرؤ القيس وغيره من الشعراء لأنها وحسب مسكويه مفسدة للأحداث.

وتنبع أهمية التربية الفكرية للصغير بوضعه في محيط اجتماعي ومدرسي تسوده السلوكات الفاضلة ، والصغير إذا تعود "ان تكون سيرته فاضلة ولم يقدم على شيء من أفعاله إلاّ بعد مطالعة العقل الصريح وبعد مراعاة الشريعة القويمة كانت أفعالها كلها منظمة غير مختلفة ولا خارجة عن سنن الدين...ان السعيد هو ما اتفق له في صباه ان يَأنس بالشريعة ويستسلم لها ، ويتعود جميع ما تأمر به ، حتى إذا بلغ المبلغ الذي يمكنه من ان يعرف الأسباب والعِلل طالع الحكمة فوجدها موافقة لما تقدمت استحكم رأيه ، وقويت بصيرته ونفذت عزيمته"3.

---

1 سعيد الديوه جي: المرجع السابق ، ص236.

2 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص46.

3 المصدر السابق ، ص47.

-ج-دور البيئة التعليمية في تربية الأحداث:

ان في المرحلة التعليمية للطفل يعلق مسكويه اكبر الأثر على شخصية المعلم وحسن تصرفه مع الأحداث ، ومن الشروط التي وضعها مسكويه الواجب توفرها في المعلم:

- ان يكون من ذوي الاخلاق الفاضلة.

- ان يكون حلو الكلام ، طلق الوجه.

- ان يكون مظهره جميل لا يوحش الأحداث.

- ان يحادث الأحداث بما يفهمونه ويتدبرونه ، فالمعلم قدوة للأحداث ومثلهم الأعلى.

ان مكانة المعلم أو المربي في نظر مسكويه يوضحها سعيد الديوه جي في قوله: "ومكانة المعلم لا تتوقف على علمه ، بل على حسن عمله وسياسته الناجحة في تهذيب الأطفال قبل تعليمهم ، فالتعليم بالمقابل والتهذيب بالفعال ، فأخلاقه وتصرفه تنطبع في نفوس الأحداث ، وما يتعلمه الطفل بالمحاكاة أكثر مما يتعلمه بالقول"[1].

والقدوة الحسنة خير وسيلة لتربية الأطفال لذلك كان الصحابة والسلف الصالح حريصين على اختيار المعلم الصالح لأنّ الطفل في صغره يَعتبر معلمه المصدر الأساسي لاستقاء ما يعينه على الحياة.

-المادة العلمية: أما عن تفصيلات المادة العلمية التي ينبغي على المعلم ان يعلمها للصبي ، الشريعة لأنها تقوم بإعداد نفوس الصبيان لقبول الحكمة وطلب الفضائل بالفكر الصحيح والقياس المستقيم ، كذلك وأنها رأس العلوم النافعة ، فالطفل إذا تعلم العلم النافع كان المؤمن الكامل والمسلم الصادق والمواطن الصالح والرجل المثالي في مجتمعه.

أيضا وطالب مسكويه ان يتعلم الصبي الشعر النافع ويبتعد عن شعر العشق وأهله لأنّ فيه مفسدة للصبي ، لذلك فينبغي على المعلم "ان يهتم بتنمية السلوك

---

1 سعيد الديوه جي: المرجع السابق ، ص234.

العملي الرشيد ، كما يجب ان يهتم بالجوانب الوظيفية والتطبيقية ، لما يتعلمه الطفل في واقع حياته كفرد وفي واقع المجتمع الإسلامي الكبير لأنّ الناشئة لا يمكن ان يتعلموا ألوان السلوك إلا إذا مارسوها وأصبحت عادة لديهم ، فعدم الاقتصار على المعرفة اللفظية فقط وإنما ان يربط المعلم بين الفكر والعمل" 1 ؛ وبذلك فالسلوكات التي يتعلمها الصبي في المرحلة التعليمية تصبح عادة له لكن إذا كانت مشحونة بالذكاء تستطيع ان تواجه التغير والتطور في المستقبل.

وهناك نقطة مهمة أكد عليها مسكويه فيما يخص التعليم وهي انه طالب بالتعليم المستمر ، أما الأسباب التي جعلته يطالب بالتعليم المستمر هي:

1- ان العلم لا نهاية له ، وفوق كل ذي علم عليم.

2- ان ترك العلم يدل على إعجاب الإنسان بنفسه وهو خلق مذموم.

3- النسيان آفة العلم ، وعلى الإنسان ان يجدد معارفه وعلومه كي يسلم من تلك الآفة.

4- ترك طلب العلم دليل الكسل وهو بخلاف أخلاق السعي والعمل.

5- من أسباب سعادة الإنسان طلبه للعلم ففيه لذة مطالعة الحكمة.

6- لا يخلو الإنسان من الجهل وعلاج الجهل هو العلم ، فالحكمة هي التي تُخلّص الإنسان من الظنون الكاذبة التي هي نتاج الجهالات.

والملاحظ لدى مسكويه أنه قرن السعادة بالتربية وأكد على أنّ الإنسان في ابتداء تكوينه محتاج الى سياسة الوالدين ثم الى الشريعة الإلهية والدين القيم حتى تهديه وتقومه الى الحكمة البالغة ليتولى تدبير نفسه الى آخر عمره.

وخلاصة القول إنَّ نظرية التربية عند مسكويه تتلخص في النقاط التالية:

---

1 ابتسام السحماوي: في فلسفة التربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، 2003 ، ص103.

1- إننا قابلون للإصلاح هكذا أكد مسكويه هذا الأصل في مقدمة كتاب تهذيب الاخلاق ، فالوراثة تلعب دورا كبيرا في تشكيل السلوك ، لكن دور التربية اكبر في تغيير النفوس.

2- اِنَّ التأديب والتعليم يجريان في النفس مجرى القوت من البدن.

3- التربية عملية اجتماعية ، وكما رأينا في الفصل الثاني من هذا البحث أنَّ الإنسان دائم الأنس بالناس فهو كائن اجتماعي مدني بالطبع.

4- ركز مسكويه على العادة ، فالمهارات إذا لم نمارسها لا نتقنها.

نعم ان كتابات مسكويه التربوية انبثقت من عقلية باحثة عن القيم العملية الرفيعة لِإسعاد الناس وحماية المجتمع نظريا وعمليا ، رابطا في رؤاه بين الشريعة والرؤية الفلسفية المقومة لأخلاق الإنسان في مختلف أحواله ، أيضا وجاءت كتاباته كمحاولة وسطية جادة للتوفيق بين تعاليم الدين والفلسفة بألفاظ لطيفة وبلغة سلسة المأخذ تستهوي النفس.

والملاحظ كذلك اَنَّ مسكويه لم يتعرض للتراث اليوناني بالنقد ، ولكن الكثير مما نقله يعد من القيم الإنسانية العامة التي لا وجه لنقدها فنقلها بعد انتقاص وتمحيص ، فمثلا في فصل تأديب الأحداث والصبيان وأكثره كما قال منقول من كتاب بروسن اليوناني ، وهذه صورة من صور الأمانة العلمية عكس بعض علماء المسلمين من الفلاسفة الذين نقلوا من تراث اليونان دون ان يصرحوا بذلك.

انه أراد أنْ يبين أنَّ مقصود الإسلام هو الارتقاء بالخلق ، فكلما تهذبت أخلاق الأمم كلما تقدمت في مضمار الحضارة ، كما أراد ان يبين ويرد على بعض الفلاسفة الذين يرون أنّ الاخلاق وراثية لا تتغير ، وإذا كانت كذلك فلا حاجة لنا للتربية والتعليم ، أيضا واثبت أن فضائل العقل لا تتعارض مع فرائض الدين ، وأن للتهذيب طرائق عملية كثيرة ينبغي الاطلاع عليها والاسترشاد بها ، فالتربية الاسلامية حسب مسكويه لا تتناقض ولا تتعارض مع كثير من الفضائل المعروفة في الحضارات السابقة لأن بعضها لا يتفق مع مضمون الفكر الإسلامي.

إلا ان مسكويه لم يذكر تفصيلات حول المادة العلمية التي ينبغي للصبي ان يتعلمها عدا الدين والشعر، وفي نفس الوقت لم يُشِر بطريقة مفصلة الى آداب المعلمين كما يفعل سائر المربين.

ومن ناحية أخرى فقد اعتبر الأستاذ احمد محمود صبحي ان فكر مسكويه عبارة عن "نظريات تلفيقية من حيث هي أمشاج من آراء ارسطو وأفلاطون وجالينوس وبريسن فضلا عن الشريعة الاسلامية"1.

وعلى أيّة حال فان آراء مسكويه في فلسفة الأخلاق والتربية بالمفهوم الشامل للكلمة من الأفكار الرائدة في الفكر الإسلامي والإنساني ، ان الغاية من الأخلاق والتربية واحدة وهي البحث عن السعادة.

أجل انه علم من أعلام التربية ، وله فضل السبق في كونه من أوائل المتناولين لموضوع الاخلاق وفلسفة التربية ، "فهو أول من وجه الأنظار الى الدراسات الأخلاقية بين فلاسفة الإسلام ، ومن حيث انه قد حاول التوفيق بين النظر والعمل فضلا عن اهتمامه بتربية الأحداث كي يشبوا على الفضيلة" 2 ، في كتاب محدد الغاية عملي النزعة ، منظم الموضوعات واضح الأدلة قوي البيان يفيض بالأمل والتفاؤل.

ولقد كان لهذا الفكر التربوي المسكويهي اثر كبير في الفكر الإسلامي ، فلقد تأثروا به تأثرا واضحا وان لم يذكروا اسمه في بعض الأحيان ، نعم إنهم استفادوا منه كثيرا واطلعوا على أفكاره ، يقول الأستاذ المغربي علي عبد الفتاح: "ان لم يكونوا عليه عالة في بعض المواقف"3.

---

1 احمد محمود صبحي: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط3 ، 1992 ، ص312.

2 المرجع السابق ، نفس الصفحة.

3 علي عبد الفتاح المغربي: الفضيلة والسعادة عند مسكويه ، الدكتور توفيق الطويل مفكرا عربيا ورائدا للفلسفة الخلقية بحوث عنه ودراسات مهداة اليه ، إشراف: د- عاطف العراقي ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1995 ، ص278.

ثانيا-نظرية التربية عند الغزالي:

اتفق كل الدارسين على علو مكانة الغزالي في مجال المعرفة ، ورسوخ قدمه فيها فكتب في شتى الميادين وسعى لان يكون الأقدر والأكثر تمثيلا للفكر الإسلامي "فقد أولوا التربية كل عنايتهم فتوسعوا في إنشاء المدارس والكليات والمكتبات ، وجعلوا من المسجد مركزا من مراكز التربية والتعليم ، ولمع فيهم رجال تربية عظام كالغزالي صاحب كتاب ايها الولد..." 1 ، الى جانب الفقه والفلسفة والتصوف ، فكان مربيا عالما بالنفس البشرية وخفاياها متأملا فعاليتها وأحوالها محللا بارعا للسلوك وخرجات الضمير.

ويعد الغزالي اقرب مفكر إسلامي الى الابتكار في موضوع تربية الطفل لأن مفهوم التربية عنده يتفق مع الهدف الأسمى الذي جاهد للوصول اليه ، ولذلك نجده يعرف التربية أنّها "تهذيب لنفوس الناس في الأخلاق المذمومة والمهلكة ، وإرشادهم الى الأخلاق المحمودة والمسعدة" 2 ، ورأى أنّ التربية الاسلامية تبلغ بالإنسان درجة الكمال الم يقل في كتابه ميزان العمل: "اِعلم ان المقصود من المجاهدة والرياضة بالأعمال الصالحة تكمل النفس وتزكيها وتصفيها" 3 ؛ انه نظر الى النفس البشرية من حيث دوافعها وغرائزها ، وكيفية السمو بها في طريق الصلاح لضمان سعادتها.

انّه استوعب مختلف القضايا الاسلامية وحلل جزئياتها وفق فلسفته ونظرته للحياة ، وما فيها من قيم في إطار مشروع فكري يقوم على فلسفة تربوية تصلح لكل متعلم لو استرشد بها في سلوكه العام لتمكن من مواجهة كل ما يعترضه من متغيرات.

مارس الغزالي مهنة التعليم معظم فترات حياته برؤية واضحة المعالم ورسم منهجا مفصلا لتربية الأحداث وتأديبهم وتحسين أخلاقهم ، فما هي يا ترى نظرية الغزالي التربوية؟.

---

1 نايف القيسي: المعجم التربوي وعلم النفس ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، ط1 ، 2006 ، ص143.

2 عبد الكريم علي اليماني: فلسفة التربية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2004 ، ص176.

3 ابو حامد الغزالي: ميزان العمل ، تحقيق:سليمان دنيا ، دار المعارف بمصر ، ط1 ، 1964 ، ص198.

1-مبادئ نظرية الغزالي التربوية:

ارتبطت حياة ابي حامد الغزالي بالتربية والتدريس "فتولى بالمدرسة النظامية ببغداد مهنة التدريس سنة (484هـ)" 1 ، ثم اعتزله ليكون معلما للناس كافة عن طريق كتبه.

أ-اهمية العلم عند الغزالي:

1-أهمية العلم:

صدّر الغزالي كتاب الإحياء بكتاب العلم نظرا لأهميته ، والعلم في الإسلام محور الحياتين الدنيا والآخرة ، ويكفي التدليل على ذلك انه أول أمر نزل من أوامر القران (اقرأ) ، وهذا دليل على ان مكانة العلم في الإسلام لا تدانيها مكانة ، يقول الله تعالى: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ"2 ، ويقول أيضا: "يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"3.

نعم لقد اهتم الغزالي بالعلم والتعليم الى درجة جعلته يعتقد "ان التعليم الصحيح هو التقرب من الله ومن ثم الى سعادة الدنيا والآخرة" 4 ، ويبلغ الإنسان كماله باكتسابه الفضيلة عن طريق العلم والغرض من طلب العلم "التقرب الى الله دون التطلع الى الرياسة والمباهاة ، والتفاخر والتظاهر والمنافسة التي تؤدي الى الحقد والبغضاء والكراهية"5.

---

1 محمد عطية الأبراشي: التربية الاسلامية وفلاسفتها ، دار الفكر العربي ، ط3 ، (د-ت) ، ص223.

2 القران الكريم: سورة الزمر ، آية رقم9.

3 القران الكريم:سورة المجادلة اية رقم12.

4 احمد سعد مرسي: تطور الفكر التربوي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط2 ، 2005 ، ص306.

5 محمد عطية الابراشي: المرجع السابق ، ص224.

2-أقسام العلوم:

1) العلم الذي هو فرض عين: علم المعاملة هو فرض عين يجب على كل مسلم تعلمه ولا يسقط عن اي فرد ، والمعاملة التي كلف بها العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة: الاعتقاد – الفعل – الترك.

وإذا بلغ الرجل العاقل الاحتلام فأول واجب عليه "تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما ، وليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة ، بل يكفيه ان يُصدِّق به ويعتقد جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس ، وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان"1.

أما في الترك ويكون هذا بحسب ما يستجد على المرء من أحوال وأمور ويختلف باختلاف الأشخاص ، وهو مرتبط بأحوال وحالات الشخص المتعلم اي ماذا يأخذ وماذا يدع؟.

والغزالي هنا يربط بين واجب التعلم بواجب التعليم فما وجب تعليمه وجب تعلمه ، ويصح العكس هنا فما لا يوجب تعلمه لا يتوجب تعليمه فمثلا: لا يجب على الأبكم تعلم ما يجرم من الكلام ، فما يعلم انه ينفك عنه لا يجب تعلمه.

أما في الاعتقاد يتوجب علمها بحسب الخواطر ، فان خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا المنهج وجب عليه تعلم ما يزيل له الشك من قلبه وذهنه.

فالعلم الذي هو فرض عين معناه "العلم بكيفية العمل الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين" 2 ، اي اعتقاد بالله وفعل بما أمر الله وترك لما نهى الله.

2) العلم الذي هو فرض كفاية: وهي العلوم التي إذا تعلمها البعض سقطت عن البعض الآخر ، وتنقسم الى قسمين شرعية وغير شرعية "والشرعية هي العلوم

---

1 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، تحقيق: د- عبدالله الخالدي ، المجلد الأول ، شركة دار الأرقم بن ابي الأرقم ، بيروت – لبنان ، (د-ط) ، (د-ت) ، ص24.

2 المصدر السابق ، نفس الصفحة.

المستفادة من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة"1 ، وتشمل أربعة أقسام:

أ- الأصول: تتمثل في أربعة أمور كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة وآثار الصحابة ، ويستدرك الغزالي هنا موضحا موقع الإجماع والأثر من الأصول بأنهما أصل من حيث دلالتهما على السنة لان الصحابة رضي الله عنهم شاهدوا الوحي والتنزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم ، لذلك رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم.

ب- الفروع: وتشمل ما فهم من تلك الأصول لا بموجب ألفاظها وإنما بمعان تنبهوا لها ذووا العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ به غيره ، ويقصد الغزالي بالفروع ما استنبط عن طريق المصادر الاجتهادية بالقياس والاستحسان ووفق منهج الدلالات اللفظية التي تدخل ضمن اختصاص علماء أصول الفقه.

ج- المقدمات: وهي العلوم التي تجري مجرى الآلات والتي لا يمكن فهم النصوص الشرعية إلا عن طريقها كعلم اللغة والنحو ، وهما آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله ، بالرغم من ان اللغة والنحو ليستا من العلوم الشرعية إلا أنهما الآلة لفهم كتاب الله.

د- المتممات: وهذا القسم يشمل العلوم التي تمكن المسلم من معرفة القران من حيث اللفظ ، كتعلم القراءات ومخارج الحروف وما يتعلق بالحكم كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص الظاهر ، ويدخل ضمن هذا القسم أيضا السنة وعلومها والمتعلقة بمعرفة الرواة وأخبارهم وأنسابهم.

وهناك علوم في نظر الغزالي مذمومة ، فما هي يا ترى أسباب ذمها؟

3-أسباب ذم العلوم في نظر الغزالي: العلم في نظر الغزالي لا يمكن ان يكون مذموما لذاته ، وإنما يذم في حق العباد لأحد الأسباب الثلاثة2:

---

1 المصدر السابق ، ص25.

2 انظر - ابو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، المجلد الأول ، المصدر السابق ، ص ص ص 45 46 47.

أولا: ان يكون مؤديا الى ضرر بصاحبه: ويدخل ضمن هذا السبب علم النجوم فهو غير مذموم لذاته ، وهو قسمان قسم حسابي: وقد نطق القران بان مسير الشمس والقمر محسوب قال تعالى: "اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ" 1 ، والقسم الثاني يعتمد على الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ، ذمه الشرع لان بعض الناس إذا ربطت بالنجوم اعتقدت ان الكواكب مؤثرة ومدبرة لأنها كواكب سماوية وعندئذ يرجون من هذه الكواكب الخير والشر ويؤدي بهم ذلك الى الانحراف في العقيدة.

ثانيا: ان يكون مؤديا الى ضرر بغيره: ويدخل ضمن هذا السبب علم السحر والطلسمات ، وهو حق لان القران شهد له إذ "يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم ، فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع ، وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ، ويتوصل بسببها الى الاستعانة بالشياطين"2.

ثالثا: لعدم الفائدة منه: الخوض في مثل تلك العلوم يعتبر خوضا في فضول لا يغني ولا يسمن من جوع ويضيع عمر الإنسان في غير فائدة ، نعم انه من العلوم المذمومة الخوض في علم لا يستفيد منه الخائض فيه فائدة علم مثلا: كالبحث عن الأسرار الإلهية التي يتطلع الفلاسفة والمتكلمون إليها.

هذا وقد قوم الغزالي العلوم وفق معايير واضحة يمكن بيانها كالآتي"3:

1) مدى منفعة العلوم للإنسان في حياته الدينية وفي دنياه الآخرة من حيث تطهير نفسه وتجميل خلقه وتقريبه من الله تعالى ، وإعداده لدنيا الخلود كعلوم الذكر الحكيم ، وعلوم الدين المختلفة.

---

1 القران الكريم: سورة الرحمن ، اية رقم5.

2 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الأول ، المصدر السابق ، ص45

3 احمد سعد مرسي: المرجع السابق ، ص307.

2) مدى منفعتها للإنسان من حيث ضرورتها وخدمتها لعلوم الدين مثل علم اللغة والنحو.

3) مدى منفعتها للإنسان في حياته الدنيا كالطب والحساب والصناعات المختلفة.

4) مدى منفعتها للإنسان من حيث ثقافته واستمتاعه بالعلم في حياته الاجتماعية كعلم الشعر والتاريخ والحساب والسياسة والأخلاق.

ب-طبيعة النفس لدى الصبي:

ان نظرية الغزالي التربوية تنبني على نظريته في النفس وعلى فهمه لطبيعة الصبي وغرائزه ، ويرى ان نفس الصبي ساذجة خالية من كل نقش لهذا يجب التبكير في تعويدها الخصال والفضائل الحميدة يقول في ذلك: "والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشا عليه وسعد في الدنيا والآخرة...وان عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك"1.

وهو في هذا يوافق صاحبنا مسكويه الذي يرى هو أيضا ان نفس الصبي ساذجة من غير نقش إذ يقول: "ان نفس الصبي ساذجة لم تنتقش بعد بصورة ولا لها رأي وعزيمة تميلها من شيء الى شيء فإذا نقشت بصورة وقبلتها نشا عليها واعتادها" 2 ؛ ويوافق أصحاب المذهب التجريبي لا سيما جون لوك (johnlocke 1632م-1704م) ودافيد هيوم (davidhume 1711م-1776م) وغيرهم ، وبحسبهم ان النفس تولد صفحة بيضاء خالية من اي نقش ، فقد رأى جون لوك: "ان العقل الإنساني عندما يحمله الطفل الى المدرسة يكون كالصفحة البيضاء فارغا لا شيء فيه تقوم المدرسة بواجبها من ملء جنباته بالتراث الإنساني المتراكم والخبرات البشرية العديدة"3.

---

1 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، 93.

2 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، المصدر السابق ، ص46.

3 محمد لبيب النجيحي: مقدمة في فلسفة التربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د-ط) ، 1992 ، ص162.

ويقرر الغزالي في موضع آخر ان الصبي يولد صحيح الفطرة بقوله: "كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، اي بالاعتياد والتعليم تكتسب الأفكار والعقائد والقيم ، وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا إنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء كذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم" 1 ؛ وفي هذا يعلق الأستاذ زكي مبارك (1892م-1952م) على قول الغزالي: "ان الغزالي رأى ان الفطرة الإنسانية قابلة لكل شيء وانه ليس لها قبل التربية اي لون ، فالخير إذن يكتسب بالتربية والشر يكتسب بالتربية وليس للإنسان بفطرته ميل خاص لا الى الشر ولا الى الخير وإنما يسعد أو يشقى بما يُقدِّم اليه أبواه ومعلموه" 2 ، إذن نفهم من هذا الكلام ان الطفل مادة أولية قابلة للتشكيل في ضوء اي تصور تربوي ممكن ، والتربية قيمة يتحقق بها الكمال ويرتبط بها الوجود البشري.

ومع ذلك فان الغزالي لا يغلو في هذا غلو أصحاب المذهب التجريبي في الفلسفة ، ولا يصل به الأمر الى حد إنكار الاستعدادات الوراثية في عملية التعلم فهو يؤمن بان التربية ودورها في توجيه الغرائز وفي تقويتها وإضعافها ، ولكنه يعترف بدور الطبيعة الأصلية ويعرف حدود التربية والاكتساب.

والنفس كالبدن لا تخلق كاملة بل تكمل بالتربية والتهذيب وان العادات والأخلاق تتغير بتغير وتطور الشخص ، لذا أقام منهجه في الاخلاق على مجاهدة النفس لاكتساب الفضيلة ، لذلك اعتبره الأستاذ محمد يوسف موسى (1899م-1963م) "فيلسوفا أخلاقيا همه العمل والوصول بقارئه وخريجه الى تحصيل فاضل الخلق والسير على الجادة حتى يصل الى ما يرجوا له من سعادة" 3 ، والسعادة البشرية لا تقوم بدون التربية فهي عند الغزالي ضرورة وجود.

وتكتسب الاخلاق بحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب ، اي انها تكتسب كما قُلنا سابقا بالمجاهدة في تربية النفس وتوجيهها "فمن أراد ان يحصل

---

1 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص78.

2 زكي مبارك: الاخلاق عند الغزالي ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1988 ، ص165.

3 محمد يوسف موسى: ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة ، مؤسسة الخانجى ، القاهرة ، ط3 ، 1963 ، ص195.

لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطي فعل الجواد...ومن أراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة ، وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه" 1 ، إذن فالاخلاق الجميلة تكتسب بالرياضة والإنسان يتكلفها في بداية الأمر لتصير طبعا في نهايته.

ويتكون الطفل في نظر الغزالي من روح وعقل وجسم ، يقول في ذلك الأستاذ فؤاد الأهواني (ولد عام 1908م): "وقد جمعت التربية الاسلامية منذ ظهور أول الإسلام بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم ، فهي تعنى بالتربية الدينية والخلقية والعملية والجسمية دون تضحية بأي نوع منها على حساب الآخر"2.

وتنشا أمراض النفس عادة من اختلال التوازن وغلبة طرف على الأطراف الأخرى ، وعدم قدرة العقل على التحكم والسيطرة فتصبح أمام حالات من انحراف السلوك وطاعة الرغبات والشهوات التي تسيطر على صاحبها ، والغرض من التربية ليس قمع هذه الشهوات وكبتها وقمعها وإنما الاتجاه بها نحو حسن توجيهها وإخضاعها لسلطان العقل ، أو القوة الناطقة على حد تعبير الغزالي ومسكويه وغيرهما من فلاسفة المسلمين.

2-دور الأسرة في تربية الأحداث عند الغزالي:

إذا كان مسكويه يعتبر تربية الطفل من أهم الأمور واوكدها ، والغزالي سار في نفس هذا المسار واعتبرها كذلك على حد تعبيره في الإحياء ، لكن كيف يقوم الأبوان بهذه المهمة في نظر الغزالي؟ وكيف يصونان أمانتهما وجوهرتهما النفيسة التي يحاسبان عليها إما بالثواب أو العقاب؟ ، أو بتعبير آخر ماهي واجبات الأسرة في تنشئة الطفل وتربيته وتهذيبه ورعايته؟

---

1 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص75.

2 احمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، (د-ط) ، 1975 ، ص9.

لقد بين الغزالي ان المقصود بصيانة الولد "ان يؤدبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة والرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد...ولا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه ، فإذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينته من الخبث ، فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث"1

وكما رأينا مع مسكويه نراه مع الغزالي في أول ما ينبغي ان يتفرس في الصبي وهو الحياء الذي اعتبره الغزالي أساس الاخلاق كلها: "وأول ذلك ظهور أوائل الحياء فانه إذا كان يحتشم ويستحيي ، ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لإشراف نور العقل عليه" 2 ، أو بتعبير آخر القوة العاقلة والتي بها يميز الصبي بين الجميل والقبيح.

أ-تغيير سلوك الطفل:

ان الغزالي يؤمن بقابلية خلق وسلوك الطفل للتعديل والتغيير ، وهذا التعديل والتغيير تساهم فيه كافة المؤسسات ، وتشكل الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي يتعرف عليها الطفل فهو بذلك أمانة عند والديه حسب الغزالي ، ومن هنا تبرز أهمية العملية التربوية.

انه اعتبر الطفل بعضا من والديه ، "والوالدان يتحملان مسؤولية ما سيؤول اليه أمر ولدهما خاصة وانه يولد خاليا من اي نقش ولديه الاستعداد والطواعية الكبيرة لاستعاب ألوان التربية التي قد تقدم اليه الى جانب القدرة على التشكل حسب ما يريد له أبواه" 3 ، فيجب ان يحفظاه ويخافا عليه كما يخافا على نفسيهما فقد ورد في الذكر الحكيم "يَأَيُّهَا اَلذِينَ ءَامَنُواْ قُواْ أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا" 4 ، وحسب الغزالي انه "مهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فَبأن يصونه عن نار الآخرة أولى"5.

---

1 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص93.

2 المصدر نفسه ، نفس الصفحة.

3 أيوب دخل الله: المرجع السابق ، ص262.

4 القران الكريم: سورة التحريم ، اية رقم6.

5 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص93.

والدليل على قابلية السلوك للتغيير والتعديل هو قوله صلى الله عليه وسلم:"حسنوا أخلاقكم" ، كذلك وراى الأستاذ محمد منير مرسي "ان الغزالي انتقد كل من يزعم ان السلوك والأخلاق لا تتغير اعتمادا على ان الاخلاق والسلوك مقتضى المزاج والطبع وان الخلق صورة الباطن" 1 ، لنفرض ان السلوك لا يتغير إذن لما كان هناك حاجة الى المواعظ والوصايا ، نعم فالسلوك يمكن تغييره وتبديله حسب الغزالي وحسب مسكويه وان كل كائن حي يمكن ان يتغير خلقه وأكثر من ذلك حتى البهائم يمكن ان يتغير خلقها من الاستيحاش الى الاستئناس.

ب-صور التربية الأسرية:

1-التربية الجسمية:

بدوره الغزالي يفرد لجسم الطفل جانبا من العناية ، ومن الآداب التي قومها ووصى بها.

أ) آداب الطعام: انه أول أدب من الآداب التي قومها الغزالي لان الصبي المستحيي أول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام ، ولهذا ينبغي ان يؤدب فيه وهنا بحسب الأستاذ محمد منير مرسي "يتفق مع مسكويه"2 ، ومن آداب الطعام:

1- لا يأخذ الطعام إلا بيمينه.

2- ان يقول عند اخذ الطعام بسم الله وفي نهايته الحمد لله.

3- ان يأكل مما يليه ، ويصغر اللقمة عملا بقوله صلى الله عليه وسلم :"كل مما يليك".

4- لا يبادر الى الطعام قبل غيره.

5- لا يحدق النظر الى الطعام ولا الى من يأكل.

6- لا يسرع في الأكل ويجيد المضغ.

---

1 محمد منير مرسي: التربية الاسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، عالم الكتب ، القاهرة ، (د-ط) ، 1983 ، ص265.

2 المرجع السابق ، ص269.

7- لا يلطخ يده ولا ثوبه.

8- لا يذم اي طعام فإذا أعجبه أكله ، وإلا تركه من غير ذم فيه.

ويضيف الغزالي أيضا "ان يقبح عنده كثرة الأكل ويشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ، ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل ، وان يحبب اليه الإيثار بالطعام وقلة المبالاة والقناعة بالطعام الخشن"1.

ونحن نوافق الأستاذ محمد عطية الابراشي في قوله: "ان غرض الغزالي من هذه الآداب تعويد الطفل القناعة ، وترك الجشع والاكتفاء بالطعام الصحي الضروري للحياة"2.

ب) آداب اللباس: بدوره لباس الطفل حسب الغزالي له آداب ومنها ان يعود الوالد ولده على اللباس المحتشم الوقور ذو اللون الأبيض دون الملون ، ويحفظ عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة فيضيع عمره في طلبها ويعسر تقويمه بعد ذلك.

ج) آداب النوم: ينبغي على الوالد ان يمنع طفله عن النوم نهارا لأنه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ، وان يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضائه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التنعم ، بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم ، وأنا اتفق مع الغزالي في منع الصبي من النوم نهارا عملا بقوله تعالى: "وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا" 3 ، فالليل للراحة والنوم ليعوض ما فقده بسبب المجهود والعمل نهارا ، والنهار للجِدِّ والدراسة والعمل.

د) آداب اللعب والرياضة: بدوره الغزالي يوصي على اللعب والحركة والرياضة الم يقل:"ويعود الصبي في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه

---

1 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص94.

2 محمد عطية الابراشي: المرجع السابق ، ص256.

3 القران الكريم: سورة النبا آية رقم10-11.

الكسل" 1 ، فاللعب للطفل كالعمل للرجل والطفل الصحيح الجسم لا يستطيع ان يجلس ساكنا خمس دقائق ، فتراه ينقب في كل شيء تقع عليه عينيه ويقلبه وبعدها يضعه في فمه ؛ ويذهب علماء علم النفس الحديث الى الاعتقاد بان "هناك صلة كبيرة بين الجسم والعقل فما يؤثر في الجسم يؤثر في العقل ، وما يؤثر في العقل يؤثر في الجسم ، فلكي يقوم الإنسان بأعباء الحياة يجب عليه ان يكون قويا في جسمه سليما في بدنه"2.

انه نِعم الرأي لأنه يشجع على الرياضة البدنية للطفل والمشي والحركة فالطفل ينمو باللعب ، وحركته ونشاطه دليل على صحة عقله وسلامته ويُحيي قلبه ويقوي ذكاءه وبها يطيب عيشه ، لكن ان يكون لعب الطفل لعبا جميلا يسيرا غير شاق يقول الغزالي في ذلك: "وينبغي ان يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب ، فان منع الصبي من اللعب وإرهاقه بالتعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش"3.

إضافة الى ذلك ان "اللعب ينمي عقل الطفل ويوسع مداركه ويشغل حواسه وأحاسيسه ، وان توفير اللعبة المفيدة يرفع عنه الحرمان ويعينه على بر الوالدين ويدخل السرور في نفسه ، ويستجيب لميوله ويرضيه فينشا طفلا سويا" 4 ، أما إذا منع الصبي من اللعب فان "جسمه يتعب ويضعف نشاطه وينغص عليه عيشه فقد يؤدي الإرهاق الى الإعياء فتقل حيويته ويقل نشاطه الفكري" 5 ؛ لذلك ينبغي ان يعود الطفل على اللعب الجميل اليسير والحركة والرياضة ، فعن طريق اللعب يستطيع الطفل كما راى أيضا الأستاذ احمد عطا عمر: "ان يعبر عن الكثير من

---

1 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص94.

2 محمد عطية الابراشي: المرجع السابق ، ص254.

3 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص95.

4 جمال عبد الرحمن: أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين صلى الله عليه وسلم ، دار طيبة الخضراء ، مكة المكرمة ، ط7 ، 2004 ، ص66.

5 محمد عطية الابراشي: المرجع السابق ، ص255.

الطاقات الإبداعية وعن نفسه وحاله وان يقارن بين نفسه وغيره ، ويتخلص من التوتر والكبت الناتج عن القيود والمشاكل المتعددة"1.

2- تربية الطفل الخلقية:

أ) آداب الكلام: حدد الغزالي آداب الكلام في قوله "ويمنع كثرة الكلام ، ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وانه فعل أبناء اللئام ، ويمنع اليمين رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ، ويمنع ان يبتدئ بالكلام ويعود أيضا ان لا يتكلم إلا جوابا وبقدر السؤال ، وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر منه سنا ، وان يقوم لمن فوقه...ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ، ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك"2.

ب) صيانة الطفل من فعل الشيء خفية: وهنا ينبغي ان نعود الطفل الصراحة والشجاعة الم يقل: "وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه إلا وهو يعتقد انه قبيح ، فإذا ترك تعود فعل القبيح" 3 ، ليتعلم من ذلك ان يظهر ما يفعله لذلك "يجب ان نعوده الصدق والأمانة والإخلاص وعدم الالتواء في الفكر والقول والعمل ، بحيث يظهر ما في نفسه بغير لف أو اعوجاج ، وتكون أعماله متفقة مع أقواله فيستريح ضميره" 4 ويعلم ان كل شيء يفعل في الخفاء فهو قبيح فيبتعد عن العادات السيئة القبيحة والتي يصعب عليه التخلص منها.

ج) آداب المجالس: من الآداب التي يجب ان يتعلمها الطفل من صغره أدب المجالس يقول الغزالي: "ينبغي ان يعود الطفل ان لا يبصق في مجلسه ، ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ، ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ، ولا يعمد رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل"5.

---

1 عمر احمد عطا: تربية الطفل في الإسلام ، دار الفكر ، الأردن ، ط1 ، 2007 ، ص97.

2 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص95.

3 المصدر السابق ، ص94.

4 محمد عطية الابراشي: المرجع السابق ، ص243.

5 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص95.

د) تخويف الطفل من الرذائل: وهنا يجب ان يبتعد الطفل عن جميع الرذائل ، ومن الرذائل التي ركز عليها الغزالي والتي أكد تخويف الطفل منها كالسرقة واكل الحرام والخيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان ، ويحذر من الذهب والفضة أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب ، لان آفة حب الذهب والفضة حسب الغزالي من آفة السموم على الصبيان.

هـ) آداب الصحبة: إننا نوافق الغزالي في رأيه القائل "ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه لان الصبي مهما أهمل في بدء حياته خرج في الغالب رديء الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول...وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب وكمال التربية" 1 ؛ وهذا ما نراه واقعا عمليا في الحياة ، فالأطفال المترفين المنعمين المدللين اغلبهم يمتازون برداءة الخلق ، أما الأطفال الذين اعدوا للحياة بما فيها من شقاء وسعادة وبساطة اغلبهم يمتازون بحسن الخلق ، "ولهذا لا يسمح له أبدا ان بمخالطة الأطفال المدللين لأنهم لا يصلحون للحياة التي تنتظرهم لأنهم وجدوها سهلة ميسرة لهم كلها نعيم ورخاء واعتمدوا على ثروة آبائهم وأمهاتهم فناموا واستعذبوا النوم وصارت حياتهم كلها كسل وخمول"2.

كما ويجب ان يُعلم الطفل طاعة والديه ومعلمه وان يحترم من هو اكبر منه سنا من قريب له وأجنبي عنه ، وان يقوم ممن هو فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويحسن الاستماع اليه.

ان من يلاحظ هذه الآداب التي وضعها الغزالي والمتعلقة بالتربية الجسمية أو التربية الخلقية والتي تكون في السنوات الأولى للطفل سيكتشف مسكويهية الغزالي ، فقد سار على منوال ترتيبه للآراء وحافظ أيضا في كثير من المرات حتى على مصطلحات مسكويه.

---

1 المصدر السابق ، ص94.

2 محمد عطية الابراشي: المرجع السابق ، ص243.

ج-الترغيب والترهيب في تربية الطفل:

فطر الإنسان على الإحساس باللذة والألم ، فهو يميل الى كل ما يحقق له اللذة وينفر عن كل ما يسبب له الألم ، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الطفل وتوجيه سلوكه من خلال تذكيره بأفعاله الحميدة والسيئة، أو بتعبير آخر ترغيبه أو ترهيبه من الأفعال التي يقوم بها "فالقران الكريم والسنة النبوية يؤكدان أهمية هذا الجانب بما تضمنته من ترغيب وترهيب تستجيش قلب الإنسان نحو الخير وتوجهه له ، وتخوفه من الانحراف وتحذره منه" 1 ، وسنحاول ان نتعرف على الطرق التي استعملها حجة الإسلام في تربية الطفل.

1) طريقة الترغيب: وهو ان تشوق الطفل على حمل فعل معين أو اعتقاد وتصور وترك خلافه يقول الغزالي:"مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود ينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس ، فان خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه..." 2 ، فتذكره ان قام بفعل محمود وتجازيه عليه وترغبه بالقيام بهذا الفعل دائما على ان تعده بتحقيق منفعة مقابل ان يلتزم بطبيعة الحال بأداء هذا الفعل المحمود أو ان يبتعد على الفعل المذموم ، ان اثر هذه الطريقة يبرز "بحسب درجة المنفعة التي سوف تحققها للملتزم"3.

2) طريقة الترهيب: وهو ان تخوف الطفل على ترك فعل أو اعتقاد أو تصور بحكمة ، فلا تكثر عليه اللوم والعتاب والتوبيخ في نظر الغزالي "ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه ، وليكن الأب حافظا هيبة الكلام فلا يوبخه إلا أحيانا ، والأم تخوفه من الأب وتزجره عن القبائح"4.

وهنا ان تُذكر الطفل بوعيد العقوبة أو حرمان منفعة إذا لم يلتزم بما أُمر به أو نُهي عنه ، ويكون ذلك بحكمة حتى تثمر العظة ويبتعد عن القبيح ويعتاد الخلق

1 خالد بن حامد الحازمي: أصول التربية الاسلامية ، دار عالم الكتب ، السعودية ، ط1 ، 2000 ، ص392.

2 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص94.

3 خالد بن حامد الحازمي: المرجع السابق ، ص391.

4 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص94.

الكريم لأن الطفل "شديد الإحساس بطبيعته سريع التأثر ، ومن ثم وجب ان نعامله بلين ولطف وعطف ونجتهد في تفهيمه السبب في فعل هذا أو تجنب ذاك ، فلا نكتفي بالأوامر والنواهي مجردة عن أسبابها لان الطفل عنيد قد يفعل الشيء حيث تنهاه عنه وينتهي حيث تأمره ، لا يريد بذاك إلا ان يعرف ماذا تكون نتيجة مخالفته وعصيانه ولا يقصد إلا ان يظهر شخصيته"1.

إذن فالترغيب والترهيب ضروريان في التربية ويستمدان أهميتهما من عدة اعتبارات:

1- ان طريقة الترغيب والترهيب من أهم الأسس والركائز التربوية التي يقوم عليها المنهج الإسلامي لان القران الكريم والسنة مليئة بالآيات والأحاديث التي تأمر الإنسان بفعل عمل ما وتنهاه عن فعل آخر ، ومن آيات الترغيب قوله تعالى: "اِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا وَكَأْسًا دِهَاقًا لَا يَسْمَعُونَ فِيْهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ، جَزَاءً مِنْ رَبِّك عَطَاءً حِسَابًا" 2 ؛ وأما آيات الترهيب التي أعدها الله للطغاة فمنها قوله تعالى: "يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ اِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيم ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرى وَمَا هُمْ بِسُكَرى وَلَكِنَّ عَذَابَ الله شَدِيدٌ"3.

2- ان جبلية حب الخير وكره الشر للإنسان يدفعه للاستجابة للمؤثرات الترغيبية والترهيبية ، لان الترغيب والترهيب يقومان على الخوف والرجاء ، واعتبرهما الأستاذ محمد قطب (ولد عام1919م)"خطان متقابلان في النفس الإنسانية"4.

3- ان طريقة الترغيب والترهيب طريقة وقائية تربوية تقوم على جانب التخويف من المخالفة كما رأينا ، مما يجعل لها اكبر الأثر في العملية التربوية.

---

1 محمد عطية الابراشي: المرجع السابق ، ص246.

2 القران الكريم: سورة النبأ ، اية رقم33-36.

3 القران الكريم: سورة الحج ، اية رقم1-2.

4 خالد بن حامد الحازمي: المرجع السابق ، ص392.

3-تربية الطفل في البيئة التعليمية:

التربية والتعليم كلمتان تنتميان الى فئة الكلام الغامض حسب الفيلسوف التحليلي فيتجنشتين (Wittgenstein) "فبينهما تداخل في المعاني ، وفي الاستعمال الى الدرجة التي لا يبدو ان هناك قولا فاصلا يوضح لنا أين ينتهي التعليم ، ومن أين تبدأ المدرسة"1.

لكن وحسب رتشموند (Richmond) الذي يرى "انه من الخطأ التسليم بهذا التداخل والتشابه الكبير بين هاتين الكلمتين ، كما انه من الخطأ ان تفقد الأمل في تحديد تعريف لكل منهما يميز بينهما ، ولعل هذا التمييز يضع حلا لما يحيط بهما من مشكلات سواء ما يتعلق بالفهم والتطبيق أو هما معا"2.

ان التعليم المدرسي عملية ملموسة تنظمها مؤسسات لها مظاهرها الواضحة والدالة عليها ، بينما التربية على العكس من ذلك فهي تكاد ان تكون خفية وغير ملموسة وتظهر آثارها في السلوك والقيم والاتجاهات ، فالتمييز بينهما يجعل عمليتي التعليم المدرسي والتربية متكاملتين ويزيل اللبس والخلط بينهما أحيانا.

أما عند الغزالي فالشيء مختلف فهو "يركز على الجانب العملي من التعلم والتعليم ، ويشن حملة شعواء على من يتصور إمكان الاكتفاء بالعلم النظري المجرد" 3 فالعلم والعمل هما وسيلتا السعادة لان العلم بلا عمل جنون والعمل بلا علم لا يكون كما قال في احد كتبه ، وأكثر من ذلك ما أكده الفقهاء ان القول ان خالف العمل بذر بذور النفاق في القلب والعياذ بالله ، وهذا ما أثبته الغزالي بقوله: "ان على من يتصدى لتعليم غيره وإصلاحه ان يبدأ بتعليم نفسه وإصلاحها ، ولا يشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عليه بحسب ما تقتضيه حاله" 4 ، وهذا الرأي يشبه الى حد بعيد رأي الفيلسوف اليوناني سقراط.

---

1 محمد عبد الرحمن عبد الراضي ابراهيم: دراسات في فلسفة التربية المعاصرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، 2002 ، ص45.

2 المرجع السابق، ص45.

3 سعيد إسماعيل علي: الأصول الفلسفية للتربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، 2000 ، ص187.

4 ابو حامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد ، دار الأمانة ، بيروت ، ط1 ، 1969 ، ص10.

انه يؤكد على الاشتغال بالتعليم ويعلي من قدر أصحابه ويعظم من شان وخطر المسؤولية "فمن علم وعمل بما علم فهو الذي يدعي عظيما في ملكوت السموات فانه كالشمس تضيء لغيرها ، ومن اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما ، فهو متصرف في قلوب البشر ونفوسهم وممارس لأشرف الصناعات بعد النبوة" [1] ؛ وللتوضيح أكثر حددت ثلاثة عناصر في هذا المطلب.

1-دور المعلم ووظائفه:

أ) دور المعلم: المعلم عند الغزالي هو:"المخول بإزالة الاخلاق السيئة واستبدالها بأخلاق حميدة ليضع المتعلم على طريق الخلاص المؤدية الى الله سبحانه وتعالى" [2] ، وهو ينظر للمعلمين والعلماء أنهم خلفاء للأنبياء ويا لها من رتبة لأنه من المعلوم ان لا رتبة فوق النبوة ، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة لان العلماء يرشدون البشر ويهدونهم لما فيه خيرهم في الآخرة الم يقل الغزالي:"ان اشرف مخلوق على الأرض هو الإنسان وان اشرف شيء في الإنسان قلبه ، والمعلم مشتغل بتكميله وتطهيره وسياقه الى القرب من الله عز وجل"3.

فالمعلم يستمد مكانته وأهميته من تأثيره على تلاميذه ، وهو ما يؤثر تأثيرا كبيرا في نفوس الصبيان فهو قدوتهم يتأثرون به وبشخصيته ، ودور المعلم هو "دور الوسيط بين الأجيال ودور ناقل الثقافة وشارحها ومفسرها ، وهو رسول المعرفة وباني البشر وفي كل هذه الأدوار يعتمد على ما لديه من إمكانيات تؤهله للقيام بهذه الأدوار"4 ، ولا يكون ذلك إلا بامتلاء كيسه أو ذو بضاعة لأنه وكما يقال فاقد الشيء لا يعطيه.

ب) وظائف المعلم: ان الغزالي وصى المعلم بعدة أمور ووظائف هي:

---

1 محمد منير مرسي: المرجع السابق ، ص176.

2 عبد الأمير شمس الدين: موسوعة التربية والتعليم الاسلامية ـ الفكر التربوي عند الغزالي ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، ط1 ، 1990 ، ص52.

3 محمد منير مرسي: المرجع السابق ، ص176.

4 المرجع السابق ، ص179.

1- الشفقة على المتعلمين: على المعلم ان يشفق على المتعلمين ، انه بمنزلة الوالد لذلك فان قصد المعلم إنقاذ المتعلمين من نار الآخرة أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ، من هنا يمكننا ان نقول ان الأب سبب الوجود في الحياة الزائلة ، أما المعلم فسبب الوجود في الحياة الباقية الدائمة ، لهذا فمكانته عند الغزالي ارفع من مكانة الأب وأعظم ، لذا عليه ان يتحلى بالشفقة والعطف والحنان.

2- ان لا يطلب المال وأغراض الدنيا بالعلم: وهنا ان يقتدي المعلم بصاحب الشرع فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ولا جزاءا ولا شكورا ، بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب اليه ، ومن هذا الكلام يبدوا ان هناك معلمون يحصلون على اجر بالفعل نظير قيامهم بتعليم الصبيان ، وهؤلاء لا يتفق معهم الغزالي ولعله هنا متأثر بآراء أفلاطون "والذي آمن بنفس الرأي وعاب على السوفسطائيين في عصره أنهم يأخذون أجرا على التعليم"1.

3- ألا يدخر في نصح المتعلم وتوجيهه شيئا: يجب على المعلم إسداء النصح والإرشاد للمتعلم كلما اقتضت الحاجة وذلك باختيار العلم المناسب للطالب ومنعه من التنصيب للمراكز غير المهيأ لها ، كما ويوصي المعلم بالا يسقط بعض البواعث لطالب العلم كالجاه مثلا "فكما ان الشهوة سبب لبقاء النسل فان الجاه قد يكون سببا لإحياء العلوم"2.

4- ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما أمكن: يجب على المعلم هنا إتباع الأساليب الملائمة بنفسية المتعلم لتوجيهه وإرشاده ويكون ذلك بطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ وبطريق التعريض لا بطريق التصريح "لان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار"3.

---

1 محمد منير مرسي: المرجع السابق ، ص273.

2 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص86.

3 المصدر السابق ، ص87.

5- عدم تقبيح العلم في نفس المتعلم: ان من يتولى تدريس علم لا ينبغي له ان يقبح في نفس المتعلم العلم الذي ليس بين يديه كمن يقبح العلوم العقلية وهو يدرس الفقه ، بل على المعلم ان ينبه على قدر العلم الذي فوقه ليشتغل به عند استكمال ما هو بصدده ، أو بتعبير آخر ينبغي ان يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة.

6- ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه: يجب على المعلم ان لا يلقي للمتعلم ما لا يبلغه عقله ، بل يقتصر على قدر فهم المتعلم وذلك اقتداء بسيد البشر واستنادا الى القول "كِلْ لِكُلِّ عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار" 1 ، لذلك فالمعلم واجب عليه ان يراعي التدرج من الجلي الى الخفي لأنِّ حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى ، وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق.

7- ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللائق به: وذلك حتى لا يفتر رأيه فيما يتعلمه ولا يشوش عليه قلبه لان المتعلم ينظر الى اكتمال فهمه وعقله وانه قادر على استيعاب كل ما يلقى ويعرض عليه "فما من احد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله ، وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله"2.

8- ان يكون المعلم عاملا بعلمه: يجب على المعلم لن لا يكذب قوله فعله لان العلم يدرك بالبصائر ، وهنا تتجلى ضرورة ان يكون المعلم قدوة للمتعلم مما استحسن فهو عندهم الحسن وما استقبح فهو عندهم القبيح "ومثال المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود ، فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود اعوج" 3 ، ان الغزالي يقصد من كلامه هذا ان يكون المعلم عاملا بعلمه.

---

1 المصدر السابق ، ص88.

2 المصدر السابق ، ص ص88-89

3 المصدر السابق ، ص89.

وبالرغم من انغماس الغزالي في جو الصوفية وآرائه المثالية التي لا تتفق مع الواقع عن شؤون التربية والتعليم فانه ذكر "بعض المبادئ في التعليم تعتبر من اسمى ما وصل اليه علماء التربية ، وأهمها الترابط بين العلوم والبدء بالأهم وبالواضح قبل الغامض ، وبالأسبق في الترتيب"1.

وماذا عن دور المتعلم؟ ، وكيف يؤدي مهمته وهو يتلقى التربية من أهله ومعلميه ليكون عضوا صالحا في مجتمعه؟ وكيف يتصرف وماذا ينتظر منه؟.

2-دور المتعلم ووظائفه:

ان الطفل الذي يحدثنا عنه الغزالي ليس ذلك الصبي الذي لا يعي ولا يدرك وإنما ذلك "الطالب البالغ الراشد الذي أصبح مسؤولا عن بعض الواجبات الدينية التي لا تقع عليه موقع فرض العين ، انه ذلك الإنسان الذي أصبح قادرا على اختيار الطريق ومدركا لما هو محمود ووجب عليه السعي لذلك والجد في طلبه ، كما انه ذلك الذي لا يعي ما هو مذموم ليتركه ويطهر منه نفسه..."2.

من هنا نستطيع ان نحدد الآداب والوظائف التي وضعها الغزالي للمتعلم. فما هي يا ترى تلك الآداب والشروط التي يشترطها الغزالي في المتعلم؟.

1- طهارة النفس من الاخلاق الرديئة: العلم عبادة لا تصح إلا بطهارة القلب على خبائث الاخلاق وأنجاس الصفات وهو "عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله"3 ، ونور العلم الحقيقي يحسن الاخلاق وكما ان الصلاة تفترض طهارة الجوارح فان العلم يفترض طهارة القلب "والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم ، والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة فأنّى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ، ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة"4.

---

1 أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام ، المرجع السابق ، ص209.

2 عبد الأمير شمس الدين: المرجع السابق ، ص44.

3 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص75.

4 المصدر السابق ، نفس الصفحة.

2- ان يقلل المتعلم علائقه من الاشتغال بالدنيا: العلائق صارفة وشاغلة للقلوب فالعلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ، والفكرة إذا توزعت على أمور شانها شان جدول ماء نشفه الهواء على الأرض ، لذلك فالقلوب والنفوس إذا اشتغلت بغير العلم ضاع جهدها ولم يتحقق هدفها.

3- ان لا يتكبر على العلم ولا يتآمر على المعلم: يجب على المتعلم ان يذعن للمعلم إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق "لأنّ العلم لا ينال إلا بالتواضع وإلقاء السمع ، وجاء في قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} 1 ؛ فالمتعلم كما رآه الغزالي "يجب ان يكون على درجة من التواضع والأدب مع معلمه ليكون له الثواب والشرف في خدمته"2.

4- ان يحترز الخائض في العلم في مبدأ الأمر عن الإصغاء الى اختلاف الناس: لا ينبغي للمتعلم ان يخوض منذ البداية في الاختلاف الواقع بين الفرق والشبه المحيرة التي تؤدي به الى التشكيك في معلمه ، وينتج عن ذلك "ما يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ، ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع" 3 ، وفي ذلك يطلب الغزالي من المتعلم ان يسير أولا الطريق الحميدة الواحدة المرضية لدى معلمه أو بمعنى آخر الأصول ، ثم بعد ذلك الخوض في تعريف الشبه وتعقبها.

5- تنوع العلوم والمعارف المحمودة: للمتعلم ان لا يدع فنا من فنون العلم ونوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به على غايته ومقصده طريقه ، لان العلوم متعاونة بعضها مرتبط ببعض ثم ان أدام الله البقاء واتته الأسباب طلب التبحر فيها.فلا ينبغي ان يستهين بشيء من أنواع العلوم ، بل ينبغي ان يحصل كل علم ويعطيه حقه ومرتبته.

---

1 القران الكريم: سورة ق ، آية رقم37.

2 عبد الأمير شمس الدين: المرجع السابق ، ص45.

3 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الأول ، المصدر السابق ، ص78.

6- مراعاة الترتيب والتدرج في طلب العلم: يجب على المتعلم "ان لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة واحدة ، بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالأهم لان العمر لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان يأخذ من كل شيء أحسنه"1.

7- ان لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله: يرى الغزالي "ان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا وبعضها طريق الى بعض ، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج" 2 ، ويدعم الغزالي رأيه بقوله سبحانه وتعالى :{ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦ}3.

8- ان يعرف السبب الذي به يدرك اشرف العلوم: وضع الغزالي للمتعلم شيئين أو مقياسين ليدرك شرف العلم احدهما بشرف ثمرته والآخر بقوة دليله مثلا: علم الدين وعلم الطب ، أما علم الدين فثمرته الحياة الأبدية ، وعلم الطب ثمرته الحياة الفانية ، إذن فالأول اشرف من الثاني.

9- معرفة أنواع العلوم بصورة مختصرة: على المتعلم ان يتعرف على أنواع العلوم بصورة إجمالية وهي ثلاثة: علم يتعلق باللفظ من حيث يدل على المعنى كعلم اللغة والنحو والاشتقاق والإعراب ، وعلم يدل أو يتعلق بالمعنى من حيث يدل على اللفظ كعلم الجدل والمناظرة والبرهان والخطابة.

9- ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة: إذا كان الهدف من التعلم هو ابتغاء حسن المال فان ذلك لا يكون إلا بتطهير النفس والتحلي بالفضائل والأخلاق الحميدة "فيكون على الطالب قبل كل شيء الاهتمام بباطنه الذي هو أساس العمل واصله ، وذلك بان يكون غرضه من التعلم حسن المال بالآخرة لا هدفا دنيويا كتحصيل المال أو الجاه"4.

---

1 المصدر السابق ، ص79.

2 المصدر السابق ، ص80.

3 القران الكريم: سورة البقرة ، اية رقم121.

4 عبد الأمير شمس الدين: المرجع السابق ، ص47.

10- ان يعلم نسبة العلوم الى المقصد: على المتعلم ان يدرك مقصده ويختار العلم الذي يؤدي الى هذا المقصد "كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ، ومعنى المهم ما يهمك ولا يهم كالا شانك في الدنيا والآخرة"1.

وهناك آداب أخرى ذكرها الغزالي يجب ان يتحلى بها طالب العلم مع معلمه ومع نفسه "كالاحترام الظاهر والباطن لمعلمه ويكون ذلك بالابتعاد عن مجادلته ومحاجته ، ويتفرغ فكرا وقلبا لمعلمه متى كان في حضرته وان يعمل الطالب كل ما يأمر به المعلم قدر الوسع والطاقة ، وعليه ان يقتنع في الداخل بما اقتنع به في الظاهر وإلا كان نفاقا ، كما عليه ان يحرز نفسه من معاشرة أصحاب السوء"2.

3-المواد العلمية في نظر الغزالي:

ان المادة العلمية التي وضعها الغزالي للطفل لا تختلف كثيرا عن المواد التي وضعها مسكويه وتتجلى في قوله "ان يشتغل الصبي في المكتب فيتعلم القران وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويمنع من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ أيضا من مخالطة الأدباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع ، فان ذلك يغرس في نفوس الصبيان بذر الفساد"3.

ورَأيُ الغزالي وحسب الأستاذ محمد عطية الابراشي لا عيب فيه "ان يذهب الصبي الى المكتب حينما يبلغ السادسة من العمر فيبدأ بتعلم الهجاء والمطالعة فإذا استطاع الكتابة والقراءة اخذ يتعلم القران الكريم بان يكتب كل يوم قطعة منه ويحفظها جيدا وفي الوقت الذي يحفظ فيه القران يدرس أحاديث الأخيار كأحاديث رسول الله صلى الله غليه وسلم وأقوال الخلفاء الراشدين وتاريخ الصالحين وأحوالهم

1 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الأول ، المصدر السابق ، ص81.

2 عبد الأمير شمس الدين: المرجع السابق ، ص48.

3 ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص94.

كي يغرس في نفسه حب الصلاح والتقوى وتبث في قلبه الفضيلة والأخلاق الكريمة بالقدوة الحسنة"1.

كذلك وطالب الغزالي ان يحفظ الصبي الشعر النافع ويبتعد عن شعر العشق والعاشقين وأهله ، وهذا ما طالب به أيضا مسكويه لان هذا النوع من الشعر اي شعر العشق يؤثر في نفوس الصبيان ويغرس في القلوب بذور الفساد والانحلال.

نعم ان الغزالي اعتبر الطفل جوهرة نفيسة وجزء من النفس وأمانة تترتب عليها مسؤولية ، وتربية ذلك الطفل قضية وجود أو عدم بالنسبة للإنسان في هذا الوجود ، وجاءت رؤيته لتربية الطفل رؤية نفسية أخلاقية واقعية.

ان الغزالي ومن خلال قراءتنا وتحليلنا لأفكاره التربوية اتضح وبان لنا التأثر الشديد بمسكويه ، وفي بعض الأحيان وجدناه ينقل بعض الأفكار من غير ان ينوه بالكتاب الذي اخذ منه ، وفي هذا يقول الأستاذ احمد فؤاد الأهواني: "ان الغزالي في الفصل الخاص برياضة الصبيان نقل ما ذكره مسكويه في كتاب تهذيب الاخلاق نقلا عن برسن ، وذلك بنفس الترتيب في الآراء وبألفاظه في أكثر المواضع...ووضع أغراضا جديدة تتلائم مع مذهبه في التصوف"2.

وفي هذا أيضا رأى الأستاذ زكي مبارك: "ان الغزالي نقل بعض الفقرات عن مسكويه نقلا يشبه ان يكون حرفيا من غير ان ينوه بالكتاب الذي نقل عنه وما ادري أكان ذلك مقصودا ولكنه على كل حال دليل على تأثر الغزالي بمؤلفات مسكويه" 3 ، ويجدر بنا ان نؤكد ونصرح ان مسكويه من الفلاسفة الذين انتفع الغزالي بآرائهم وخاصة في التربية والأخلاق ، لكن ولا غرابة ان نجد أفكاره التربوية والأخلاقية مصبوغة بصبغة صوفية إذ ان فلسفته كانت صورة من حياته ، وهذا هو المأخذ العام على هذه الرؤية التربوية التي قدمها الإمام الغزالي إذ انه أراد طفلا خاضعا مستسلما زاهدا متقشفا ، والإسلام يريد طفلا قويا طموحا يقتحم ويواجه ويستجيب

---

1 محمد عطية الابراشي: المرجع السابق ، ص244.

2 احمد فؤاد الأهواني: المرجع السابق ، ص207.

3 زكي مبارك: الاخلاق عند الغزالي ، المرجع السابق ، ص80.

لمتغيرات واقعنا المعاصر والانصهار في بوتقته أيضا والانبهار بتحولاته التكنولوجية والإعلامية.

الخـــــاتمة

الخاتمة:

وفي ختام دراستنا لفلسفة التهذيب والتربية عند مسكويه يمكننا ان نقرر ان مسكويه في مناقشته للقضايا الأخلاقية والتربوية كان هو الرائد والسباق الى تناول هذه المواضيع من بين أقرانه من الفلاسفة الإسلاميين ، إذ انه ورغم ان هناك فلاسفة مسلمين سبقوه الى الاحتكاك بالفلسفة اليونانية القديمة وسبقوه أيضا الى دراسة علم الاخلاق ، إلا ان وصفنا له بالريادة والسبق ناتج عن آلية تعاطيه مع الفلسفة اليونانية وموضوع الاخلاق والتربية "وقد نقل عن ذلك الكثير من الآراء والترجمات بطريقة منهجية وعلمية ، حيث لم يكن مرددا لهذه الآراء بدون تعليق أو تحليل وإنما كان مدللا على صدقها وشارحا لها كلما اعتقد في صحة مقدماتها ونتائجها أو مبينا أوجه الضعف والقصور فيها"1.

ولعل هذا ما أهل مسكويه لأن يتبوأ منزلة المعلم الثالث ويصبح هو العَلَم في مجال صناعة الاخلاق والتربية حتى وكأنه هو الوحيد.

وبشكل ملفت للنظر يتميز به مسكويه أيضا عن غيره من الفلاسفة اتضح لنا اثر المبادئ الدينية في فلسفته وفكره ، وهذا بدليل محاولة جمعه بين الفلسفة والشريعة بشكل لم يماثله فيه إلا ابن رشد من بعده ، فهو يتصور ان الخلق ليس منفصلا عن الخالق فالفضائل أصبحت مرتبطة بهدف الخالق من المخلوق ، والشريعة كما اعتبرها "هي التي تقوم الأحداث وتعودهم الأفعال النبيلة ، وتعد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل وبلوغ السعادة الإنسانية بالفكر الصحيح والصراط المستقيم" 2. وهذا الربط بين الشريعة وبلوغ الحكمة هو الذي اكسب مسكويه التميز في المنهج والتفرد في الطرح.

وتبعا لذلك نجد ان مسكويه كانت له نظرة ثنائية في كتابه تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، الأولى دارت حول كيفية تهذيب الاخلاق ومستلزمات صناعتها والثانية بحثت كيفية المحافظة على هذه الاخلاق إذا ما تم تهذيبها ، وهي إشارة الى

---

1 ابو بكر ابراهيم التلوع: المرجع السابق ، ص128.

2 ابو علي مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق: ص33.

ان واجب المتخلق ليس فقط اكتساب الفضيلة بل العمل على المحافظة عليها إذ انه كما اكتسبها يمكن ان يفقدها ولا يتم ذلك إلا لأهل العقل والحكمة ، ولهذا نراه يستشهد بفلاسفة اليونان خاصة أفلاطون وأرسطو وكأن كتابه موجه الى الفلاسفة لا الى عامة الناس ، ثم يعود فيقرن ما استقاه من آراء فلاسفة اليونان بتعاليم الدين الإسلامي وكأنه يوجه كلامه الى عامة الناس لا الى الفلاسفة.

وكل هذه المعطيات مجتمعة جعلت من الكتاب محل البحث درة نفيسة بسطت ما كان مجملا وقربت ما كان بعيدا ، وجمعت ما كان متفرقا في كتب الأولين حول أرائهم في النفس وقواها وماهيتها وأفعالها فالنفس واحدة ولها قوى كثيرة بل هي واحدة بالذات كثيرة بالعرض والموضوع وليس هذا الأهم ، بل العلم بقابلية النفوس للأدب ومدى اتصافها بها ، كما بحث في الخلق وتقويمه ومراتب الناس في قبوله مستندا في ذلك الى كتب الفلاسفة الأقدمين لكن في أسلوب تهذيبي فلسفي ذو قيمة تربوية عالية ترتاح اليه النفس ويقتنع العقل بأكثر مواده.

فقد أجاد في تحليل الفضيلة والسعادة وبحث في العدالة وأقسامها والمحبة وضروبها وآداب الصداقة وأمراض النفوس وعلاجها وغير ذلك مما يدل على صدق النظر وسداد الرأي ، كما ركز على حب الناس بعضهم لبعض فجعله واجبا لأنهم أعضاء في بدن واحد ، وقوام الإنسان بتمام أعضاء بدنه فكل منها يتمم الآخر ، كما ربط بين الاخلاق السيئة والأمراض النفسية كالخوف والحزن والغضب ، فلم يبق من صور الطباع وأحوال النفس صورة إلا درسها ولا حالة إلا حللها حتى غدت طباعنا مبسوطة واضحة بعد ان كانت مركبة معقدة.

كما تعرض مسكويه الى قضية هامة تتعلق بما سماه التأديب وهو القابلية للأدب والتعلم والتطور والتدرج مما جعل بعض البهائم حسب مسكويه اشرف من بعض وذلك لقبولها التأديب ، وهذا ما أدى بنا للحديث عن فكر مسكويه التربوي وهو الذي رأى أهمية تربية الطفل وطالب بضرورة وضع المناهج المتنوعة له ، لان المناهج تلعب دورا كبيرا في التأثير في شخصية المتعلم "فمن اتفق له في الصبا ان يربى على أدب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها ثم ينظر بعد ذلك في كتب الاخلاق حتى تتأكد تلك الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين ، ثم ينظر في

الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان فلا يسكن إلا إليها ، ثم يتدرج حتى يبلغ الى أقصى مرتبة الإنسان فهو السعيد الكامل" [1] ، فطور التربية عند مسكويه يبدأ من الصبا وموضوعها آداب الشريعة والعادة لحمة بين الصبي وآداب الشريعة ، إلا انها لا تستغني عن النظر العقلي والأخذ بالبراهين في ذلك ولتمام السعادة وبلوغ أقصى مراتب الإنسان لابد مع العادة والبرهان من ارتياح نفسي يتأتى من الاقتناع بصدق القول وصحة البرهان وهو الطريق الى التهذيب التام والسعادة الكاملة.

وعلى اعتبار ان مشروع التربية والتهذيب يبدأ من مرحلة الصبا فان مسكويه يقدم مشروعا تربويا متكاملا في تأديب الأحداث والصبيان فيخصص له فصلا يقر انه منقول من بروسن اليوناني ، وهذا وجه آخر من وجوه عظمة مسكويه وشكل من أشكال أمانته العلمية التي لم تمنعه من ان ينسب الفضل الى أهله ، إلا ان هذا المشروع التربوي ذاته يظهر مجددا في أفكار الغزالي من خلال كتابه إحياء علوم الدين ولكن هذه المرة دون ان يرجع صاحب الإحياء الفضل لأهله أو يقر بأنها من أفكار مسكويه ، وبالعودة الى مشروع مسكويه التربوي نجده يقوم على ان النفس مستعدة للتأديب ويجب ألا تهمل ، كما وضع أيضا آدابا مختلفة للطفل يجب ان يتلقنها وكشف عن أهمية الاخلاق وحسن التعامل مع المعلم وأهمية اللعب والاستراحة في بعض الأوقات وقرن السعادة بالتربية ، كما أوضح ان الإنسان في ابتداء تكوينه محتاج الى سياسة الوالدين ثم الى الشريعة الإلهية والدين القيم حتى تهديه وتقوده الى الحكمة البالغة ليتولى تدبير نفسه الى آخر عمره.

وهذه هي أهمية الإجابة عن سؤالنا الوارد في إشكالية البحث والذي يتساءل عن الفائدة من دراسة المشروع المسكويهي إذ يمكننا ان نقول بدون ريب ان مشروعا متكاملا مثل الذي يعرضه علينا مسكويه سواء اتفقنا معه أو لم نتفق معه هو ضرب مما يحتاجه علماء التربية والمختصون في مجال التهذيب ، فشموله وتكامله يرشحه لان يكون منهاجا لتنشئة الأحداث أو على الأقل مادة أولية نستخلص منها ذلك المنهاج وهذا ما يجعل من أفاق هذا الموضوع أفاقا رحبة واسعة من خلال تناول

---

1 ابو علي محمد مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، ص ص41 42.

مشروع مسكويه التربوي بالدراسة والتحليل والتنقيح ، ولما لا استخلاص منهاج تربوي يصلح في زمننا المعاصر.

ولقد كان لهذا الفكر الأخلاقي والتربوي اثر كبير على من جاء بعد مسكويه فتأثروا به تأثرا واضحا حتى وان نسبوه الى ذواتهم في بعض الأحيان ولم يقروا له بفضل السبق فيه ، ولكن لا شك أنهم قد اطلعوا على أفكاره واستفادوا منها كثيرا بل كانوا عليه عالة في بعض المواقف.

وأيا كانت النتائج التي يمكن ان تخلص إليها هذه المذكرة فان أهمها هو ان مسكويه عمل على نقل الإنسان من أدنى المراتب الى أعلاها ومن أنقصها الى أكملها وربط بين هذا الارتقاء وبين القابلية للتهذيب والتأديب والتقويم وكلها مصطلحات تصب في دائرة التربية ، ومادامت قابلية التهذيب قائمة عند الإنسان فان قابلية الارتقاء عنده تبقى قائمة كذلك.

وخلاصة القول ان مسكويه شغلته قضية عامة وهي إقامة مجتمع يتحلى بالقيم التربوية والأخلاقية وهو ما نأمل ان تكون هذه الرسالة قد ساهمت في تحقيقه كذلك ، إلا ان إقرارنا بعجزها وقصورها عن الإحاطة بفلسفة التهذيب والتربية المسكويهية من جميع جوانبها لا يقلل من شانها البتة ، في حين انه يرفع من شان مشروع مسكويه التربوي من جهة ويفتح أمامنا أفاقا رحبة للبحث الأكاديمي من جهة أخرى ، وهو ما يمكن ان يتجسد في أطروحة لتحضير شهادة الدكتوراه تكمل ما قصرت مذكرة الماجستير بلوغه وتوضح ما عجزت عن توضيحه وتتمم ما بدأته ولم تكمله.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1- القران الكريم.

2- السنة النبوية المطهرة.

المصادر

1 -إبن عدي يحي ، تهذيب الأخلاق ، تحقيق ناجي التكريتي ، بيروت ، دار عويدات 1978**.**

2 -أبو علي محمد مسكويه: تجارب الأمم ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، (ج 2) ، (د– ط) ، 1915

3 -أبو علي محمد مسكويه ، تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، تحقيق وشرح: نواف الجراح ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 2006.

4 -أبو علي محمد مسكويه ، الفوز الأصغر، طبع في بيروت ، (د-ت).

5 -أبو علي محمد مسكويه والتوحيدي ، الهوامل والشوامل ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، (د - ط - ت).

6 -أرسطو ، علم الاخلاق إلى نيقوماخوس ، ترجمه من اليونانية الى الفرنسية: بارتلمي سانتهلير ، تع: احمد لطفي السيد ، دار صادر ، القاهرة , الجزء الأول ، (دط) ،1924.

7 -الغزالي ابو حامد ، إحياء علوم الدين ، تحقيق: د- عبدالله الخالدي ، المجلد الأول ، شركة دار الأرقم بن ابي الأرقم ، بيروت – لبنان ، (د-ط) ، (د-ت).

8 -الغزالي أبو حامد ، ميزان العمل ، تحقيق: سليمان دنيا ، دار المعارف بمصر ، ط 1 ، 1964.

9 -الغزالي أبو حامد ، الاقتصاد في الاعتقاد ، دار الأمانة ، بيروت ، ط1 ، 1969.

10 - الفارابي ابو نصر ، أراء أهل المدينة الفاضلة ، تحقيق: البير نصرى نادر ، دار المشرق ، بيروت ، ط4 ، 1973.

المراجع

1 -الأبراشي محمد عطية: التربية الاسلامية وفلاسفتها ، دار الفكر العربي ، ط 3 ، (د-ت).

2 -ابراهيم وسيم: نظرية الاخلاق والتصوف عند ابي حيان التوحيدي ، دار دمشق ، ط1 ، 1994.

3 -ابن ابي اصبيعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق: نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط1 ، 1965.

4 -ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، المجلد الثامن ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، (د-ط) ، 1966.

5 -ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، الجزء الأول ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1938.

6 -ابن النديم ، الفهرست ، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس ، (د-ط) ،(د-ت).

7 -ابو ريان محمد علي: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ، (د-ط) ، 2008.

8 -ابو الفتوح احمد هالة: فلسفة الاخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفشيوس ، دار قباء عبده غريب ، القاهرة ، (د-ط) ، 2000.

9 -اركون محمد: نزعة الانسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي ، تع: هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت- لبنان ، ط1، 1997.

10 -إسماعيل علي سعيد ، الأصول الفلسفية للتربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، 2000.

11 -أمين أحمد ، ظهر الإسلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1، 2004.

12 -أمين أحمد ، الأخلاق ، القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،1998.

13 -أمين أحمد و زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة اليونانية ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط2 ، 1935.

14 -اندريه كرسون: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ، ت: عبد الحليم محمود وأبو بكر زكرى ، دار الشعب ، القاهرة ، 1952.

15 -الأندلسي أحمد بن محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ، تحقيق: د- عبد المجيد الرحيني ، المجلد الثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د-ط) ، (د-ت).

16 -الأهواني احمد فؤاد ، التربية في الإسلام ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ط2 ، 1975.

17 -بدران شبل: رواد الفكر التربوي ، دار المعارف الجامعية ، الإسكندرية ، ط 1 ، 2001.

18 -بدوي السيد محمد ، الاخلاق بين الفلسفة و علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، (د-ط) ، 2000.

19 -بريستيد جيمس هنري: فجر الضمير ، تع: د- سليم حسن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، (د-ط) ، (د-ت).

20 -البغدادي محمد رضا: تاريخ العلوم وفلسفة التربية العلمية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، 2003

21 -البغدادي محمود شكري الالوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، الجزء الأول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د-ط) ، (د-ت).

22 -بوملحم علي: الفلسفة العربية مشكلات وحلول ، مؤسسة عز الدين ، بيروت ، ط1 ، 1994.

23 -التكريتي ناجي: الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام ، دار الأندلس ، بيروت ، ط2 ، 1982.

24 -التلوع أبو بكر ابراهيم ، الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي ، قان يونس ، بنغازي ، (د-ط) ، 1995.

25 -التوحيدي ابو حيان ، الامتاع والمؤانسة ، تصحيح: احمد أمين ، الجزء الثاني ، دار مكتبة الحياة ، (د-ط) ، (د-ت).

26 -التوحيدي ابو حيان ، مثالب الوزيرين أخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد تحقيق: ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، دمشق ، (د-ط) ، 1961.

27 -توماس هنري: أعلام الفلاسفة ، ت: متري أمين ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، (د-ط) ، 1946.

28 - الثعالبي ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق: محمد مفيد قميحة ، الجزء الثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2000.

29 -الجابري محمد عابد: العقل الأخلاقي العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 2001.

30 -جمال عبد الرحمن: أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين صلى الله عليه وسلم ، دار طيبة الخضراء ، مكة المكرمة ، ط7 ، 2004.

31 -جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الثاني ، موفم للنشر ، الجزائر ، (د-ط) ، 1993.

32 - الحارثي عز الدين الحسين بن عبد الصمد: نور الحقيقة ونور الحديقة في علم الاخلاق ، مؤسسة النور للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1987.

33 -الحازمي خالد بن حامد: أصول التربية الاسلامية ، دار عالم الكتب ، السعودية ، ط1 ، 2000.

34 -حرب حسين: الفكر اليوناني قبل أفلاطون ، دار الفارابي ، بيروت ، ط 1 ، 1989.

35 -حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، الجزء الثالث ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط5 ، (د-ت).

36 -حسني عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص ، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر ، ط1 ، 2007.

37 -حلمي مصطفى: الاخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام , دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004.

38 -حلمي مصطفى: مناهج البحث في العلوم الإنسانية بين علماء الإسلام وفلاسفة الغرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2005.

39 -خاتمي محمد: الدين والفكر في فخ الاستبداد ، دراسة في الفكر السياسي للمسلمين بين ازدهار الحضارة الاسلامية وانهيارها ، تع: ثريا محمد علي ، مكتبة الشروق ، القاهرة ، ط1 ، 2001.

40 -خضر سناء: النظرية الخلقية عند ابي العلاء المعري ، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، (د-ط) ، 1999.

41 -دراز محمد عبد الله: مختصر دستور الاخلاق في القران ، دار الدعوة ، ط 1 ، 1997.

42 -دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام ، تع: محمد عبد الهادي ابو ريدة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط5 ، (د-ت).

43 -ديورانت ول: قصة الفلسفة ، ت: فتح الله المشعشع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط4 ،1982.

44 -الديوه جي سعيد: ابن مسكويه ، من أعلام التربية العربية الاسلامية ، المجلد الثاني ، مكتبة التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، (د-ط) ، 1988.

45 -الرازي أبو بكر ، رسائل فلسفية ، بيروت ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، ط 5 ، 1985.

46 -رشوان محمد مهران: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية ، دار قباء ، القاهرة ، (د-ط) ، 1998.

47 -زقزوق محمود حمدى: الإنسان والقيم في التصور الإسلامي ، دار الرشاد ، (د-ط) ، 2004.

48 -زقزوق محمود حمدى: مقدمة في الفلسفة الاسلامية ، دار الفكر العربي ، (د-ط) ، 2003.

49 - زكريا ابراهيم ، المشكلة الخلقية ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ط 3 ، (د–ت) ،1980.

50 -السباعي بيومي: تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي ، الجزء الأول ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط2 ، 1959.

51 -ستيس وولتر: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، (د-ط) ، 1984.

52 -سيد صديق عبد الفتاح: السعادة كما يراها المفكرون ، مؤسسة عز الدين ، بيروت ، (د-ط) ، (د-ت).

53 -السحماوي ابتسام ، في فلسفة التربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 1 ، 2003.

54 -السحمراني أسعد ، الاخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة ، دار النفائس ، بيروت ، ط1....

55 -سعفان كامل: موسوعة الأديان القديمة معتقدات أسيوية ، دار الندى ، ط 1 ، 1999

56 -جون كولر : الفكر الشرقي القديم ، ت: كامل يوسف حسين ، عالم المعرفة ، (د-ط) ، 1995.

57 -سمارة أحمد نواف و العديلي عبد السلام موسى ، مفاهيم ومصطلحات في العلوم التربوية ، دار المسيرة ، عمان – الأردن ، ط1 ، 2008.

58 -شبشوب أحمد ، علوم التربية ، الدار التونسية للنشر، (د-ط) ،1991.

59 -شبل محمد فؤاد: حكمة الصين ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، (د-ط) ، ج1 ، (د-ت)

60 -الشرقاوي محمد عبد الله: الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1990.

61 -الشكعة مصطفى: الأدب في موكب الحضارة ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، (د-ط) ، (د-ت).

62 -صبحي أحمد محمود ، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط3 ، 1992.

63 -صليبا جميل: تاريخ الفلسفة العربية ، دار الكتاب العالمي ، ط3 ، 1995.

64 -الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، المجلد الأول ، مؤسسة عز الدين ، ط 3 ، 1992.

65 -الطويل توفيق: الفلسفة الخلقية (نشأتها وتطورها)، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1960م، (د ط).

66 -العراقي عاطف: الفلسفة العربية ، مدخل جديد ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، مصر ،ط1 ، 2000.

67 -عطا عمر أحمد ، تربية الطفل في الإسلام ، دار الفكر ، الأردن ، ط 1 ، 2007.

68 -علي سعيد إسماعيل: الأصول الفلسفية للتربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، 2000.

69 -عويضة كامل محمد محمد: الأعلام من الفلاسفة –الفلسفة الاسلامية- ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1995.

70 -الفاخوري حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي ، دار الجيل ، بيروت ، (د-ط) ، (د-ت).

71 -الفاخوري حنا وخليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية ، الجزء الثاني ، دار الجيل ، بيروت ، ط2 ، 1993.

72 -فان براج –ه-: حكمة الصين ، ت: موفق المشنوق ، دار الأهالي ، دمشق سوريا ، ط1 ، 1998.

73 -فخري ماجد: تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1 ، 1991.

74 -فضل الله محمد إسماعيل: نماذج من المشكلات الفلسفية والاجتماعية والسياسية والقانونية ، مكتبة بستان المعرفة ، بيروت ، (د-ط) ، 2004.

75 -فضل الله مهدي: بدايات التفلسف الإنساني ، دار الطليعة ، بيروت ، ط 1 ، 1993.

76 -قابيل عبد الحي محمد: المذاهب الأخلاقية في الإسلام (الواجب-السعادة) ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1984.

77 -قاسم محمود: دراسات في الفلسفة الاسلامية ، دار المعارف، مصر ، ط 3 ، 1970.

78 -قدرى حافظ طوقان: مقام العقل عند العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، (د-ط) ، (د-ت).

79 -القفطي: تاريخ الحكماء ، مؤسسة الخانجى ، مصر ، (د-ط) ، 1903.

80 -كرسون أندريه: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ، ت: عبد الحليم محمود وأبو بكر زكرى ، دار الشعب ، القاهرة ، 1952.

81 -كرم يوسف: تاريخ الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1936.

82 -كريل ه – ج : الفكر الصيني من كونفشيوس إلى ماوتسي تونج ، ت: عبد الحميد سليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د-ط) ، 1998.

83 -كوربان هنري: تاريخ الفلسفة الاسلامية ، تع: نصير مروة وآخرون ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط3 ، 1983.

84 -مابوت: مقدمة في علم الاخلاق ، تع:ماهر عبد القادر محمد علي ، دار النهضة العربية ، (د-ط) ، 1985.

85 -مبارك زكي: النثر الفني في القرن الرابع ، الجزء الأول ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط2 ، 1958.

86 - مبارك زكي: الاخلاق عند الغزالي ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1988.

87 -متز أدم: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، تع: محمد عبد الهادي ابو ريدة ، المجلد الأول ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط5 ، (د-ت).

88 -محمد عبد الرحمن عبد الراضي ابراهيم: دراسات في فلسفة التربية المعاصرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، 2002

89 -محمد عبد القادر أحمد ، من قضايا الاخلاق في الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ، (د-ط) ، 2003.

90 -محمد عبد القادر احمد: التفلسف الإسلامي جذوره ومشكلته ، دار المعارف الجامعية ، الإسكندرية ، ط1 ، 2008.

91 -مراد سعيد: نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط1 ، 2001.

92 -مرحبا محمد عبد الرحمن: بدايات الفلسفة الأخلاقية ، عز الدين، بيروت ، ط1 ، 1995

93 -مرحبا محمد عبد الرحمن: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الاسلامية ، المجلد الأول ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت ، (د-ط) ، 2000 ، ص105.

94 -مرسي سعد أحمد ، تطور الفكر التربوي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 2 ، 2005.

95 -مرسي محمد منير: التربية الاسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، عالم الكتب ، القاهرة ، (د-ط) ، 1983

96 -المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: يوسف اسعد داغر ، الجزء الأول ، دار الأندلس ، بيروت ، ط1 ، 1965.

97 -مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، ج 2 ، دار قباء ، القاهرة ، (د-ط) ، 2000

98 -موسى محمد يوسف: فلسفة الاخلاق في الإسلام ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1963.

99 -المولى محمد احمد جاد: الخلق الكامل ، الجزء الأول ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، (د-ط) ، د-ت).

100 -النجيحي محمد لبيب: مقدمة في فلسفة التربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د-ط) ، 1992

101 -ويليام ليلى: مقدمة في علم الاخلاق , ت: علي عبد المعطي محمد , منشاة المعارف , الإسكندرية , (د-ط) , 2000

102 -اليماني عبد الكريم علي: فلسفة التربية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2004.

قائمة الموسوعات والمعاجم

1 -بدوي عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ج1 ، ط1 ، 1984.

2 -الحفني عبد المنعم: الموسوعة الصوفية أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية ، دار الرشاد ، ط1 ، 1992.

3 -الحموي ياقوت: معجم الأدباء إرشاد الأريب الى معرفة الأديب ، تحقيق: إحسان عباس ، الجزء الثاني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1993.

4 -شمس الدين عبد الأمير: موسوعة التربية والتعليم الاسلامية قطاع الفقهاء ، الفكر التربوي عند الغزالي ، الشركة العالمية للكتاب ، ط1 ، 1990

5 -عكاوي رحاب خضر: موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافية والفلسفة ، الجزء الثاني ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط1 ، 1993.

6 -القيسي نايف: المعجم التربوي وعلم النفس ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، ط1 ، 2006.

7 -المدرسي هادي: موسوعة الإمام علي في الاخلاق ، دار الجيل ، بيروت ، (د-ط) ، (د-ت)

8 -يسري عبد الغني عبد الله: معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن 12 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1991.

قائمة المجلات والدوريات والمذكرات

1 -بلام محمد الصادق: رسالة ماجستير السياسة والأخلاق عند ابي الحسن الماوردي ، جامعة الجزائر ، 2001 2002 (غير منشورة).

2 -بوملحم علي: علم الاخلاق عند مسكويه ، -دراسات عربية- العدد12 ، بيروت ، تشرين الأول اكتوبر1990.

3 -راسل برتراند ، حكمة الغرب ، الجزء الأول ، ت: فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد62/فبراير/ ، 1983.

4 -سليماني محمد حمزة و ملا معمور بار عبد المنان: مجلة جامعة ام القرى للبحوث العلمية المحكمة ، الخلق منظور تربوي نفسي لدى كل من ابن مسكويه والغزالي ، مكة المكرمة ، السعودية ، السنة التاسعة ، العدد الحادي عشر ، 1416ه – 1995م

5 -شلاعي رابح: رسالة ماجستير فلسفة الاخلاق عند مسكويه وأبي حامد الغزالي ، الجزائر العاصمة ، 1996 1997 (غير منشورة).

6 -المغربي علي عبد الفتاح:الفضيلة والسعادة عند مسكويه ، الدكتور توفيق الطويل مفكرا عربيا ورائدا للفلسفة الخلقية بحوث عنه ودراسات مهداة اليه ، إشراف: عاطف العراقي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1995.

فهـــــرس الموضـــوعـــات

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير	
إهداء	
المقدمة	(أ)
الفصل الأول:طبيعة الاخلاق في الفكر الشرقي والفلسفة اليونانية والفلسفة الاسلامية	(7)
المبحث الأول: طبيعة الاخلاق في الفكر الشرقي	(8)
الاخلاق عند قدماء المصريين	(8)
الاخلاق في العقيدة البوذية	(12)
الاخلاق الكونفشيوسية.....	(17)
المبحث الثاني: طبيعة الاخلاق في الفلسفة اليونانية.....	(19)
المدرسة السوفسطائية.....	(22)
منهج سقراط الأخلاقي.....	(26)
-معرفة النفس.....	(26)
- الفضيل والعلم	(27)
نظرية أفلاطون الأخلاقية.....	(29)
-الفضيلة.....	(31)
-الفضائل في الدولة.....	(32)
الاخلاق عند ارسطو	(33)
-الخير في المفهوم الأرسطي	(34)
-السعادة عند ارسطو.....	(35)

-الفضيلة عند ارسطو.....	(37)
المبحث الثالث: طبيعة الاخلاق في الفلسفة الاسلامية.....	(38)
1)- القيم الأخلاقية عند العرب في الجاهلية	(38)
2)- القيم الاخلاقية في فجر الاسلام.....	(53)
3) -الاخلاق في نظر مفكري الإسلام.....	(58)
أ)- نظرية الفارابي الاخلاقية.....	(60)
ب)- نظرية يحي بن عدي الاخلاقية	(63)
الفصل الثاني:مسكويه والتهذيب الأخلاقي.....	(66)
المبحث الأول: مسكويه والأوضاع السائدة في عصره.....	(67)
1-الأوضاع السائدة في القرن الرابع الهجري أو عصر مسكويه	(67)
-الجوانب السياسية والاجتماعية	(67)
-الجوانب الفكرية والثقافية.....	(71)
2-مسكويه حياته ومؤلفاته	(82)
- مصادر فكر مسكويه.....	(84)
أ-عهد الدولة البويهية	(84)
ب-فلاسفة اليونان.....	(88)
3-أعمال مسكويه	(89)
1 -مجموعة كتبه.....	(90)
2 -مجموعة رسائله	(96)
ثانيا:التهذيب الأخلاقي.....	(98)
1- نظرية النفس والخلق.....	(100)
أ- نظرية النفس.....	(100)

ب- نظرية الخلق.....	(103)
2 - نظرية الفضيلة والخير والسعادة	(105)
أ- نظرية الفضيلة	(105)
ب- نظرية الخير والسعادة	(111)
3- نظرية الأنس والصداقة	(118)
أ- نظرية الأنس أو المحبة	(118)
ب- نظرية الصداقة	(122)
4- نظرية طب النفوس	(124)
أ- حفظ الصحة	(124)
ب- علاج أمراض النفوس	(127)
الفصل الثالث: نظرية التربية عند مسكويه وامتداداتها في الفكر الإسلامي......	(135)
نظرية التربية عند مسكويه	(136)
- نظرية النفس عند الطفل وتغيير	(136)
- دور البيئة الأسرية في تربية الأحداث	(143)
أ- طرق تربية الطفل	(144)
ب- الصور التربوية للطفل عند مسكويه	(147)
- دور البيئة التعليمية في تربية الأحداث	(152)
نظرية التربية عند الغزالي	(157)
- مبادئ نظرية الغزالي التربوية	(158)
أ- أهمية العلم عند الغزالي	(158)
ب- طبيعة النفس لدى الصبي	(162)
- دور الأسرة في تربية الأحداث عند الغزالي	(165)

أ- تغيير سلوك الطفل	(166)
ب- صور التربية الأسرية	(167)
- تربية الطفل في البيئة التعليمية	(174)
أ- دور المعلم ووظائفه	(175)
ب- دور المعلم ووظائفه	(179)
ج- المواد العلمية في نظر الغزالي	(182)
الخاتمـــــــــة	(185)
قائمة المصادر والمراجع	(191)
فهرس الموضوعات	(203)